تدهور أخلاق النساء

أعراضه أسبابه علاجه

عكاشة عبد المنان الطيبي

مكتبة التراث الإسلامي

٢١٠,٤
ط٤ ع

تدهور أخلاق النساء

أعراضه أسبابه علاجه

عكاشة عبد المنان الطيبي

مكتبة التراث الإسلامي

حقـوق الطبـع محفـوظـة
للنـــاشـــر

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله يهدى من يشاء ويضل من يشاء ولا يظلم ربك أحداً ، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً أحمده وأثنى عليه الخير كله ، وأشكره يسّر كلاً لما خلق له. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، الحكيم العليم ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، آتاه الله العلم وفصل الخطاب ، واصطفاه إماما للعالمين ، وأنزل عليه الكتاب ،وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، الذين نصروا الله بأبلغ حجة ، وأيدوا الحنيفية السمحة ، رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .. وبعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى .. وخير الهدى هدى محمد ﷺ ..

قال تعالى :

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ [النساء:١]

وقال تعالى :

﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ [الأنعام ٩٨]

وقال تعالى :

﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ [الأعراف : ١٨٩]

وقال تعالى :

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾

[الزمر : ٦]

وقال تعالى :

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة:٧١-٧٢]

وقال تعالى :

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين و المتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وقال تعالى :

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [محمد : ١٩]

وقال تعالى :

﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين

فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾ [الفتح:٥]

وقال تعالى :

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [الحديد : ١٢]

وقال تعالى:

﴿ رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [نوح : ٢٨]

وقال تعالى :

﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ◉ الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ◉ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ◉ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبناوكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار◉ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ◉فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ [آل عمران :١٩٠-١٩٥]

وقال تعالى :

﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك

يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ [النساء : ١٢٤]

وقال تعالى :

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧]

وقال تعالى :

﴿ من عمل سيئةً فلا يجزى إلاّ مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ [غافر :٤٠]

وقال تعالى :

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير﴾ [الحجرات : ١٣]

وقال عليه الصلاة والسلام :

« أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » قال أبو ذر وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » (١)

وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يامعاذ أتدرى ماحق الله على العباد » فقال : الله ورسوله أعلم . قال : « يعبدونه ولا يشركون به شيئا » قال : « أتدرى ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك » قال : الله ورسوله أعلم . قال « « أن لا يعذبهم » ..

وفي رواية لأحمد أيضا : وفيه : « أن يغفر لهم ولا يعذبهم » قال : قلت : يارسول الله ألا أبشر الناس ؟ قال : « دعهم يعملوا » (٢)

وعن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في حَجة الوداع وهو

١ – أخرجه الإمام أحمد ١٦١/٥ ، والبخارى ١٧٤/٩ ، ومسلم (الإيمان) ١٥٣ ، والترمذى (٢٦٤٤) ، وابن كثير ٣٥٤/٣.

٢ – أخرجه الإمام أحمد ٢٢٨/٥ و ٢٣٠و٢٣٤ و٢٣٦ ، والبخارى ١٤٠/٩ ، ومسلم (الإيمان) ٥٠ ، وعبد الرزاق (٢٠٥٤٦) والترمذى (٢٦٤٣) ، وابن كثير ٢٦٠/٢و٢٥٨/٣و٨٦/٧ .

على الجدعاء واضع رجله في غراز الرحل يتطال يقول : « ألا تسمعون » فقال رجل من آخر القوم : ما تقول : قال : « اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم » (١)

والأحاديث في ذلك كثيرة وستأتي في مكانها إن شاء الله تعالى.. وإليك نبذة سريعة عن المرأة وفضل الإسلام عليها:

كانت النساء قبل الإسلام مهانات محتقرات ، مستعبدات مسخرات ، مملوكات غير مالكات ، حتى عند أهل الكتب والديانات فلما أشرق نور الإسلام بدعوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، انتشلهن من هذا الرق الأليم، وأعطاهن ذلك الفضل العظيم وقال لرسوله ﷺ :

﴿ يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ١٢]

وعن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله ﷺ قال : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور ، ومن ستره الله فذلك إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » (٢)

وهذه الأسس هي المقومات الكبرى للعقيدة ، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة ..

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٥١/٥ و٢٦٢ ، والحاكم ٩/١و٣٨٩ والبغوى في « التفسير » ٥٥١/١ ، و« شرح السنة » ٢٣/١ ، و ابن حبان في « موارد الظمآن » (٧٩٥) ، والزبيدى في « الإتحاف» ١٨٧/٤ ، والزيلعى في « نصب الراية» ٣٢٧/٢ ، و « الصحيحة » (٨٦٧) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبخارى ١١/١ و٧٠/٥ و١٠٤ و١٨٧/٦ و١٩٨/٨ و٢٠١ ، والنسائى ١٧١/٧ ، والدارمى٢٢٠/٢ ، والبيهقى في «السنن » ١٨/٨ و ٣٢٨ ، البغوى في « شرح السنة » ٦٠/١ ، وفى «التفسير » ٥٧٨/١ ، والساعاتى في « بدائع المتن » (١٤٨٠) و الطبرانى في «الكبير » ٧٠/١٨ ، والشافعى في « المسند » (٣٦٣) ، والتبريزى في « مشكاة المصابيح » (٦٨) والحاكم في « المستدرك » ٣١٨/٢وغيرهم .

إنها عدم الشرك بالله مطلقا .. وعدم إتيان الحدود... السرقة والزنا .. وعدم قتل الأولاد .. إشارة إلى ما كان يجرى فى الجاهلية من وأد البنات ، كما أنه يشمل قتل الأجنة لسبب من الأسباب .. وهن أمينات على ما فى بطونهن ..

﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ .. أى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن [1] .. ولعل هذا التحفظ كان للحالات الواقعة فى الجاهلية من أن تبيح المرأة نفسها لعدة رجال، فإذا جاءت بولد، نظرت أيهم أقرب به شبها فألحقته به، وربما اختارت هى أحسنهم فألحقت به ابنها وهى تعلم من هو أبوه!

والشرط الأخير : ﴿ ولا يعصينك فى معروف ﴾ .. وهو يشمل الوعد بطاعة الرسول ﷺ فى كل ما يأمرهن به ، وهو لا يأمر إلا بالمعروف ، ولكن هذا الشرط هو أحد قواعد الدستور فى الإسلام ، وهو يقرر أن لا طاعة على الرعية لإمام أو حاكم إلا فى المعروف الذى يتفق مع دين الله وشريعته وأنها ليست طاعة مطلقة لولى الأمر فى كل أمر ! وهى القاعدة التى تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله ، لامن إرادة إمام ولا من إرادة أمة إذا خالفت شريعة الله ، فالإمام والأمة كلاهما محكوم بشريعة الله، ومنها يستمدان السلطات ..

فإذا بايعن على هذه الأسس الشاملة قبلت بيعتهن ، واستغفر لهن الرسول ﷺ عما سلف ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ .. يغفر ويرحم ويقيل العثرات. ثم من وفت منهن بهذه البيعة فأجرها على الله ، وأجر الله لايعدله أجر لأنه يحسن إلى الأوفياء فيصلح لهم أعمالهم ويغفر لهم ذنوبهم ويبارك لهم فى حياتهم ويكتب لهم الفوز فى الدنيا والآخرة ومهما كان ابن آدم عرضة لخطأ فقد أرشد النبى ﷺ إلى وضع الخاطئ وما يكون نصيبه فإنه دائر بين أمرين :

إما أن يعاقب فى الدنيا على خطيئته وسيأتى شرحه فى موضعه ..

وإما أن يستره الله فى الدنيا على خطيئته ويحكم عليه بما يشاء ويختار من العفو أو

---

١ - انظر : « فى ظلال القرآن » ٣٥٤٧/٦ ونسب هذا القول لابن عباس ومقاتل ..

العقاب ورحمة الله وسعت كل شيء .. ولكن مجال التوبة للعبد والإقلاع عن الخطيئة مرضاة للرب ممحاة للذنب ..

إن المرأة هي نصف الجنس البشرى ، بل سيأتي زمان تكون فيه المرأة أضعاف أضعاف الذكور .. وهي الجنس الذى ينعتونه باللطيف نظرا لرقتها ونضارتها وحنوها ومحبتها وعطفها ومؤاساتها ، هي سلطانة القلوب التي لا يمكن لأحد أن يعارض أحكامها أو ينقض إبرامها ، فإن كان في العيش لذة فبها ، أو مرارة فمنها ، وبسببها يقتحم الرجال الأخطار، ويشنون الغارات ، ويتهافتون على المهالك رغبة في مسرتها والعمل على بهجتها والفوز برضاها ، وهي التي عناها صاحب المعلقة لما قال عن لسان النساء :

يقـدن جيـادنا ويقـلـن لستـم	بعـولتـنـا إذا لـم تمنعـونـا

فما تلك الحروب الطاحنة ، والقذف بالنفوس الثمينة إلى لجج البحار وركوب متن الصعاب، وبيع النفوس بيع السماح إلا لأجلها، فإن الرجل الضليع لا يهمه إلا رضاها، ولايتمنى من الدنيا سوى راحتها والفوز باستحسانها ، لذلك يغار عليها من لمس الرياح فيشبب بها في غدواته وروحاته وفي نومه ويقظته، ويجعلها فلك بهجته، وريحانة أنسه، ومحط سروره وآماله وهي كل شيء له تحمله جنينا، وتربيه طفلا، وتهذبه فتى ، ثم يعلق بها شابا ويمتزج بها في رجوليته، ويقبل مؤاساتها وحنوها في زمن الشيخوخة، فكأنما هي الكل في الكل لديه، حتى إنه ليوصي بها عند موته من يحسن إليها ويرفق بها ويتلافاها. قال عنترة عبس يصف غيرته على محبوبته :

أحبـك ياظـلـوم فأنـت عنـدى	مكـان الـروح مـن جسـد الجبـان
ولـو أنـي أقـول مكـان روحـي	خشيـت عليـك بـادرة الطـعـان

وعليه تكون المرأة محط آمال الرجل إليها مرجعه ومقيله فإذا كانت صالحة صلحت أخلاقه وحسنت أموره والضد بالضد، وقد صدق الشاعر حين قال :

إنمـا المـرأة مـرآة بـهـا	كل ما تنـظره مـنك ولك كل ماتنظره
فهـي شيطـان إذا أفسـدتهـا	وإذا أصلحـتهـا فـهـي مـلك

فالمرأة المثقفة التقية، منحة إلهية ، ورسول سلام بل ومنبع سعادة، ومورد رفاهية، خلقت المرأة لإتمام نظام الكون ، ولتأدية رسالتها التى لا تثمر إلا بانضمامها إلى شطرها الثانى ـ ألا وهو الرجل ـ للمحافظة على بقاء النوع البشرى واستدامته فى الوجود، وانتشار العمران .

لذلك كانت المرأة عروة الصلة بين الأسر، ومفصل أعضاء الوطن ، ومجرى الدم فى جسم الأمة الذى يبعث فيها روح الحياة وقوة النشاط ، وهى التى أودعها الله تعالى كل معانى السحر الخلاب ، فبجمالها وظرفها ووداعتها الأسرة أصبحت السيدة المسيطرة المالكة للقلوب : هى الصديقة الصدوقة ، وشريكة الرجل فى حياته ، وفى سرائه وضرائه فإذا ما سكن إليها بعد الفراغ من عمله وهو مثقل بأعباء الحياة وأكدارها ، أحاطته بسياج من العطف والمودة ، وافتر ثغرها له عن ابتسامة عذبة ، إثر نظرة ساحرة تنفذ إلى مستقر الوجدان من نفسه فتنسيه ما ألم به من الهموم والآلام ، ومن يقدر على مواساة الرجل إذا فاضت به شجونه سوى المرأة ؟

وهل وجد الرجال معاقل تضمحل دونها الخطوب ، وتتكسر على أسوارها صخور النوائب ، وتصفو بين أيديها وجوه الليالى مثل ما يجدون فى الصالحات من النساء إذا سكنوا إليهن ، وأطرقوا لسحر حديثهن ؟ وقد قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم : ٢١]

إن من ينظر إلى تركيب جسم المرأة وما فيه من أجهزة يرى لأول وهلة أن العناية الإلهية زودتها بكل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها فى الحياة من الأجهزة البدنية والاستعدادات النفسية ، والغرائز الفطرية، التى هى لسان صدق ناطق بأن ذلك المنظر البديع ، والتركيب العجيب الذى لا يوجد له نظير فى الرجل ما خلق إلا ليعينها على تأدية مهمتها فى الحياة ، ألا وهى « الأمومة » ..

فالمرأة بمقتضى تكوينها البدنى، واستعداداتها النفسية خلقت لتكون زوجا وأما، ولعمرى إن هذه حقيقة ثابتة لن تنال منها أيدى التبديل منالاً رغم أنف المكابرين

ومهما تغيرت آراء الفلاسفة فى مركز المرأة فى الهيئة الاجتماعية فستظل هذه الحقيقة ثابتة تنادى بأفصح لسان بأن كمال المرأة وعظمتها فى أن تكون أما ، وإنها لوظيفة لا تقل خطورة عن مهمة القادة فى معمعة القتال، فذلك مسئول عن رفع لواء النصر لوطنه ، وحمايته من إغارة الأعداء ، وتلك بيدها مستقبل الأبناء الذين يتوقف على صلاح تربيتهم ورقى أخلاقهم مجد الأمة ورفعتها .

فإذا خرجت المرأة على حدود ما أعدت له كان ذلك تمرداً منها على نواميس الحياة ، وقوانين الفطرة الإلهية وبعدا عن الصواب والكمال ، ومرضاً اجتماعيا ، تجب مداواته بكل ما فى الإمكان من وسائل العلاج ..

هذا وإنى لأنصح للمرأة بألا تنقاد انقياداً أعمى للتقاليد الغربية التى لا تتفق وتعاليم دينها فتهجر وظيفتها الأساسية التى خلقت لها ، وتلقى بنفسها كما هو مشاهد الآن فى ميادين الأعمال الشاقة التى خلقت للرجل لا لها والتى تفقدها جمال أنوثتها ، ورقة عواطفها ، وهل نسيت المرأة أنهما سلاحاها الحادان على عشيرها ؟

لذلك يجب على المرأة أن تعلم حق العلم بأن كمالها كله فى كلمة واحدة هى الأمومة ، وليست كل فتاة تتهيأ لهذه الوظيفة السامية ، فإنها وظيفة جليلة لها خطورتها فى الحياة ولن تقدر الفتاة على القيام بها خير قيام إلا إذا تثقفت وتغذت نفسها بلباب العلوم والمعارف المختلفة ، لتتمكن من إدارة مملكتها الصغيرة التى تنتظرها ، على أن العلوم وحدها لا تكفل لها هناءة العيش فى مستقبل حياتها إلا إذا كان تعليمها مبنياً على أساس دينى متين ، وكان قلبها مستنيرا بمعرفة الشرائع الدينية التى تقيها شر الوقوع فى حبائل الفساد .

قالت نعمات محمد عبد المجيد : قال هكسلى الحكيم :

الدين والعمل كتوءمين متلاصقين ، فصلهما يؤدى إلى موتهما فإن العلم ينمو متى كان دينيا والدين يثبت متى كان علمياً .

وعلى الشعب والحكومة أن يتضامنا على العناية التامة بإعداد الفتيات ليكن أمهات صالحات، بتزويدهن بالمعلومات التى لها مساس بحياتهن الزوجية، كفن تدبير الصحة،

والتدبير المنزلى، والحياكة، والتربية وعلم النفس وغير ذلك مما يساعدهن على تربية الأطفال ومعرفة غرائزهم وميولهم ، وبذلك نكون قد قمنا بأقدس الواجبات نحو المرأة التى يتوقف على نجاحها وتقدمها تقدم الأمة وارتقاؤها .

ولقد قال بعض الحكماء بشأن تربية المرأة : « إن أردت رجالاً عظماء ، فألق العظمة فى قلوب الأمهات » .. من هنا يتضح لنا جليا كيف تؤثر الأمهات فى الأبناء ، فإذا أردنا النهوض بالأمة فلنوجه عنايتنا إلى إعداد أمهات مهذبات يرفعن من شأن الوطن ، وينقذنه من العيوب التى يقذفنا بها الأجنبى ، ويسلقنا عليها بألسنة حداد .

على أن الأمومة أو الحياة الزوجية كما ذكرت آنفا ليست بالشىء الهين ، فهى تتطلب واجبات مقدسة يتحتم على المرأة حسن تأديتها بشرف وذمة ليسود الائتلاف الزوجى ، ويصفو الجو العائلى ، وتنحصر هذه الواجبات فى ثلاث هى :

١ - واجب المرأة نحو الله ..
٢ - واجبها نحو زوجها ..
٣ - واجبها نحو الأولاد ..

١ - واجب المرأة نحو الله تعالى:

وهو من أقدس الواجبات التى تنبنى عليها سعادة الدارين : ويكون بشكر الله جلت قدرته الذى أمدها بالروح والغذاء ، والخضوع والتذلل لعظمته لما أسبغه عليها من نعم لا تحصى ، فرفع مكانتها وأنصفها بعد أن ظلت ردحا من الزمن تئن تحت نير المهانة والاستعباد ، ويكون بخشية الله فى السر والعلانية ، وبإقامة الشعائر الدينية التى تخلق منها ملكا كريما تحلق فى جو الحياة بجناحين من الطهر والعفاف تواسى الضعفاء، وترحم الفقراء وتأخذ بيد البؤساء .

إن أما صالحة كهذه لا شك أنها ترسم فى أذهان أطفالها صورة من الكمال، تجعل وجهتهم دائماً إلى صالح الأعمال ..

٢- واجبها نحو زوجها :

إن أفضل مناقب المرأة طاعتها لزوجها ، ففى الطاعة هناءة وسعادة، وفى المشاحنة

بغض وفراق وإفساد لعواطف الأبناء ولقد أكد النبي ﷺ وجوب طاعة المرأة لزوجها فقال : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» .

وبين أن أفضل النساء هي المطيعة لزوجها فقال:

«خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وعرضك» .

ولتعلم المرأة أن الحياة الزوجية حياة اجتماعية، وأنه لابد لكل مجتمع من رئيس لحسم مادة الخلاف ، وقد جعلت السلطة في يد الرجل للميزات التي يفضلها بها ، قال الله جل شأنه:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء : ٣٤]

وعلى المرأة ألا تتمرد على هذا الحكم العادل ، لأن سلطة الرجل إنما هي شورية لا استبدادية ، ويجب ألا تجود بسر زوجها ، فإن هي أذاعته هدمت كيان أسرتها من حيث لا تدرى كما أنها مسئولة عن حفظ ماله ، ومباشرة أعمالها بنفسها ، إذ من الظلم والإجحاف أن يكد الرجل لأيدى الإسراف والتبديد ، هذا : ولعل حضرات السيدات اللواتي أخذن عهدا على الطنافس والأسرة ألا يتركنها وجعلن للخدم سلطة التصرف فى كل شئون المنزل لعلهن يهجرن تلك المضاجع وينشطن لإدارة منازلهن ، فإن ذلك أدعى إلى تقدم الصحة وانتظام العمل .

٣ - واجب المرأة نحو أولادها :

من أقدس واجبات المرأة : العناية التامة بتربية أولادها تربية صحيحة تنشئ رجالاً أولى علم وأصالة رأى يخدمون أوطانهم ، ويأخذون بناصر بلادهم ، وهذه التربية تنحصر فى شعب ثلاث ، وهى :-

١ - التربية البدنية ..

٢ - التربية العقلية ..

٣ - التربية الخلقية ..

١ - التربية البدنية :

فالتربية البدنية الصحيحة تكون بالعناية بتغذية الأطفال والمحافظة على صحتهم ونظافتهم ، وبتمرينهم على الألعاب الرياضية البسيطة التى تقوى أعصابهم وتنمى عضلاتهم ، والرياضة خارج المنزل ضرورية جداً ليتنسم الأولاد الهواء الطلق الذى يصلح الدم فينشط الجسم .

ولما كان الجسم له تأثير عظيم فى العقل كان لهذا النوع من التربية المنزلة الأولى ، وقد برهنت الحقائق العلمية على أن قوة المواهب العقلية تتبع الجسم فى حالتى الصحة والضعف ولذا قال بعض الحكماء :

« العقل السليم فى الجسم السليم » ..

ومن الخطر على الأفراد والأمم أن تهمل الأم تربية الجسم فى طور الطفولة فيشب الطفل ضعيف البنية عرضة للأمراض والعاهات التى تعوقه عن النجاح فى مدرسة الحياة والتى تجعله عالة على أسرته ووطنه ..

٢ - التربية العقلية :

يولد الطفل مزودا بغرائز وميول واستعدادات فطرية ونظرا لأن البيئة المنزلية هى المهد الأول لتربية الطفل ، فعلى الأم استثمار هذه الغرائز لمصلحة الطفل والمجتمع ، فهى تعلم أن طفلها شغوف بمعرفة كل ما يقع تحت بصره بدافع غريزة حب الاستطلاع، لذا يجب أن تعطيه فكرة صحيحة عن كل ما يسأل عنه ، وأن تستخدم ما فى نفسه من غريزة حب الجمال فى تعريفه محاسن خلق الله، كأن تلفت نظره إلى السماء وما فيها من نجوم، وإلى الأرض وماحوته من نبات بهيج، وإلى تركيب جسمه ومنفعة كل عضو فيه ، إلى غير ذلك مما يشعره بعظمة الخالق ، وعليها ألاتستخدم غريزة المقاتلة والغضب بقولها: اكسر هذا والعن ذلك واضرب أباك ، فإن ذلك يدربه على الشر والفساد والإجرام ، بل تجتهد فى إعلاء هذه الغريزة وصرفها إلى أغراض سامية، كالغضب للحق والشرف ، والدفاع عن الوطن ، ونصرة الضعيف ، وغير ذلك مما يجعل الطفل رجلاً عظيما وعضوا عاملاً لخير بلاده ، ومن الخطأ استخدام الوسائل الخرافية لإخافة الطفل

كأن تهدده بالأشباح المفزعة ، أو إحضار « أبو رجل مسلوخة » أو « العفريت » .. إلخ مما يولد عند الطفل أمراضا عصبية ، كالصرع والهستريا اللذين نشاهدهما الآن عند كثير من الناس ، بل تخوفه من العقاب إذا ارتكب جرما وتبين له شناعة عمل القبيح .. إلخ ، ولتحذر أن تقص عليه الحكايات الخرافية التى تفسد مداركه وتبعد عقله عن الصواب وتكسبه جهلاً وغباوة ، ولتوجه اهتمامها إلى توسيع دائرة تفكيره بالحكايات الأدبية عن مشاهير عظماء الرجال الذين اتصفوا بالحلم والشجاعة والإقدام، لتثير فى نفسه الميل إلى مجاراتهم واقتفاء أثرهم، هذا : ولتكن هى القدوة الصالحة لطفلها الذى يحاكيها فى أقوالها وأفعالها وحركاتها بدافع من غريزة التقليد والمحاكاة لتطبع نفسه على غرار فضائلها .

٣ - التربية الخلقية :

وتكون بغرس مبادئ الأخلاق الفاضلة الكريمة فى نفوس الأطفال، كخشية الله والعمل على رضاه ، وكالطاعة والصدق والأمانة والعطف على الضعيف واحترام الكبير والشفقة على الخدم ، والرأفة بالحيوان ، إلى غير ذلك من أمهات الفضائل وأن تقص عليهم الكثير من سير الأنبياء ، لتطبع فى أذهانهم صورة من الكمال الخلقى تجعلهم رجالا مخلصين فى تأدية أعمالهم ، بعيدين عن كل ما يمس كرامتهم بسوء .

غير أن هذه التربية لا يظهر أثرها فى نفس الطفل إلا إذا كانت الأم نفسها متحلية بمحاسن الأخلاق .

فالمرأة التى هذا دينها .. وهذا خلقها .. والتى أنجبت هذا الجيل المسلم لخليقة أن تكون من أهل الجنة ..

واعلمى أختى المسلمة أن أكثر أهل الجنة النساء وذلك من فضل الله سبحانه وتعالى رغم ما يرتكبن من المعاصى والذنوب فالإنسان غير معصوم والله سبحانه قابل التوب فبادرى أختى المسلمة إلى الله تعالى كى تفوزى بجنته ورضاه والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا الكتاب إنه على ما يشاء قدير ، والحمد لله رب العالمين.

وقاية النفس والأهل من النار

قال الله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾
[التحريم : ٦]

فكل مؤمن مأمور من الله تعالى أن يقى نفسه وأهله النار التى وصفها جل وعلا بأن وقودها الناس والحجارة ، والحجارة هذه : هى الأصنام ومعبودات غير المؤمنين ، يقول فى ذلك جل شأنه :

﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨]

وزبانية جهنم ملائكة غلاظ شداد مطيعون لله ينفذون أمره ، وحراس هذه حالهم لا يتصور مخلوق أن يفر منهم أو يؤثر فيهم فيشفقوا عليه أو يتشفعوا له ..

والله بهذا يقطع أمل كل فاجر أومغتر حتى يأخذ الأمر بالجدية ويبعد عن النار وعن كل ما يقرب منها من قول أو عمل .

وعلى كل من يرجو الوقاية منها لنفسه أن يبنيها على ثلاثة أشياء ، العلم والإيمان والعمل الصالح، ولكل منها أداة فى جسمه، فأداة العلم العقل، وأداة الإيمان القلب، وأداة العمل الصالح الجوارح، وهذه الثلاثة: العقل والقلب والجوارح يجب أن يهتم بها صاحبها لينجو بها من العذاب الأليم .

والعقل هو أهم شىء فى الإنسان، وهو سر التكليف وسر التشريف، وما على الذى يريد أن يدرك أهميته إلا أن يذهب إلى أحد مشافى المجانين ، فيرى أجساماً وصوراً ربما كان فيها من هو أحسن جسماً وأجمل صورة من بعض العقلاء ولكن سيرى تصرفات منهم يحمد الله ألف حمد على أن وهب له نعمة العقل ، فالعقل نعمة كبرى ومطلوب منه عدة أشياء :

أولا : أن ينظر نظر فكر واعتبار فى آيات الله الكونية فى الكون المتطور ، السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما:

﴿ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾
[الأعراف: ١٨٥]

والله لا يرضى عن إنسان خلقه وأنعم عليه بنعمة العقل والحواس أن يعبر الحياة دون نظر واعتبار بما خلق ، ويمر على ذلك وهو معرض ومآل هذا جهنم كما قال جل شأنه :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

وعليه أن ينظر فى آيات الله التشريعية فى الكون المقروء وهو القرآن المجيد ليغذى روحه ووجدانه وعقله وقلبه ويتلقى عن الله ما أمر فيفعله وما نهى فيجتنبه وليخرج من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان والخلق الرفيع والمستوى اللائق بالإنسان.

وعليه أن يميز بين ما يسمع ويرى ويعرض كل ذلك على كتاب الله وسنة رسوله فما وافقهما أمضاه ، وما خالفهما بعد عنه وقلاه ..

ومن بلغ درجة التمييز بلغ درجة الرشد وأصبح قريبا من درجة الحكمة ..

وعليه أن يوجه كل أجهزة الجسم لتكون حركتها فى نطاق الشرع الشريف وأن يتحكم فيها لأنه هو المسئول الأول عن سلامة الجسم من دخول النار فيتحكم فى النظر والسمع واللسان وسائر الجوارح ، ويتحكم فى الغرائز حتى تسير فى نطاق الشرع وما أحل الله تعالى ..

وعليه أن يجعل الأخبار الغيبية الصادقة عن المستقبل البشرى وهى الحياة الآخرة بما فيها من بعث ونشور وحساب ومآل ومصير إما إلى جنة وإما إلى نار ، يجعل كل ذلك أمراً واقعاً كأنه محسوس ..

إنه بهذا يعمل للآخرة ويستعد لها ويحسب ألف حساب لما فيها وأقله مما يجعل الولدان شيباً ،وبذلك لا يغتر بالدنيا ويجعلها أكبر همه ، فإن من يطلب الدنيا فليس له فى الآخرة نصيب .

ثم على العاقل أن يهتم بقلبه فيغرس فيه الإيمان بقوة حتى لا يتزعزع ويعلم ما فى الصدور ويحاسب عليه ..

والعمل الصالح هو ثمرة العلم ،والإيمان هو الذى يظهر أن تعاليم الدين منفذة سواء فى ذلك العبادات والمعاملات والجهاد وتحرى الحلال والبعد عن الحرام ونلحظ أن الله تعالى دائما يقرن الإيمان بالعمل الصالح كقوله :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾
[الكهف : ١٠٧]

وقوله تعالى :

﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ [الطلاق : ١١]

وقوله تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٧٧]

وهكذا نرى أن المؤمن الحق الذى تثقف عقله بثقافة الدين وغمر قلبه بالإيمان وتحرى العمل الصالح يكون على المستوى الذى يريده الله من عباده الذين يرضى عنهم ويجعلهم من سعداء الدارين .

أما وقاية الأهل من النار :

وأهل الرجل زوجه وأولاده ، وهو مسئول عنهم ، والله أمره أن يقيهم النار بمثل ما وقى نفسه ..

ورأس الأمر أن يكون هو قدوة صالحة لهم ،. فهو بما له من هيمنته عليهم

سيستفيدون منه ويتدربون على الحياة فى مدرسته فإن كان مهتماً بدينه يتحرى الحلال فى مطعمه ومشربه وملبسه وسائر ما ينفقه على أهله، وإن كان يعاشر الصالحين، ويؤدى فرائض الله لا يقدم عليها شيئا آخر ، وإن كان يتزود دائما من المعرفة ولا يكتفى بما علم ، وإن كان يتلو يومياً جزءاً من الكتاب الكريم .. إن كان يفعل كل ذلك فإنه سيكون قدوة حسنة لهم غالبا ، لا يشذ عن ذلك إلا النادر الذى لا حكم له .

أما إن كان مائلا عن الطريق القويم .. بعيدا عن تعاليم الدين الحنيف فقد ضيع الأمانه التى اؤتمن عليها وهى زوجه وأولاده ، إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه .. وقد أجاد القائل :

مشى الطاووس يوما باعوجاج	فقلد شكل مشيته بنوهُ
فقال علام تختالون قالوا	بدأت به ونحن مقلدوهُ
فخالف سيرك المعوجّ واعدل	فإنا إن عدلت معدلوهُ
أما تدرى أبانا كل فرع	يجارى بالخطى من أدبوهُ
وينشأ ناشئ الفتيان منا	على ما كان عوّده أبوه

وقال غيره :

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً	فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وأنشد محمد محمد عمر :

فتاة النيل لا لوم عليها	بأعلى الصوت أجهر فى الأنام
وكيف نعيبها والعيب منا	ونرميها بوحشى الكلام
إلى التمثيل يصحبها أبوها	فتعرف سيدى فن الغرام
ويأمرها بأن تختار زياً	كزى الغرب مفضوح الكمام
فجلبات قصير لا يدارى	ورأس حاسر دون احتشام
ووجه سافر يغرى البرايا	ألم يدر الحلال من الحرام
ولا تنسى الحلاقة كل شهر	وعطراً اسمه « شم الغرام »
وحضرته لهذا الفعل يغنى	ويتحفها « نعيماً » فى الختام

كـذا الأصـباغ يجـلبها إلـيها — لتعكـس خـلـقه دون احـتـرام
ويحضر نعلها من خلف عـال — ليطـرحهـا إلى جـهـة الأمـام
ويتركهـا تسير على هـواهـا — ولا تـكـفى زيـارات الإمـام
فبـالله احـكـموا يـاآل ديـن — حـنـيفى يـدعو للسـلام
عـلى البنت الضعيفة أى لـوم — خـبـرونى هـل أصبنا بالـزكام
وأنتـم أيهـا الآباء جـمـعـا — فخـافوا الـرب فـى يـوم الـزحام
واعتصـموا بحبل الله يكـفى — تأخـرنا بعـام بعـد عـام

وعلى رب البيت المؤمن أن يأمر أهله بالصلاة كما قال الله تعالى لنبيه الكريم :

﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ [طه : ١٣٢]

ونحن جديرون بالاقتداء بالنبى الكريم ﷺ فنأمر أهلنا : زوجنا وأولادنا بالصلاة حتى يعتادوها وتكون جزءاً أساسيا من حياتهم بحيث لا يستريح أحدهم إلا إذا أدى الصلاة ويكون دائما مهموما إن تأخر عنها حتى يؤديها ، وحتى إذا مرض أداها حسب استطاعته..

وإن هذه الصلاة التى أمر الله بها الرجل أن يأمر بها أهله ليست صلاة فقط وإنما هى تنهى عن الفحشاء والمنكر ،. وتجعل المرء دائما متصلا بالله لا ينساه والذى ينسى الله فى الدنيا ينساه الله يوم القيامة فلا يقيم له وزنا ..

كما أنها تعود النشاط والنظافة والحرص على المواعيد ، والمرء فى الصلاة يحاسب نفسه ويناجى ربه فإن كان قد أحسن شكر الله ، وإن كان قد أساء استغفر الله وندم على ما فعل وعزم على ألا يعود ، وحب الصلاة يحبب المرء فى المساجد وناهيك بمن يتعلق قلبه بحب المساجد فإنه من الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

والأب الحانى عليه أن يجالس أبناءه وأن يعلمهم أى كتاب يقرءون وأى صديق يصاحبون فإن بعض الكتب تدعو إلى الرذيلة، وبعض الأصدقاء يدعون إلى النار، والمرء عليه أن يهتم بصغاره حتى لا يضيعوا فى زحمة الحياة ويقع تحت مساءلة الله لأنه لم يقم بواجبه نحوهم.

وعليه عند مجالستهم أن يحبب إليهم التقوى والحلال والاقتداء بالصالحين وذلك بسير الأنبياء الكرام والصحابة الأجلاء والمصلحين من المؤمنين ... وعليه أن يعودهم المناقشة والسؤال عما يجهلون ، وتفهم الأمور حتى لا يختلط عليهم الأمر بل يعرفوا ويميزوا بين ما يوافق الشرع وما يخالفه فإنه سيتركهم يوما ما ، وإذا لم يكن عندهم ملكة التمييز فإنهم سيضلون سواء السبيل ويكونون سهل الوقوع تحت تأثير المبطلين .

والذين لا يجلسون مع أبنائهم ولا يتحدثون إليهم سيسقطون من عين أبنائهم لأنهم لم يتحببوا إليهم ولم يفهموهم الحياة حتى يعلموا الشر من أهل الشر وهم كثيرون .

إن تربية الأبناء صعبة وتحتاج إلى صدر واسع وسعة حيلة فى التعامل معهم وإلى وقت طويل لاعتياد الصلاة والطهارة وحب الدين وبر الوالدين وإيتاء ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل .

والحذر من التدليل والإفراط فى الحنان وتلبية كل الطلبات ومن إخماد جذوة الرغبة فى الفهم والمعرفة بالأسئلة بوسائل تثبيط الهمم والتزام آداب السكوت وعدم فتح الفم أمام الكبار فكلا الطريقين مذموم ، لا تدليل ولا نهر ولا عسف وإنما الحزم واللين أحيانا والشدة أحياناً بحكمة توصل للمطلوب .

وعلى الوالد غرس الخوف من الله تعالى ومراقبته لأنه لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وأنه سيحاسب على الفتيل والنقير والقطير .

إن المرء إذا قام بواجبه نحو تربية الأبناء أرضى الله ورسله وأخرج للمسلمين ناشئة يغيظون الكفار، لأن هذا الجيل الذى يربى سيكون الآباء والأمهات فى المستقبل وسيحملون نفس هذه الأمانة من تربية أجيالهم فإذا أهملوا ولم يتربوا التربية الإسلامية الحقة خرج جيلهم جيلاً يغيظ الأصدقاء ولا يرضى عنه الله ولا رسوله ولا المؤمنون وصدق فيهم القائل :

فكيف تظن بالأبناء خيراً ... إذا نشئوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لأطفال كمال ... اذا ارتضعوا ثُدىّ الناقصات
لأخلاق الصبى بك انعكاس ... كما انعكس الخَيال على المراة

وقال جميل الزهاوى :

ليس يرقى الأبناء فى أمة مالم تكن قد ترقت الأمهات

وقال غيره :

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

وقال إلياس حبيب فرحات :

من كان فى حجر الأفاعى ناشئاً غلبت عليه طبائع الشعبان

وقال معروف الرصافى :

هى الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات

فكيف تظن بالأبناء خيراً إذا نشئوا بحضن السافلات

وقال جرير :

إن الكريمة ينصر الكرم ابنُها وابن اللئيمة للئام نصور

وقال شوقى:

وإذا النساء نشأن فى أميةٍ رضع الرجال جهالة وخمولا

إن ثواب التربية ثواب عظيم ، وعقاب الإهمال أليم .

مكانة الأم فى الإسلام

ليس من شك فى أن الإسلام قد عنى عناية خاصة بالمرأة باعتبارها نصف المجتمع وعضواً مهماً له أثره فى الحياة .

ومن عناية الإسلام بها امتنانه على الرجل بها زوجة تشع المودة والرحمة ، ومهاداً يجد فيه السكينة والطمأنينة ، وأما تربى الأولاد وتصنع رجولتهم وتبنى مستقبلهم وتهيئهم للحياة الفاضلة الكريمة .. قال تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم : ٢١]

ولكن تعارف الناس فى السنين الأخيرة على الاحتفال بما يسمى « عيد الأم » من كل عام تكريماً للأم وتقديراً لرسالتها فى الحياة فإن الإسلام الحنيف منذ ظهوره قد أعلى منزلتها وشرف فيها الأمومة المليئة بالعواطف الكريمة والمشاعر النبيلة وقدر فيها رسالتها الخالدة التى تؤديها بالجهد المتواصل والتعب المضنى وتبذل فيها الكثير من وقتها وراحتها وتضحى فيها بصحتها وأعصابها، فلقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال : « أمك » قال: ثم من ؟ قال: «أمك» قال: ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك » (١)

وفى سبيل تكريم الإسلام للأم وإعلاء شأنها ، أمر بطاعتها ، والإحسان إليها، واحترامها ، وإيثارها بالخير والبر والمعروف .

قال تعالى :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين

---

(١) أخرجه البخارى ٢/٨ ، ومسلم (البر والصلة) ٢/١ ، والنسائى.. (الطهارة) ب ١٣٣ ، و(الحيض) ب٣ ، وأبو داود (الطهارة) ب ١٠٧ ، والترمذى (١٨٩٧) ، وابن ماجة (٣٦٥٨) ، وأحمد ٣٢٧/٢و٥/٣، والبيهقى ١٧٩/٤ و٢/٨و٣ ، والحاكم ١٥٠/٤، والخطيب ٢٦٦/٣ و٣٧٦/١٠، و الطبرانى فى «الكبير» ٤٠٥/١٩ ، وابن أبى الدنيا فى « العيال » (٧١٨) .

أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير ۞ وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلىَّ ثم إلىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾

[لقمان : ١٤-١٥]

قال ابن عباس : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لم تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

إحداها قوله تعالى :

﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

الثانية قوله تعالى :

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة قوله تعالى :

﴿ أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير ﴾ فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه.

إن الأم إنسان كريم وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة وقد قضت سنة الله تعالى أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أماناتها وأن تجعل سعادتها مرهونة بأداء وظائفها أما وزوجة وربة بيت ..

فهى كأم تصنع للطفل رجولته وخلقه وتنشئه على الفضائل الكريمة وتغرس فى نفسه روح المثابرة والجد وحب الدين والوطن كما تبث فى فتاتها روح الأنوثة والخلق والعفة والاحتشام ومن أجل ذلك استحقت أن تكون طاعتها من طاعة الله وتحت قدميها الجنة ..

وهى كزوجة المصدر الروحى للحياة البيتية والسعادة الزوجية ولذا كانت أفضل ذخر يعتد به الإنسان فى حياته كما يقول النبى ﷺ :

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها

أطاعته، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وفى ماله » .. [1]

وليس هناك من عمل لهذه الأم أسمى مقصداً وأشرف غاية وأجدى لأسرتها ومجتمعها من تلك الرسالة العظيمة التى هيأها الله لها ورسمها لأدائها ، ولكن مما يؤسف له أن نجد الكثير من الأمهات قد تخلين عن مسئوليتهن وتركن أولادهن وأهملن رعاية أطفالهن وخرجن من بيوتهن وهجرن ميدانهن الطبيعى إلى ميادين الحياة وإلى مضمار العمل، يقول بعضهم : إنها تكاليف الحياة الباهظة توجب على المرأة أن تعمل إلى جانب زوجها مساعدة له !! وكأنهم بذلك يتحكمون فى معايير السعادة ويمسخونها مادية بحتة ..

ويحولون تلك العلاقة الروحية التى أقام الإسلام عليها دعائم الأسرة إلى علاقة تنشد التعقيد والتلفيق وتعبد مطالب البدن .

حقا قد يرتفع مستوى المعيشة بين الزوجين العاملين ولكن سينحط حتماً مستوى التربية والخلق فى الأسرة ثم إن الفارق الكبير بين المستوى الخلقى لهذا الجيل والمستوى الخلقى للجيل الماضى إنما مرجعه إلى أن الأم قد هجرت بيتها وأهملت طفلها وتركته إلى من لا يحسن تربيته ..

إن المجال الحيوى للمرأة هو الأسرة التى هى فى أشد الحاجة إلى التكوين والإصلاح والنهوض بها فوق أدران الجهل والتأخر والانحطاط ، وفى هذا المجال وحده يجب أن تعمل المرأة بكل ما أوتيت من قوة وذكاء وثقافة ومعرفة وأن توفر جهودها لإقامة دعائم الأسرة وإعداد الجيل الصالح لخير الوطن ونفع الأمة ففى ذلك كسب عظيم لحياة المجتمع بأسره.

وإن ترك الأولاد فى رعاية الخدم مضيعة لأخلاقهم وقضاء على دواعى الخير فيهم وتوجيه لسلوكهم إلى ناحية الشر والفساد والأولاد بطبيعتهم مفطورون على المحاكاة والتقليد وحينئذ سيتلقون من الخدم ألفاظهم البذيئة وعاداتهم القبيحة ، وأخلاقهم

(١) أخرجه ابن ماجة (١٨٥٧) ، والطبرانى فى « الكبير » ٨/٢٦٤ و « مشكاة المصابيح » (٣٠٩٥).

الهابطة ، وقد يقعون فى بعض الأحيان فريسة لهم وضحية لعبثهم ورجسهم وقد صدق من قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه — من هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذى تلقى له — أماً تخلت أو أباً مشغولا

فإذا أراد الناس أن يكرموا الأم حقاً فليعودوا بها إلى البيت لتزاول مشاعر الأمومة ووظائفها الأصيلة ولترعى أماناتها بما فطرها الله عليه من العطف والحنان وبما اكتسبته من الثقافة والعلم حتى تخرج للأمة الجيل الصالح والأولاد النافعين وبذلك تكون هذه الأم جديرة بما تستحق من التكريم .. [1]

(١) انظر : « الإسلام » مقالة للشيخ حامد محمود إسماعيل ، ٧٥١/١٣ العدد ٤٦ من السنة الثالثة والثلاثين ..

رُقِيَ الأُمَّةِ مِنْ رُقِيِّ الأُمَّهاتِ

إذا نظرت إلى أية أمة من الأمم ترى أنها جماعة من الناس تربطهم غالباً روابط الدين والوطن والجنس ، ولا تكون الأمة سعيدة حقاً إلاّ بأفرادها ، فإن صلحوا صلحت ، وإن فسدوا فسدت ، فهم أعضاؤها ، وبهم حركتها وسكونها . وعليهم رقيها وعزها ، وبهم شقاؤها وضياعها .. الأمة برجالها العاملين وسيداتها ذوات اليقين ، وفتياتها أولات العلم والدين .

نعم بهؤلاء تسعد وترقى، إذهم عمادها وسندها الذى عليه ترتكز ، ونورها الذى به تستضىء ، وهاديها الذى به تهتدى .

ولما كانت الأم هى الدعامة الأولى التى ترتكز عليها الأمم فى تربية أبنائها وجب أن تكون عاقلة رشيدة مدبرة حكيمة مهذبة كاملة ولقد صدق نابليون حين قال :

« لن تستفيد فرنسا مجدها ، ولن تبلغ عظمتها إلا بالمرأة الصالحة» لأن الإنسانية كلما توغلت فى أسباب العمران اشتد التنافس بين أفرادها وأصبحت حياتهم مجالدة وصراعا ، فلكى يتمكن الإنسان من أن يشق له طريقاً وسط هذا الجلاد يجب أن يربى تربية خاصة فى دوره الأول ـ دور الطفولة والتكوين ـ وهو دور الأم ، فمكانتها إذن سامية ، ومنزلتها عالية إذ بيدها صوغ جيل المستقبل وإعداده للحياة الكاملة .

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

ولما كان أكثر العهد الأول للطفل بالمنزل وبين أحضان الأمهات ، وجب عليهن أن يكن ذوات خلق شريف ، وعادات حسنة ، و أن يتمسكن بدينهن ويعتصمن بقوته، ويتبعن سنته ويأتمرن بأمره ، وينتهين بنهيه ، كيف لا وهو الذى يغرس فى أنفسهن حب الفضيلة ، وينأى بهن عن مواطن الزلل ، وهو خير هاد للفتاة إلى التحلى بالحياء والوقار وترك التبرج الممقوت ، وعدم التشبه بالأجنبيات فيما لا ينبغى .

والمرأة التى تكون بهذه المثابة لا ريب توجه همها إلى تربية أولادها وترقية مداركها،

وإنبات عقولهم إنباتاً حسناً ، وتغذيتهم بلبان علومها النافعة المفيدة ، ولنذكر بعض ما للغربيات فى تربية أبنائهن تربية صحيحة فإنهن لا يتكلمن أمامهم ببذىء القول ولا يفعلن على مرأى منهم الآ ما يعود عليهم بالمنافع الجليلة ، إذ الطفل مولع بمحاكاة ما يراه من عمل أو يسمعه من قول ، مغرم بالاستفسار عن كل ما يحس به ، فالواجب على المربية أن تقوم بتغذية تلك الغرائز ـ وخصوصاً غريزة حب الاستطلاع فهى أول ما يتحرك من غرائز الطفل ـ بما يبرزها وينميها من الأفعال الجليلة ، والسجايا الشريفة ، والخلال الحميدة بطرق محسة وعبارات مستملحة ، كإلقاء القصص والحكايات المفيدة عليهم ، وبذلك يشب الطفل وقد طبع على العادات الحسنة والخلال السامية ، وبذا يرجى منه أن يكون رجلاً عاملاً يفيد أمته ووطنه وبلاده .

وقصارى ما أقول : إن سعادة الأم وهناءتها متوقفتان على الأمهات الصالحات ، والفتيات الطيبات إذ ينشئن للأمة أولاداً صالحين ، وأفراداً نافعين ، فتتكون منهم أمة صالحة وشعب مجيد ...

الأمة بنسيج الأمهات

خلقت المرأة لتشارك الرجل وتشاطره حلو الحياة ومرها ولتكون الملجأ الذى يأوى إليه يبثه آلامه ويشكو له ما لقى فى أعماله من الصعاب، ومازاول فيها من نكبات وأمر الإنسان أن يعولها لقاء حنانها عليه و رأفتها به وهى بعد المرشد الأول للإنسان ومربيته ومدرسته قبل أن يعرف كيف ينطق فهى التى تغرس فيه العادات الحسنة والسجايا الطيبة فينشأ فاضلا شجاعاً فالأم يمكنها ان تجعل ابنها ملكاً رحيما أو شيطانا رجيما لأنها ملازمة للطفل منذ نعومة أظفاره فهو يقلدها فى كل صغيرة وكبيرة ، وإن الكثير من المخترعين عزوا عبقريتهم ونبوغهم إلى أمهاتهم قال حكيم غربى « إن طريق المرأة الفاضلة منثور بالأزهار التى تنمو خلف خطواتها لا أمامها » .

والمجرمون والقتلة ينسبون سبب إجرامهم الى أمهاتهم اللائى شجعنهم على ارتكاب الآثام والأفعال السيئة ، قال نابليون : الأم تهز المهد بيمينها والعالم بشمالها. فالأم الصالحة تكون أسرة صالحة تنفع الوطن وتعلى شأنه وتسبب له الخير العميم والنفع العظيم فهى التى تصوغ الطفل فى قالبها وتنشئه على أخلاقها وطباعها فهى مرجعه منذ حداثته ، أما تلك الجاهلة فهى تهوى بأسرتها إلى الحضيض وتكون سبباً فى هلاكها وحتفها وقد تعطى ابنها العقاقير والأدوية الضارة التى تكون سبباً فى موته وتربيه تربية منزلية ساقطة ، فينشأ عيالا على المجتمع الإنسانى ولقد أصاب كبد الحقيقة من قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فلكى يكون النبات نضراً حسن المنظر يانع الثمرة يجب أن يكون المنبت نظيفاً خاليا من الأدران والأوساخ لا تكدر صفو تربيته الشوائب فلا خير من خضراء الدمن وإن كثر مالها وزاد جمالها.

أجل، إن مثل هذه المرأة لا تصلح أن تكون زوجاً للإنسان فهى ــ وإن شذ بعضهن ــ لا تعرف للإخلاص معنى ولا للوفاء حقاً فخير النساء من تسرك إذا نظرتها وتطيعك إذا

أمرتها واذا غبت عنها حفظتك فى مالك وعرضها قال رسول الله ﷺ « لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل » [1]

يجب على الزوج أن يبحث عن الأدب فى زوجته قبل أن يبحث عن جمالها والمال فرب شهوة ساعة أورثت عذابا طويلا والأحرى به أن يختار زوجاً صالحة متدينة، قال ﷺ « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الذين تربت يداك »[2] أى افتقرت إن خالفت ما امرتك به .

يجب أن تدرس الفتاة فنون الطهى وتدبير المنزل فإن من أهم الواجبات المنزلية أن تباشر المرأة طعام زوجها بنفسها فيحن إلى المنزل وكلما دبرت ربة المنزل دارها وجعلتها جنة يستريح إليها الزوج حن إلى دارها حنين الغريب إلى أوطانه والأسير إلى حريته لأن الرجل إذا ما حن إلى داره جد وسعى ليتقدم ويسعد من أسعدته ، وإذا ما تقدم كل الرجال تقدمت الأمة بأسرها، لأن الأمة ما هى إلا فرد متكرر ، وغنى عن البيان أن علم الصحة فن لازم للزوجة لزوم الملح للطعام فهى التى ترعى زوجها وطفلها إذا مرضا وتهيىء لهما طعاماً صحيحاً ومنزلا صحياً ..

وما من امرأة لها من الوازع الدينى ما يحضها على العمل الصالح إلا وكانت الزوج الوفية وكانت رافعة بناء وطنها لأن من وراء سلامة الأسرة سلامة الوطن ، وبمقدار انتشار الأسرة وتنظيم الحياة الزوجية وتسهيل أسبابها وإزاحة العراقيل من طريقها فحينئذ تكون سعادة الأم و يكثر النسل ويسير الوطن فى سبيل النهوض والتقدم وله أبناء أشداء أقوياء نافعون فى البأساء و الضراء .. يلبون نداءه فى ساعة الشدة ويأخذون بيده إذا مادقت ساعة الخطر .

---

(١) أخرجه الزبيدى فى « الإتحاف » ٥/٣٤٠ .

(٢) أخرجه البخارى ٩/٧ ، ومسلم (١٤٦٦) والبيهقى فى « السنن » ٧٩/٧ ، والألبانى فى « إرواء الغليل » ١٩٤/٦ . وسعيد بن منصور (٥٠٦) ، والزبيدى فى « الإتحاف » ٥/٣٤٠ والتبريزى فى « مشكاة المصابيح » (٤٠٨٢) ، والدار قطنى ٣٠٢/٣ وغيرهم .

اتقوا الله الذى خلقكم من نفس واحدة

قال تعالى :

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ [النساء : ١]

سورة النساء سميت بذلك لأنها بينت كثيراً من أحكام النساء وهى السورة الرابعة فى النصف الأول من القرآن كما أن سورة الحج هى السورة الرابعة من النصف الثانى من القرآن وكل منهما بدئ بقوله : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ وهى مدنية نزلت بعد الهجرة فعن ابن عباس رضى الله عنه: أنزلت سورة النساء بالمدينة . وآياتها ست وسبعون آية ومائة آية. ومما يؤكد أنها مدنية ما أخرجه البخارى عن عائشة رضى الله عنها، قالت: ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ﷺ. وقد عقد عليها ﷺ قبل الهجرة وهى بنت ست سنين، وتزوجها بعد الهجرة بثمانية أشهر وهى بنت تسع سنين فى شوال من السنة الأولى للهجرة. وقد اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة من التكاليف وأحكام النساء والزواج والعطف على الأولاد واليتامى والنساء وإعطاء كل منهم حقه كما اشتملت على أحكام الإرث والطهارة والصلاة والقتال والدية وشىء كالتتمة لغزوة أحد والهجرة وأحوال المنافقين والرد على أهل الكتاب ومحاجتهم بالبرهان فهى مؤكدة ومفصلة لكثير مما تقدم فى سورة آل عمران، وقد ختمت آل عمران بالأمر بالتقوى، وبدئت هذه بالأمر بالتقوى فهذه هى المناسبة بين سورة النساء وسورة آل عمران . قال تعالى :﴿ يأيها الناس﴾ خطاب يعم كل مكلف من ذكر أو أنثى منذ نزول الآية إلى أن تقوم الساعة ، فهو تعالى يخاطب الناس الذين من عليهم بالعقل والجسم وبتلك الصورة التى صورها فأحسن صورتها وجعلها فى أحسن تقويم وأتقن تركيب وأبدع تأليف وتكوين. والنداء بيا للبعيد، والناس لغفلتهم عن الله وآياته والآخرة وما سيكون فيها فى بعد معنوى بعيد فنزلوا منزلة البعيد ونودوا بخطاب البعيد

فليس المقصود بالناس من فى عصره ﷺ من أهل مكة، أو من أهل مكة والمدينة بل كل الناس إلى يوم القيامة لأن آخر هذه الأمة مكلف بما كلف به أولها وقد قال ﷺ : « الحلال ما جرى على لسانى إلى يوم القيامة والحرام ما جرى على لسانى إلى يوم القيامة » .

وبعد أن نبه الناس بالنداء قال لهم اتقوا ربكم «ويأيتها النساء اتقين ربكن . ففيه تغليب الرجال على النساء . والتقوى محلها القلب كما قال ﷺ: « التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا » . وهو يشير بيده إلى صدره والتقوى تكون بعمل كل ما يرضى الله تعالى وتجنب كل ما يغضبه فالتقوى عامة تشمل اجتناب الكفر والمعاصى وكل القبائح كما تشمل رعاية حقوق الله تعالى وحقوق الناس من صلاة وزكاة وحج وصوم وبر باليتامى والمساكين وشفقة على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وجهاد فى سبيل الله وبعد عن كل خلق ذميم . وليست التقوى مقصورة على الذكر والصلاة فقط مع ترك حقوق المسلمين والمسلمات فليس بتقى من يصوم ويصلى ويذكر وتمتد يده أو يمتد لسانه بالأذى والأضرار إلى المسلمين أو يترك زوجه وأولاده فى عذاب أليم وهكذا مما يفعله مدعو التقوى.. قال تعالى :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾
[التغابن: ١٦]

فقد بين التقوى بالسمع والطاعة لله تعالى ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين ولكتاب الله وسنة الرسول وبالإنفاق فى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله. من فعل ذلك وغيره من الخيرات واجتنب السيئات والموبقات فقد اتقى بعمله عذاب النار ، وعقاب الآخرة وغضب الله تعالى فى الدنيا والآخرة .

فالتقوى مصدر السعادة وأصل كل خير وبركة فهى تجعل الإنسان موئل الفضل ومنبع الرحمة والعدل، يؤدى ما عليه لله وللناس. وقوله: ربكم يشير إلى السبب فى اتقائه لأنه صاحب النعم كلها كبيرها وصغيرها، فهو الذى يملكهم ويربيهم ويرزقهم ويعطيهم فهو الواجب أن يتقى عذابه ويخشى عقابه ويرجى ثوابه .

ثم زاد فى بيان السبب فى اتقائه عز وجل فقال: الذى خلقكم .. اتقوا الله ربكم الموصوف بأنه خلقكم وأنشأكم بقدرته التامة . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، فاتقوه وأدوا ما عليكم من الواجبات له ولغيره ممن جعل لهم حقوقاً تلزمكم . فقد خلقكم بقوته وقدرته من نفس بث فيها الحياة والقوة .. نفس واحدة لا نفسين، والمراد بها آدم عليه السلام الذى قال فيه فى آيات أخرى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ وقال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾. وقال : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ﴾ وقال : ﴿ كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ مما يدل على أن هذا الإنسان الأول وأن هذه النفس الواحدة إنما هو آدم عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة ﴾ قبل خلق الإنسان ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ يقوم بعمارتها ويؤدى رسالة ربه فيها لمن سيكونون من ذريته عليها .هذا الخليفة الأول والإنسان الأول هو آدم عليه السلام لقوله فى تمام مخاطبة الملائكة : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال لهم أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾.. إلى أن قال: ﴿ ياآدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ فأنبأهم ثم أمرهم بالسجود له فقال لهم : اسجدوا لآدم . سجود الإذعان لله والخضوع لأمره بسبب أمر آدم هذا والإقرار له بأنه على علم من ربه وأنه خليفة ربه فى الأرض ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ ثم بين سبحانه وتعالى أنه خلق من هذه النفس زوجها فقال: وخلق وأنشأ منها من هذه النفس زوجها حواء عليها السلام .. قام من نومه فوجدها بجواره فأنس إليها وأنست إليه وأمره الله تعالى بسكنى الجنة معها بقوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ فسكناها والجمهور والأحاديث على أنها خلقت من جسمه كما يخلق الله الثمر من الشجر. وبقيا فى الجنة حتى أمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض فهبطا إليها وعاشا فيها وكان منهما الذرية وكان من الذرية الذرية وهكذا حتى عمرت بذريتهما الأرض إلى وقتنا هذا وإلى أن تقوم الساعة فآدم عليه السلام أبو البشر وأصل الناس جميعاً وبهذا

يتحقق قوله تعالى : ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ وقوله : ﴿**وخلق منها زوجها**﴾ وتعدد الأجناس لا يمنع أن الأصل واحد فهذه الشجرة الواحدة يكون فى فروعها وورقها وثمرها الألوان المختلفة والأشكال المختلفة والطعوم المختلفة والروائح المختلفة والجذع واحد والتربة واحدة . فكذلك الإنسان أصله واحد هو آدم عليه السلام ثم تعددت منه الأجناس بقدرة الله تعالى الذى خلق من الماء بشراً سوياً ونباتاً مختلفاً أكله ولونه وشكله مما رآه الناس وعرفه علماء النبات من المدهشات فى تعدد الأجناس من أصل واحدمما يقطع بإمكان تعدد الأجناس من إنسان واحد هو آدم عليه السلام .

ومما يدل على أن آدم أبو البشركلهم قوله تعالى:

﴿ **يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان** ﴾

وقوله : ﴿ **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾

وقوله : ﴿ **يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم** ﴾

وقوله﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾

وقوله ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع : كلكم لآدم وآدم من تراب. ومما هو صريح فى بيان الأدوار التى يمر بها الجنين حتى يصير إنساناً وأن الأصل من تراب وأنه سيموت ثم يبعث قوله تعالى :

﴿**ولقد خلقنا الإنسان** ﴾ آدم عليه السلام . ﴿**من سلالة من طين ثم جعلناه**﴾. جعلنا ذريته من﴿ **نطفة** ﴾ من آدم أو غيره من ذريته ﴿**فى قرار مكين**﴾ ثم بين الأدوار التى تمر بها هذه النطفة فقال : ﴿ **ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾ فيه الروح والحياة ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ﴾ بعد انتهاء أجل كل واحد من الحياة الدنيا ﴿ **ثم إنكم** ﴾ بعد انتهاء أجل الدنيا وحلول اليوم الآخر﴿ **يوم القيامة تبعثون**﴾ .

[المؤمنون :١٢ – ١٦]

فهذا صريح فى أن أصل الناس الذين استوطنوا الأرض منذ خلقها الله للآن ـ وإلى أن تقوم الساعة ـ واحد هو آدم عليه السلام . فاتقوا الله تعالى وأيقنوا بما يقوله عز وجل ولا تسمعوا لمن يهذى ويقول إن الإنسان أصله القرد ثم مرت به أدوار حتى ارتقى وصار إنسانا فمن يصدق هذا فليأتنا بقرد يختاره من أقرب نوع إلى الإنسان ثم يروضه ويعلمه ويلقنه ويربيه على التشبه بالإنسان فإن نطق يوما ما كان ما يدعيه هذا المجنون وإلا كان من الكاذبين وإنه لمن الكاذبين فما سمعنا أن قرداً نطق ولا قرأ ولا كتب ،ولا اختار حياة الإنسان النظامية على حياته الوحشية فثبت بهذا أن أصل الإنسان واحد وأنه لم يستوطن هذه الأرض إلا أبناء آدم عليه السلام وما يقال غير ذلك فهو هراء وغثاء بل هباء .عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله:﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ قال: من آدم . ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾. قال : خلق حواء من قصيراء أضلاعه وعن الضحاك : ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ قال خلق حواء من آدم من ضلع الخلف وهو أسفل الأضلاع. وسمى آدم لأنه مخلوق من أديم الأرض وسميت حواء لأنها مخلوقة من أصل حى فلما قال جل شأنه خلقكم من نفس واحدة فصل هذا الخلق فقال : وخلق منها زوجها ثم قال وبث ونشر وذرأ وبعث منهما ـ من آدم وحواء عليهما السلام ـ رجالاً وعبر بالرجال لأنه روعى جانب المكلفين المأمورين بالتقوى. والتنكير فى رجالا يفيد التكثير وقد أكده بقوله كثيراً كثيرين، ونساء كثيرات فحذف من الثانى لدلالة الأول عليه وعبر بقوله نساء مراعاة لأنهن المكلفات المأمورات بالتقوى وقد عمر الله الأرض بآدم وذريته بياناً لكمال قدرته وإظهاراً لعلو عظمته وإيجاداً لعباد يقاسمون الجن والملائكة تقديس الله تعالى، وتسبيحه وعبادته ويستحقون بعبادتهم جنته ورحمته. واختلاف الأجناس من شخص واحد دليل واضح ظاهر على تمام قدرة الله تعالى، وأن هذا ليس لمجرد الطبع أو العلة بل هو بحول الله تعالى وقدرته الذى خلق من هذه النفس الواحدة الذكر والأنثى والأبيض والأسود والأحمر والأصفر والطويل والقصير والضخم والنحيف والحسن والقبيح والذكى والغبى حتى إنك لتجد الاختلاف قائما بين أفراد الجنس الواحد، وأفراد الأجناس الآخرين.. فلا تجد شخصاً مثل شخص آخر فى كل شيء فقد أثبت علماء الأثر أن أثر أى قدم فى الأرض لا يماثله أثر أى قدم

أخرى، وأن الوسم بإبهام أو بنان لا يماثله أى وسم بإبهام أو بنان أخرى وبهذا نفهم قوله تعالى: ﴿ **بلى قادرين على أن نسوى بنانه** ﴾ فقد سوى بنان كل شخص مخالفة لبنان غيره من الناس أجمعين ونفهم سر قوله تعالى : ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ فكل نفس لها مميزاتها الخاصة بها مما يجعل كل القوى مجتمعة تتضاءل فى جنب قوة الله العزيز الحكيم .

فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بإنسان كالإنسان أو حيوان كالحيوان لا يأتون به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز** ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٤].

ولما أثبت لله تعالى القدرة التامة أمر بالتقوى مرة أخرى ولأن التقوى الأولى عامة وهذه خاصة بتقوى الله فى أنفسهم وإخوانهم وفيمن يتصلون بهم بصلة الرحمن فقال عز وجل :﴿**واتقوا الله**﴾ وقد قال ربكم فى الأولى ليدل على أنه المنعم المتفضل، وقال الله فى الثانية ليدل على أنه القادر المعبود بحق ﴿ **الذى تساءلون** ﴾ تتساءلون : يسأل بعضكم بعضاً ويخاطب بعضكم بعضاً ﴿ **به** ﴾ بقدرته وخلقه العجيب وبالقوة التى أودعها فيكم فجعلتكم تفكرون وتنطقون وتقرءون وتكتبون وتدبرون وتنظمون أو تتساءلون به فيقول أحدكم لأخيه أسألك بالله والرحم . أو تتساءلون به تتعاقدون وتتعاهدون به .

فمن الأول عم يتساءلون . يسأل بعضهم بعضاً ومن الثانى سألتك بالله والرحم ومن الثالث سألتك بالله أن تعاهدنى أن تفعل كذا ثم قال ﴿ **والأرحام** ﴾ معمول لمحذوف والمعنى : وراعوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وهذا مشروع فى بيان الأحكام فبدأ بصلة الرحم وقدمها لما يترتب عليها من حفظ الأمن والسلام وترك الشقاق والخصام وإيجاد الإخاء والوفاء فى الأسرة الإسلامية والأمة الإسلامية ووراء ذلك السعادة والهناءة والحياة الطيبة المباركة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وصلوا أرحامكم تنالوا الفوز فى الدارين والسعادة فى الحياتين . وأولو الأرحام كل قريب ليس بذى فرض ولا عصبة . والمراد هنا كل قريب وقريبة من جهة الأب أو الأم ومن يجمعك به صلة نسب لعموم قوله:

﴿وآت ذا القربى حقه﴾. وهذه الصلة واجبة لمن تلزمك نفقته كالأب والأم المعسرين ومندوبة لمن لا تلزمك نفقته كالخال والخالة مع وجود الأبناء متى فضل ما تعطيه عنك وعمن تلزمك نفقته من زوجة وابن لا كسب له لصغره أو لأنه لا يزال يتعلم ثم الصلة قد تكون بغير المال كمساعدته بالجاه والسعي وبذل المجهود وقول المعروف والبشاشة وحسن اللقاء وعيادة المرضى والمشاركة فى الأفراح والأتراح إلى غير ذلك من موجبات المودة والسرور والأقربون أولى بالمعروف . عن عكرمة رضى الله عنه فى قوله : ﴿ الذى تساءلون به والأرحام ﴾. قال: قال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم فى الحياة الدنيا وخيرلكم فى آخرتكم. وقال تعالى فى النهى عن قطع الرحم: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهى الرحم اشتققت اسمها من اسمى، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم . أما ترضين أنى أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك . وأخرج الإمام أحمد رضى الله عنه بإسناد صحيح : إن من أربى الربا الاستطالة بغير حق وإن هذه الرحم شجنة ـ الشجر الملتف يصل بعضه بعضاً ـ من الرحمن فمن قطعها حرم الله تعالى عليه الجنة . ولذلك ختم اله تعالى الآية بما فيه الوعد للمتقين والوعيد للقاطعين العاصين فقال جل شأنه : ﴿ إن الله ﴾ العليم الخبير والمطلع على أفعال وأقوال وأحوال عباده ﴿ كان ﴾ ولا يزال ولن يزال ﴿عليكم ﴾ فى كل أموركم من خير وشر وعلى ما فى صدوركم وما فى نفوسكم ﴿ رقيباً ﴾ مراقبا يحفظ عليكم جميع أعمالكم ونياتكم وما تكنه صدوركم لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة . يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون فمن اتقاه وأرضاه فوصل رحمه وبذل رفده وسعى فى الخير جهده وأدى فرضه ونفله كتب له السعادة فى الدنيا والآخرة. ومن أغضبه وعصاه فقطع رحمه ومنع رفده وتثاقل عن الخير وتهاون فى الفرض والنفل باء بسخطه

وغضبه وعذابه في دنياه وآخرته ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ۞ إن تقرضوا الله قرضا حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ۞عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾[1]

(١) انظر : « مجلة الإسلام » ٦١/٦.

المرأة فى الإسلام

المرأة هى ينبوع السعادة فى الحياة ومصدر العطف والرحمة والحنان، هى عماد الرجل وسر نجاحه فى حياته تبعث فيه الشجاعة والهمة وتغرس فى قلبه حب العمل والنشاط وتبث فيه الصبر والجلد وتروح عن نفسه النصب والعناء وترقق شعوره وتلين طباعه وتهذب إحساسه.

هى شريكة حياة زوجها ومنبع راحته وهنائه، إليها يسكن ويطمئن فتبعد عنه وحشته وتزيل سأمه وملله وتملأ قلبه غبطة وبهجة قال تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليهاوجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم :٢١]

فهى تسهر على راحته وراحة أبنائه وتبذل جهدها فى سبيل سعادة الأسرة ورغدها وطيب عيشها. هى مكونة المجتمع والعاملة على رقيه وعزه وعلى كاهلها تتبوأ الأمم أرائك العز والسؤدد. هى المدرسة الأولى التى يتلقى عنها أولادها مبادئ الأخلاق والعلوم فتطبع على صحائف قلوبهم ولن يمحوها كر الأعوام ومر الدهور.

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا ... بالرى أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

إذا كان شأن المرأة كذلك فهل قدرها الإسلام حق قدرها ، وشملها بعنايته ورعايته ونظر إليها نظرة احترام ؟

كانت المرأة عند مختلف الأمم ذليلة مستعبدة مسلوبة الحقوق، منتقصة الكرامة مجهولة القدر، رازحة تحت أعباء الظلم.

فالهنود كانوا يدفنون المرأة حية مع زوجها عند وفاته ، والجرمانيون كانوا يقامرون بزوجاتهم بلعب النرد ، وفى الصين كان الزوج إذا توفى ظلت امرأته طوال حياتها لا يباح لها الزواج وعند الأثينيين عدت من سقط المتاع فيباح للرجل أن يتزوج بأى عدد يشاء وعند الأسبرطيين أبيح للمرأة التزوج بأكثر من رجل وقد أقبلت النساء على هذه العادة القبيحة إقبالا وبعض طوائف اليهود كانوا يضعون المرأة فى مرتبة الخادم ولأبيها الحق في بيعها وهي قاصر ولا ترث شيئاً إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من الذكران وفى القانون الرومانى : إن المرأة ليست أهلا للتصرف مدة حياتها كالطفل ويجب أن يوكل أمرها لرب الأسرة. وفى القانون الفرنسى : إن المرأة ليست أهلا للتعاقد بدون رضا زوجها وإجازته.

وأعجب العجب أن بعض ولايات فرنسا عقدت اجتماعاً سنة ٥٨٦م وأخذ المجتمعون يبحثون: أتعتبر المرأة إنسانا أم غير إنسان؟ وبعد أن صالوا وجالوا وبحثوا ونقبوا وجادل بعضهم بعضاً قر رأيهم على أنها إنسان ولكنها إنسان حقير خلق لخدمة الرجل لا غير .

وأما العرب فمع أن المرأة عندهم ممتعة بقسط وافر من الحرية لطبيعة البلاد العربية إلا أنهم جاروا عليها وظلموها وأصلوها عذاباً شديداً فلقد كانوا يرثون النساء كرها فإذا مات الرجل طرح أكبر أبنائه ثوبه على زوج أبيه قائلا: ورثتها كما ورثت ماله، فيملك بذلك منها مالا تملك من نفسها.. يتزوجها إن شاء بلامهر أو يزوجها غيره ليستأثر بالمهر أو يمنعها الزواج حتى تموت فيرثها كما كانوا يعضلونهن فيمنع الوارث امرأة مورثه أن تتزوج حتى ينزل عن امرأته لمن يشاء ولا يبالى بها أرضيت أم سخطت وكرهت وبعض العرب كان يجمع بين الأختين كما أن بعضهم كان ينكح بنته .

يحكى أن حاجب بن زرارة وهو سيد من بنى تميم تزوج بنته وأولدها وقد سماها « دختنوس » باسم بنت كسرى وقال لها حين نكحها مرتجزا :

يا ليت شعرى عنك دختنوس ... إذا أتاها الخبر المرموس
أتسحب الذيلين أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس

وكانوا يمقتون البنات، قال تعالى:

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألاساء ما يحكمون ﴾ [النحل: ٥٨ _ ٥٩]

وورد فى «البيان والتبيين» القصة الآتية الطريفة وهى تدل على كراهتهم لولادة البنات قال : ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبى خيمة امرأته وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتاً، فمر يوما بخبائها وإذا هى ترقصها وتقول :

مــالأبــى حمـــزة لا يـــأتـيـــنا ... يظـل فـى البيت الذى يلـينا
غـضـبـــان ألا نـلـــد البـــنـيـنا ... فالله مـا ذلـك فـى أيـديـنـا
وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعـــطـيـنـــا ... ونـحـن كالأرض لـزارعـيـنا

نـنـبـت مـا قـد زرعـوا فـيـنـا

« فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وبنتها » .

كما كانوا يئدون البنات سفها وحمقاً. تلك حال المرأة قبل الإسلام حال كلها بؤس وشقاء وامتهان وازدراء ذاقت العذاب وصنوف الآلام وعوملت كما تعامل الأنعام وتقلبت على جمر الاستبداد ورسفت فى قيود الجور والإرهاق وتكبلت بأغلال الظلم والطغيان، لم تذق طعم الحرية ولم تتنسم نسيم الكرامة.

وإن كبار الفلاسفة قديما وحديثا حقروها ووضعوا من شأنها ونادوا بقول الشاعر :

إن النساء شـياطـين خلـقـن لـــنا ... نعوذ بالله مـن شر الشـيـاطـين

فهذا المعلم الأول أرسطو شيخ الفلاسفة كان لا يرى للنساء حقاً فى التربية بل لا يراهن أهلاً لها اللهم إلا فيما يختص بتدبير المنزل وجأر بأنه إذا سمح للمرأة بالزيادة من حقوقها كان ذلك نذيرا بزوال الدولة ودمارها .

وإن روسو لم يعتبر المرأة مخلوقاً مستقلاً بذاته وإنما اعتبرها جزءا مكملاً لطبيعة الرجل فهى قد خلقت لإسعاده وخدمته ليس غير ولولا ذلك ما احتيج إليها فى الوجود.

وشوبنهور جعل المرأة أقل من الرجل عقلا وخلقاً وتفكيراً فهى راكدة الذهن خبيثة

الخلق والطبع شرهة مسرفة لا تجيد إلا المكر والخداع والنفاق والمبذرون إخوان الشياطين. وبيرون الشاعر الإنجليزى يقول : على النساء أن يعنين بالمنزل وعلينا أن نحسن لهن فى الطعام واللباس ولكن لا يجوز لهن مخالطة المجتمع فإن تعلمن شيئا فليكن ذلك هو الدين على شرط ألا يطالعن شعراً ولا سياسة ، وألا يقرأن إلا كتب العبادة والطبخ.

هذا شأن المرأة وتلك حالها السيئة عند الأمم القديمة وبعض الفلاسفة فما حالها فى الإسلام؟ هل قسا عليها كما قسا أولئك وهل أساء إليها وظلمها كما يدعى أعداؤه الضالون المضلون؟ وهل حجر عليها فلا تتصرف فى مالها ومنعها التعليم وحال بينها وبين المجتمع كما يزعم الحاسدون الكاشحون ؟ لم يكن شيء من هذا فالإسلام أعلى قدرا وأرفع منزلة. وهو دين الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنصف المرأة وقدرها حق قدرها ورفع منزلتها، ورد لها ما سلب من حقوقها، وجعل لها حرمات حرم انتهاكها وحكم لها بالرشد وحق التصرف المطلق فى كل ما تملك ورفع عنها كل سيطرة جائرة ، وكسر قيود رقها ، وأخرجها من الظلمات إلى النور.. أخرجها من أسر طالما ألبسها لباس الذل وأذاقها العذاب الأليم وأحاط حقوقها بسياج منيع.

والحديث عن المرأة فى الإسلام طويل المدى ولكنه عذب شائق بعيد الغاية ـ ولكنه حلو تستسيغه النفس، وتشتاقه القلوب فالإسلام منذ أسفرت شمسه، أخذ يجاهد ويحل الإيمان بالله وحده لا شريك له محل عبادة الأصنام والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تسمن ولا تغنى من جوع، قد استعان بالمرأة واستمد منها القوة فصاحب الرسالة سيدنا ومولانا محمد ﷺ لم يشد أزره ولم يقو عزمه ولم يملأ قلبه قوة وشجاعة ولم يخفف عنه الخطوب ولم يزل عنه الآلام الممضة التى تهد الجبال الرواسى، وتشيب النواصى إلا امرأته السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها فهى أول من آمن به وبمالها مدته وبجاهها ونفوذها قوته، وبعقلها وحسن تدبيرها أعانته فزاد النبى عملا على نشر الدين وغزا قلوب الكافرين ولما وافاها أجلها بكاها النبى بكاء مرا، إذ فقد بموتها النصير والمعين، والملجأ المكين والحصن الحصين والسراج الوهاج فى المدلهمات والمواسى ونعم المواسى فى الشدائد والنكبات.

كانت المرأة المسلمة فى بدء الإسلام ونشأته تخوض غمار الحرب مع الرجل جنباً

لجنب تأسو جروحه وتضمد قروحه وترقأ دمه وتجبر كسره وتثير حماسته، وتهيج حميته، وتصول بين الصفوف ، وتعرض روحها للحتوف، وصدرها للقنا والسيوف تجاهد فى سبيل دينها، وتسعى فى إعلاء كلمته هذا وغيره مما سنذكره بعد ـ كان من نســاء المسلمين فرحمة الله عليهن فقد كن خير نساء العالمين .

أما وقد علم الإسلام قوة المرأة وسلامة فطرتها وفداحة العبء الذى على كاهلها وخطورة عملها فى هذه الحياة فقد منع عنها كل حيف وأزاح كل ظلم وشرع لها حقوقا أوجب احترامها وفرض أداءها وسنأخذ فى بيان ذلك والله نسأله العون والتوفيق .

قال جلت حكمته:

﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ۚ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ [الأنعام : ١٤٠]

وقال تعالى :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾

[الأنعام : ١٥١]

وقال أيضا ينهاهم عن هذه العادة القبيحة قال تعالى :

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيرا ﴾ [الإسراء : ٣١]

حرم الله قتل أولادهم وأوجب عليهم الرحمة ببناتهم والشفقة عليهن ومعاملتهن باللين والحسنى والعطف عليهن صغيرات وكبيرات فهذا رسول الله ﷺ ولنا به أسوة حسنة كان يغمر بنته فاطمة رضى الله عنها بحنانه ويقول « فاطمة بضعة منى يسوءنى ما يسوءها ويسرنى ما يسرها» [(١)] ولقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام يداعب بناته

(١) أخرجه البخارى ٢٦/٥و٣٦، والبيهقى ٦٤/٧و٢٠١/١٠، والحاكم ١٥٨/٣ والنسائى فى « فضائل الصحابة» (٢٦٥) و (٢٦٦) والتبريزى فى « مشكاة المصابيح » (٦١٣٠) والبغوى فى « شرح السنة » ١٥٨/١٤ .

وبنات أصحابه فعن أبي قتادة قال: بينما نحن على باب رسول الله ﷺ جلوس إذ خرج عليه رسول الله ﷺ يحمل أمامة بنت أبي العاص بنت الربيع وهي صبية قال «فصلى رسول الله ﷺ وهي على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها على عاتقه إذا قام حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها » فأى عناية بالبنت أكثر من هذه العناية وأى حب أبلغ من هذا الحب وهذا رسول الله يداعب بنت ابنته حتى وقت الصلاة وقت الخشوع والخضوع والصلاة عماد الدين ، وما هذا إلا تعليم لتلك القلوب التي كانت قاسية فألانها الإسلام بحكمته وأصبحت تفيض بالرحمة والشفقة والحنان .

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد كان في الجاهلية من أقسى الناس قلبا وأغلظهم كبدا أصبح في الإسلام رقيق الحاشية يسيل عطفاً على المسلمين واسمع القصة الآتية لترى مقدار ما أثر الإسلام في النفوس وجعلها تحن على البنين والبنات وترفق بالأولاد الذكران والإناث .

دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أحد عماله فوجده مستلقياً على ظهره وصبيته يلعبون حوله فأنكر عليه، قال عمر: كيف أنت مع أهلك؟

قال : إذا دخلت سكت الناطق. قال له: اعتزل عملنا فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ.

فالإسلام أخذ العرب بحب بناتهم والابتهاج بولادتهن فغدوا يحبونهن ويكرمونهن ويرون الخير كله معقوداً بنواصيهن.

حقوق المرأة فى الإسلام

لو لم يكن الإسلام دينا ختم الله به الأديان وجمع فيه فضائلها وكمالاتها لكان نظاما إنسانياً واقعيا جمع الله فيه مزايا كل نظام عملت به الأمم أو دعا إلى العمل حكماؤها.

ونحن الآن فى البلاد الإسلامية فى دور من أدوار التاريخ نجدد فيه نظام مجتمعنا ونتحرى فيه الأصلح لسعادتنا واستقرار حياتنا الاجتماعية ومن الخير أن نكون واقعيين ولانغالط أنفسنا فى الحقائق الصرفة لنتمكن من إسداء أمتنا النظام اللائق بها المنتزع من صميم حاجتها والمتفق مع إيمانها ويقينها، أما التجارب المشكوك فى نتائجها فمن الخير للعقلاء فى هذه الأمة ألا يغامروا بتعريض كيان الأمة لأخطارها فالأمة فى حاجة إلى المقطوع بفائدته من تجارب الإنسانية لا إلى المشكوك فى نتائجه من النزعات المريبة.

إن المرأة شطر المجتمع، مافى ذلك ريب والنساء شقائق الرجال غير أن الألوف من السنين التى مرت على المجتمع الإنسانى جعلت المرأة أقوى فى عواطفها منها فى قوتها العقلية ومن المغالطة تجاهل هذه الحقيقة وتخطيها فى الخطير من مناهجنا التى نسنها لكياننا ومجتمعنا .

والإسلام هو الذى ساوى بين الرجل والمرأة فى كل ما تستوى به مؤهلاتهما ولكنه فرق بينهما فيما افترقا فيه على قدر ما افترقا فيه وهذا الإسلام هو الذى أعلن فى المجتمع الإنسانى لأول مرة فى التاريخ أن النساء كما قال تعالى :

﴿ لهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٢٨]

لكنه نظراً لما هو واقع بين الجنسين من تفاوت فى كثير من عناصر تكوينها قد أعلن «عادلا منصفاً» بأن للرجال عليهن درجة وهذه الدرجة هى التى بينها دستور الإسلام فى الآية القرآنية :

﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ [النساء : ٣٤]

وهى قوامة العقل على العاطفة وتشمل هذه القوامة ما بقى امتياز المرأة بقواها العاطفية ، وامتياز الرجل بقوة عقله، ولقد نصح الإسلام الفريقين بقول الله عز وجل:

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ﴾ [النساء : ٣٢]

وليس معنى هذا أنه ليس فى النساء من تستطيع ألا تكون مغلوبة لعواطفها وليس فى الرجال من هو معصوم عن الانقياد للعاطفة غير أن المرأة أشد تعرضا وأعظم استعدادا لهذه الأمراض وذلك بحكم طبيعتها وتكوينها كما قرر ذلك رجال القضاء وعلماء النفس ونجد الإشارة إلى ذلك واضحة فى كتاب «علم النفس القضائى» للقانونى الكبير للأستاذ الكبير كامل ثابت إذ قال: وإن أمة لقيت العنت من انقياد بعض الرجال لعواطفهم جدير بعقلائها ألا يطوحوا بمصيرها فيجترئوا على جعل شطر هذا المصير فى الأيدى العاطفية المفرطة ولقد حذر الإسلام أهله من ذلك فى الحديث النبوى الذى رواه الترمذى فى سننه:

« إذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير من ظهرها » (١)

وفى الجامع الصحيح للبخارى: « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » (٢) وما نسب لعمر بن الخطاب من أنه ولى امرأة الحسبة فموضوع عليه، وما نسب لابن جرير الطبرى من صحة ولاية المرأة القضاء فموضوع أيضاً ، نص على ذلك كله أبو بكر بن العربى وما نسب لأبى حنيفة من أنه أجاز ولاية المرأة القضاء قال ابن العربى: مراده

---

(١) وهو قطعة من حديث.

(٢) أخرجه البخارى ١٠/٦و٧٠/٩ ، والترمذى (٢٢٦٢) ، والنسائى ٢٢٧/٨ ، والبيهقى فى « السنن » ٩٠/٣و١١٦/١٠و١١٨ ، والحاكم ١١٨/٣ و١١٩ .

ولايتها فى جزئية لا أنها يصدر لها « مرسوم » بأنا ولينا فلانة فى الإقليم الفلانى لتحكم بين الناس فمن استدل بذلك فقد استدل بزور على غير حق .

وإنما جنح الإسلام إلى ذلك لمصلحة المجتمع ولخير المرأة نفسها والإسلام يريد لها كل الخير ويوصى بها فى كل مناسبة قال ﷺ كما فى صحيح البخارى «واستوصوا بالنساء خيراً » [1] وفى صريح القرآن:

﴿ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾

[النساء : ١٩]

وإنما جعل الإسلام الطلاق فى يد الرجل لأنه يمثل القوة الفكرية ولأن المرأة منقادة لميراثها العاطفى من مئات القرون ولو جعل الطلاق فى يدها لانحل نظام الأسرة ولتقوض البيت وانهارت دعائمه لأتفه الأسباب ولوقف الإسلام من المرأة فى كيان الدولة كموقفه منها فى كيان البيت والأسرة فقد رأى من الخير لها كما رأى من الخير للمجتمع أن يريحها من عناء الملك وأعباء الحكم ومخالطة الأجانب عنها من الرجال صيانة لها وبعدا بها عن مواضع الشبه ليعصم انسجامها مع زوجها ولتتفرغ لتنظيم البيت وتربية الولد قال ﷺ كما فى صحيح البخارى: « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده » وقال ﷺ كما فى صحيح البخارى « المرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده » . [2]

وهذا أمر عظيم وواجب من واجبات المجتمع ومن شأنه أن يشغل حياتها فى سعادة تتفق مع كريم عواطفها ومن تكوينها الجسمى والاجتماعى. لقد كان الإسلام واقعياً فى تقرير هذا النظام وتحرى سعادة المجتمع به وإذا شذ فى ذلك غيرنا من الأمم فنحن غير

(١) أخرجه البخارى ١٦١/٤ و٣٤/٧ ، ومسلم (الرضاع) ٦٠ وابن ماجة (١٨٥١).
(٢) أخرجه البخارى ٦/٢ و١٩٦/٣ و٦/٤ و٣٤/٧ و٤١ و٧٧/٩.

ملتزمين بأن نخطئ خطأهم ونشذ معهم عن مقتضى الفطرة ودواعى المصلحة وعلى كل حال فإن هذا النظام الإسلامى هو اللائق بأمة ليس فيها رجل ولا امرأة يتردد فى آية من آيات الله ولا سنة من سنن رسول الله وكتاب الله هو الذى شرع للمسلمين أدب الرجل مع المرأة والمسلمون فى حاجة إلى من يرشدهم إليه لا إلى من يردهم عنه إن الله عز وجل يقول :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا ﴾

[الأحزاب : ٣٦]

السعادة الزوجية

عنس الشباب من فتيان وفتيات ورغبوا عن الزواج فكانت كارثة على الإنسانية تخشى عاقبتها لهذا رأيت أن أتحدث عن الزواج .

الآن قد أدرك الشباب سوء عاقبة انصرافهم عن الزواج وأدرك الآباء عواقب المغالاة فى تقدير مهور البنات وأصبحوا يقدرون من يتقدمون إليهم لمصاهرتهم، وتحسنت روح التفاهم فبدأ سوق الزواج في الانتعاش والرواج ومع ذلك مازال وجود الأزمة العالميةوأقبل كثير من الشباب الصالح على البيوت الكريمة ورأيت أن أخفف عن صدور الكثير الذين يتهيبون آثار التفكير فى الزواج وأبين لهم ـ عن تجربة وخبرة ـ فوائده ونتائجه والحياة الزوجية وما يحوطها من هناء وسعادة وأدحض بالدليل المقنع ما يذاع بغير حق ضد الزواج وأتقدم بين حديثى بقوله تعالى:

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منهازوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء : ١]

وفى هذه الآية الكريمة إشارة من الله خالق الأكوان، إلى خلقه أبا البشر سيدنا آدم عليه السلام وخلقه جل وعلا زوجه أم البشر حواء منه وتناسل الخلائق منهما بعد زواجهما.

والزواج هو الرباط الوثيق الذى يجمع روحى الزوجين ويؤلف بينهما ويمزجهما كامتزاج الماء القراح لذيذ الشراب وهو النسيم الذى ينعش النفس كما يتلمسه العليل الذى تتغذى روحه به ويدفع شر الأمراض والسأم عنه وهو العروة الوثقى بين شطرى الإنسانية وهما الرجل والمرأة يجمعهما بالحب الخالص والوفاء والإخلاص والتعاون والتضامن .

والزواج هو أول مباهج الحياة وأطيب متاعها ومسبب إحدى زينتى الحياة الدنيا قال تعالى:

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف : ٤٦]

ولقد كان أبو البشر سيدنا آدم فى الجنة إلى أن خلق الله له حواء وكان منهما مادعا إلى خروجهما منها فكانت زوجه حواء أول عوض له وسلوانا عما كان ينعم به فى جنة الخلد وقد أولته محبتها واخلاصها وواالته بمعونتها ووهبته ثمارها من البنين والبنات فالزواج أداة العمران وأساسه وأولى الدعائم فى تأسيس الأسرة والعائلات والأمم والشعوب والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣]

ولقد خلق الله الإنسان وفضله على سائر المخلوقات وجعل له السيادة المطلقة عليها ومنحه القوة والسلطان والسيطرة والهيمنة فأخضع له الوحوش المفترسة وأذلها له ومكنه من قيادة الحيوان وتسخيره وذلل له البهائم والطير ، ومكنه من معرفة النافع والضار من الحشرات والهوام وسخر له جميع العوالم فبحث فى دفائن الأرض وأخرج من خيراتها الجواهر والمعادن والعقاقير وانتفع بخيراتها من مغروسات وفواكه ونبات وثمار وأزهار، ورزقه من كل الثمرات مما لا حصر له ثم نزل الإنسان إلى قرارة البحار واستخرج منها الأصداف والدر واللؤلؤ والمرجان، وسخر له الفلك تجرى به بأمر الله حيث يشاء وها هو ذا قد بلغ إلى السماء وصعد إليها بأجنحته، ولا تزال أنعم الله تترى عليه ويمنحها له وهذه النعم لا يستطيع أن يتمتع بها إلا إذا كثرعدده ولن يصل إلى هذه الغاية الطيبة إلا بما قد كفاه الله مؤنة البحث والتدبير فيه فخلق له من نفسه إنساناً بشراً يعمل معه ويعاونه وهى المرأة لتكون له زوجا.

قال تعالى:

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [الإسراء : ٧٠]

وقد جعل الله الزواج أقوى الأسباب لإمكان التعاون بين الرجل وزوجه وجعل منه شعورا بينهما يدعو إلى اهتمام كل منهما بالآخر والعمل على دفع الأذى وبث روح

الطمأنينة بينهما وقد أوصى به الرسول ﷺ فى كثير من أوامره وقدره بنصف قيمة الإيمان ولذلك يقول: «من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر» (١) وقال ﷺ «الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (٢)

والزواج ليس مشكلة معضلة بل هو فرض محتوم وأمر لابد من حصوله وإذا خلا الإنسان إلى نفسه وتدبر أمر فطرته وبحث سبب وجوده لوجد أن الزواج دين عليه فى عنقه للإنسانية وواجب أن يؤديه فى حينه بالطريقة التى يبينها الشرع ومن المحتم أن يرد ما أنفق فى سبيل وجوده فى الحياة ليوجد هو نسلا كما أوجده أبواه، ويشعر بأنه من العقوق وجحود الجميل أن يقابل الإحسان الذى أسدى إليه بغيره، ولا يتم له أداء ذلك الدين وتأدية ذلك الواجب والوفاء بذلك الحق إلا بالزواج .

والزواج هو فرض دينى محتوم ،لا يجوز أن تجرى فى أطواره مالا تسمح به الشرائع ولا تجيزه النواميس والديانات مما دخل عليه من البدع فى تقدير المهور وتجهيز الفتيات والتغالى إلى حد التبذير والإسراف والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ ولا تبذر تبذيراً ﴾ [الإسراء : ٢٦]

وقال تعالى :

﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ [الإسراء : ٢٧]

ولهذا أصبحت الحقوق فى سبيل الزواج أساسها الأنانية والخروج عن المألوف وانصراف الناس عن تعاليم الدين واتباعهم أموراً شاذة ابتدعها المضللون وفى مقدور الكتاب والعقلاء وأصحاب الحكمة والتدبير أن يعملوا على تذليل تلك العقبة حتى يرجع الناس إلى المعقول ويقف كل عند حده.

ولقد كان أهل العصور الغابرة فى الماضى البعيد والقريب يتحصنون بالعفة ويعتصمون بالفضائل ويتحلون بمكارم الأخلاق وسمو الشمائل وأعظم فخار لهم وأسمى شعار

---

١ – أخرجه الزبيدى فى « الإتحاف » ٢٨٨/٥ و٣٠٠.
٢ – أخرجه مسلم (الرضاع) ب ١٧ رقم ٦٤ ، وأحمد ١٦٨/٢ ، والبيهقى فى « السنن » ٨٠/٧، وابن كثير ٣٧٧/١ ، والزبيدى فى « الإتحاف » ٨٧/٩.

عندهم هو الحياء والمحافظة على الشرف وصون الأعراض وعدم انتهاك الحرمات وقد وقف الإسلام عند هذه الناحية أعظم موقف إذ جعل القصاص فى مخالفة هذه الفضائل من أشد أنواع العقوبات وجعل فيه حياة قوية ترهب المرتكب وذلك بأن جعل عقاب الزنى « الرجم بالحجارة » والجلد بالسياط .

ويقول الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

سادت روح الحياء وأقام الشرف زمنا طويلاً تحت ظلها ورفعت الفضيلة علمها فى جميع أنحاء الشرق مهبط الأنبياء ومبعث الرسل فدالت دولة الرذيلة وما كان عليه أهل الجاهلية فكثر عدد أهل الشرف وكانوا أكبر الجماعات ولكن قال تعالى :

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾

[مريم : ٥٩]

فلنلجأ إلى الله وندعوه العناية والرحمة حتى يصلح حالنا إلى أحسن حال وهو القائل جل وعلا:

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤]

فهل يستحل الرجل أن يحرم على نفسه من نعم أفاض الله عليه ونعيم كتب له السعادة والهناء وشرف يرفع قدره ويحفظ له بعد الممات ذكره تلك النعمة الكبرى نعمة الزواج والأبوة.

هذه حال لو تأملها القلب القاسى لأصبح رقيق الشعور والإحساس وعمل المصلحون على إصلاحها وسخر الكتاب أقلامهم لصلاحها إن فى ذلك لعبرة لكل ذى ذوق سليم وتنبها لصاحب الرأى الحكيم هدانا الله ووفقنا إلى الصراط السوى المستقيم .

كان الفتى أعظم هم له أن يعمل جهد طاقته لتدبير ما يلزم للإسراع فى الزواج يقتصد من قوته وملبسه لا يعرف للملذات سبيلا وهذا هم كل الشرقيين فلما اشتدت

صلتهم بالغرب كان أول ما نقله إليهم أن فشت الرذيلة وانتشرت روح الحنان الكاذب باسم الرفق بالإنسان وبث دعايته الجرمة الخاطئة لتحرير الجنس البشرى من عبودية موهومة واستعباد مكذوب، فبذر هذه البذور الفاسدة فى نفوسٍ غالبية أهلها على الفطرة وأكثريتها جهال ليس للتعليم سلطان عندهم فوجدت مرتعاً خصيباً لاستقرارها ونموها وتفتحت الأعين أمام ضوء شديد هو لهيب نار الرذيلة وقد بدا سلطانها بإباحة البغاء العلنى والسماح بالمحذورات وبذا وجدت أمامها هشيماً من سذاجة البسطاء فأتت عليهم وجعلتهم رمادا تذروه الرياح الغاوية فانتشرت وامتدت إلى وادى الفضيلة وحاصرته من جميع جوانبه. ولولا بقية باقية من إيمان لرفعت علما وأصبح العهد عهد الفسوق التام والفجور العام ـ والعياذ بالله ـ وقد ظهرت نتائج ذلك بالإعراض عن الزواج إذ أصبح غير مرغوب فيه إلا باشتراطات وقيود وبرغبات وآمال فساءت الحالة إلى أسوأ حال، لطف الله سبحانه بعباده.

ولقد سادت الشرق روح الحياء وهو مهبط الأنبياء وابتعد أهله زمنا طويلا عن شرور المفاسد وكان العاصى فى أى ناحية لا تخفيه أساليبه بل يظهر بعمله فينبذه أهله ومحبوه، وحتى ذلك العهد الطيب كان الفتى والفتاة لا يكادان يبلغان الحلم حتى يشعر كل منهما بحياة جديدة وآمال مقبلة وتمنيات طيبة بما هما عليه من رزق واعتماد على المزيد من الخير ورجاء فى الله بحسن المستقبل ، والعمل والجد وعدم التواكل والرغبة فى العصمة من الخطأ والزلل فسارت الحال حتى عهد انتشرت فيه المدنية وتبدلت أحوال الشرق فتغير خلق الشباب الذى مشى مع التطور فى المأكل اللذيذ والملبس الأنيق والترف فى أنواعه وأصبح لا ينظر إلى المستقبل وأصبح ينظر إليه نظرات سلبية وكان أول ما أصيب به من ذلك هبوط عزيمته عن الزواج ورضاه بالعزوبة إذ يراها أخف وطأة من تحمل المسؤولية التى يكلف بها وهذه التطورات هى التى تدعونا لمواجهة الشباب بالحقائق ودعوتهم إلى الإنصات لما نبديه لهم، فإذا أحسوا بما نبديه من الحجج واطمأنوا لصحتها ووثقوا بمطابقتها للحق فلهم أن يرجعوا إلى أنفسهم ويعودوا بها إلى ما كتب لها من خير وما تقرر عليها من واجب .

والفتى والفتاة خلقا ليكونا الأسرة بعد أن يصبحا زوجين ومن الأسرة تتكون الأم

والممالك وحياة الممالك بكثرة النسل وقد وضح الطريق فعلى الناس أنفسهم ومعرفة كل إنسان قدره وفى هذا منتهى الحكمة وفيه القول المأثور عن الرسول ﷺ حين قال: « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » [1] ـ ولا ننسى أن الله وضع لكل إنسان مكانة وخصه بمنزلته التى هو عليها وفضل بعضاً على بعض ورفع بعضاً فوق بعض ولذا يقول فى كتابه العزيز:

﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ [الزخرف: ٣٢]

﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

وجعل فى هذا التفضيل مميزات اختص بها من يشاء وهذه سنة الله فى خلقه:

﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ [الفتح: ٢٣]

حسن اختيار الزوجة:

وأهم شروط هذا الاختيار كما قدمنا تناسب العمر بين الزوجين وقد ثبت بالتجربة أن وجود فوارق فى السن يؤدى الى شر النتائج، وبالأخص إذا كان الزوج أكبر سناً بمعنى أنه لا يجوز لابن الخمسين أو ما فوقها أن يتزوج بمن لا تقل عن الأربعين سنة لأنه يصبح أمام ذلك فى موضع يجب أن يتدارى منه بمختلف الوسائل أولاها الترضية المادية المستمرة ولو كان على غير سعة من المال ، ثم التغافل عن التقصير وربما تخطى الأمر الى قبول ما لا ترضاه نفس الأبى من المعاملات القاسية .

أما إذا تناسب السن بين الزوجين فأولى نتائجه قوامة الرجل وحفظ مكانته فى نفس زوجه وتقديره لعواطفها ومبادلتها الحب والإخلاص وتعاونهما معا على السير فى طريق الحياة الطيبة .

(١) لم أجده فى المرفوع.

تناسب الثروة والبيئة والعائلة:

ولابد أن تكون حالهما متقاربة فإذا رغب الشاب فى زواج من تكون أحسن منه حالاً فى الثروة فليكن الفارق بينهما قريباً جدا لأن التجربة أثبتت المضار الشديدة والصعوبات التى توجب دوام الشقاق من وراء ثروة الزوجة وفقر الزوج والأمثلة على ذلك كثيرة جدا وفى الواقع مشاكل لا تحصى ومآس لا حصرلها وأول ما عرف من ذلك تعاظم الزوجة على زوجها المسكين وكبرياؤها التى تقهره على الطاعة لها والخضوع لأوامرها، ولا يمكن أن ننسى أهل هذا البائس الفقراء فقد يصبحون فوق فقرهم موضع سخرية واحتقار بل ربما حرموا رؤية ولدهم فى أركان حياته الزوجية وكان من المستحيل ارتباطهم مع زوجة ابنهم.

وإذا فرضنا وكانت الزوجة الغنية كريمة العنصر طيبة المحتد وأقامت مع أهله فما الذى يمكنهم من مجاراتها فى نعيمها أو يمكنها من الاندماج فيهم وهى عنصر جديد بعيد كل البعد عن هيئتهم ومعيشتهم فإذا اتسعت فجوة الفرق فى الثروة بين الزوجين فلا يمكن رتقها ولا يعقل أن يكون زواج فرد داعياً لنكرانه لأهله ونفوره منهم وتعاليه عليهم فيهجر عشرة قضى فى خلالها ما مضى من عمره، أو ينسى أبوين كانا سبب وجوده، أو يقاطع بيئة نشأ فيها وتربى وترعرع .

ومن العدل والإنصاف عدم إكراه الزوجة على نسيان وسط نشأت فيه وحياة تعودتها وعيشة درجت عليها إذ ربما تسوء الحال فتعود الفتاة إلى بيت أبيها وتلك هى الطامة الكبرى والبلاء المبين وقد يلجأ الزوج لمجاراة زوجته إلى وسائل التظاهر بالمقدرة والثروة فيضطر إلى الاستدانة وهى المصيبة العظمى.. لهذا كله يجب أن يكون تناسب الحال بين الزوجين فى الثروة والبيئة أول ما يعنى به فى تدعيم الحياة الزوجية .

التناسب فى التربيةوالتعليم:

فقد يكون الزوج عالما مثقفاً فيخطب فتاة غير متعلمة يعتقد فيها معرفة الواجبات والفرائض ولها عذرها فى عدم تعليمها ويكون ذلك مثار الجدل والمنافسة ، أما إذا كانت الزوجة مثقفة متعلمة متفوقة عليه فى التعليم فكم يكون خجله وضعف موقفه وربما وصلت الحال إلى الاستهتار وإنكار ما له عليها من واجب.

إذا وفق الزوج وأحسن الاختيار وسار فى طريق التناسب فى السن والثروة والتعليم ومنحه الله زوجة استكملت شروط الزوجية فعليه أن ينظم حياته ومعيشته تنظيماً يكفل له الراحة والهناء وأساس ذلك أن يدرك ويحقق أن له حقوقا على زوجته وعليه واجبات لها فلا يفرط فى حقوقه ولا يبخسها أشياءها ولا يظنها أسيرة أوامره. كما لا يسمح لها يتجاوز حدودها وأول ما يجب عليه أن يتفق معها على عمل ما يرضيه ويبين لها كل ما يغضبه فلا يتراخى فى أول عهده بالزواج فى السماح بأمور يمنعها عنها فى المستقبل، ولا يتشدد فيما يراه مباحاً ومن ذلك أن كثيراً من الأزواج يتباهون بتقديم زوجاتهم لأصدقائهم ويسمحون بالاختلاط مع أقاربهم وقد يجر ذلك إلى بعض الظنون والشبهات - بغير حق - فى المستقبل، وقد يجر الاختلاط إلى ما لاتحمد عقباه وفيه من تعدى حدود الشرع والعرف والعقل الأمر الذى يفسد كل شيء ويجلب الشقاء والتعاسة فأولى لهم أن يحتفظوا بالواجب وألا يتطرفوا فى التصريح حرصا على صفاء القلوب كما أن بعضا من الأزواج يبيح لزوجته الخروج من دارها وقتما تشاء ثم يعود فيستنكر عليها ذلك فواجب الزوج أن يحرص على منع ما يكدر صفو العيش مع زوجته وأن يتفق معها فى هدوء وسكينة على كل ما يجلب لهما الهناء ويبعد عنهما الكدر والشقاء. ويجب أن يظهر الزوج أمام زوجته بحقيقته الكاملة فلا يخفى عنها يسره ويدعى العسر وبالضد لا يدعى الإعسار ويخفى عنها اليسار وواجب الزوجة أن تعرف حقيقة حاله وتتأكد مما هو عليه ليدفعها حب التعاون على الخير ألا ترهقه ولا تحمله مالا طاقة له به وتنظم حياتهما البيتية وفقاً لما تعرفه وليعودها الطمأنينة وحسن الظن الدائم وليحملها على الاشتراك العملى فى تحمل المسؤوليات وتعرف الأمور حسبما يقتضيه الحال.

الاحتفاظ بما بينهما من أمر مكتوم أو سر محفوظ:

فلا يذاع من أحدهما عن الآخر ما لا يرضاه.

عدم تجاوز حد المقبول فى الهزل أو الجد:

وما أقبح الإفراط فى الهزل، إذ ربما يؤدى إلى الخصام ولا يصح أن ينسى أحد الزوجين كرامة الآخر أمام أى إنسان ولو كان ذا قربى إذ ربما يبدو بحسن ظن ما ربما

يؤول على ضده وأول ما يظن عدم الاحترام فواجب الزوجين الاحتفاظ بكرامة كل منهما أمام الآخرين.

تعاون الزوجين على حسن تربية أولادهما:

وذلك أن يقوم كل منهما بما هو خاص به ولا يقصر فى واجبه.

اجتناب الهزل والنزاع والشقاق أمام أولادهما:

فإذا مرت بهما سحابة اختلاف وجب عليهما أن يصبرا حتى يختليا ثم يتناقشا الحساب وليكونا مثالا حسناً وصورة ظاهرة للخلق الكريم وما يصح أن يقلده أولادهم فيه من الأعمال الصالحة وأعظم الواجبات أن يتحاشيا الخطأ والزلل وفحش القول أمام الأبناء.

تعاون الزوجين على الاعتدال فى الإنفاق:

وعدم التقتير والإسراف والعمل على حساب المستقبل والاهتمام بحياة أولادهما المقبلة وتعويدهم عمليا على السير فى المستقبل .

ويجب أن يكون كل من الزوجين محباً لأهله باراً بهم محترماً لهم كما أنه يجب أن يكون محترماً لأهل الآخر وقد يكون هذا مما يغرس الحب والوفاء ويوجد الألفة والصفاء، ويضرب على أيدى الدساسين والدخلاء .

واجب الزوج الأمين أن يعمل فى السر والعلانية ما يثبت إيمان زوجته بحبه لهاووفائه لعهده، ويؤكد عفته وأمانته واستقامته ويبعد عنها وساوس الشيطان لأن الظن والشك مما يصدع بناء ألفتهما والبناء إذا تصدع لابد من رأبه ومواد الإصلاح إعادة الثقة وحسن الظن وهما ليسا من السهولة كما يظن إذ يجب أن تصل آثارهما إلى سويداء القلب فتمحو ما علق بجدرانه ويخشى إن استمر التصدع أن ينتهى إلى التضعضع والتهدم، ولا يمكن إصلاح القلب الكسير المتهدم بسهولة وبغير مشقة وعناء فاستقامة الزوج هى الدعامة الدائمة التى تحوط هيكل الزوجية بسياج الحفظ والوقاية .

أحلى ثمار استقامة الزوج وفاء الزوجة وإخلاصها والدأب على مرضاته والاستقامة

هى العفة وعدم السقوط فى مهاوى الزلل والمنكر واجتناب المعاصى والموبقات والبعد عن الرذائل وحسن التصرف وإقرار الأمور فى نصابها وقلة الإسراف والتبذير، وعدم الشح والتقتير، أو مد اليد إلى الاستدانة أو التظاهر بما ليس فيه من جاه وثروة.

استقامة الزوج أعظم منهج من مناهج التعليم للزوجة والأولاد إذ يكون الأب هو القدوة الصالحة والهدى الذى يسير الجميع على نبراسه ومن ورائها إتقان الزوجة جميع واجباتها لزوجها فتكون بارة به معاونة له فى سرائه وضرائه فى نعيمه وشقائه فى عسره ورخائه فى فرحه وترحه تقاسمه كل ما تستطيعه من مقدور جلبا لنعمائه وهنائه وتعمل على زيادة سعادته وتسعى لتفريج كربته فهى شريكة حياته والأمينة على أسراره بعد مماته وهى الأساس القوى لبناء المملكة العائلية التى يرفرف عليها علم الصفاء فتكمل السعادة ويعيش أفرادها فى ظل السعادة والرخاء .

- واستقامة الزوج صون لعرضه واحتفاظ بشرفه ومحافظة على سمعته وكرامته وعلى الضد إذا زل الزوج فإنما إثمه على نفسه إذ يهدم بيده بنيان بيت الزوجية ويقضى على هنائه ويعمل بنفسه على شقائه، وربما امتدت نار الدمار إلى كل من فى البيت فيصبح هشيما لا يمكن إعادته .

يافتيان وفتيات قدروا مبلغ العفة والاستقامة وانظروا إلى عواقب الشرف وقوموا نتائج الحياء وراجعوا أمر الله فى كل الديانات وابحثوا فى مصدر وجودكم فى هذا العالم تجدوا أن عملية الحساب التى تضعونها وتظنون صعوبتها سهلة الحل فكما أوجدكم آباؤكم توجدون نسلكم وكما قاوم أهلوكم صعاب الأمور لنشأتكم قاوموها أنتم وقد أقبلوا وهم غير خائفين فأقبلوا غير هيابين والحياة جهاد واليد العليا خير من اليد السفلى انظروا إلى الحياة بعين الأمل وقوة الرجاء واهدموا اليأس بالشجاعة والإقدام .

اعملوا أيها الشباب الناهض للغد ولا تكتفوا بالعمل لليوم فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

الزواج دعامة الفضيلة وللسعادة الزوجية أبواب عديدة إذا ولجتموها أدركتم حلاوة لذائذها وذقتم طعم حلاوتها وأولها صون الأعراض والمحافظة على الأحساب وفيها

مرضاة الله بالبعد عن الفحشاء والمنكر وفيها القناعة والرضى وفيها الاتجاه إلى صرف الحياة والعمر فى النافع والعمل على عمران الكون وهأنتم رأيتم الإنسان يحارب أخاه الإنسان ويقتل وقته فى ابتكار مهلكاته ويتفنن فى اختراع كل ما يسرع إلى فنائه وإبادته بالسلاح الفتاك والآلات المدمرة والغازات الخانقة والمواد السامة ويتباهى ويتفاخر بابتكار وسائل الفناء وبذا تضيع ملايين الأرواح .

ويمكن لمن يريد التمتع بالسعادة الزوجية أن يتمسك بقول الحكيم القائل «إن الطيور على أشكالها تقع » وحكمة هذا القول أن التجانس والتوافق يؤديان إلى التعاون الروحى إذ إن أى إنسان لا يدرك حقيقة من يعاشره، تتجه ميوله إلى مرضاة أطماعه وإشباع رغباته ، فالزوجة إذا حرمت نعمة التعاون مع زوجها امتد نظرها إلى من هو أكبر منها جاها ومالاً وطلبت محالا المساواة به وهنا تضطرب الحياة الزوجية ويتعذر الوصول إلى ما ما تريد، ولا تستطيع أن ترتد عن أطماعها فهى تطمح إلى المزيد من رغباتها وآمالها وأنى يمكن الوصول إلى ذلك ومدى استطاعة الزوج قصير فإما أن يجاريها ويعمل لمرضاتها فيسلك سبلا يتفنن فيها للحصول على ما يسد أطماعه وتلك السبل هى طريق الدمار وهاوية الشقاء والتعاسة وأولها الاستدانة وربما لا يجد من يقرضه ولما تضيق به الغاية ينحرف إلى طرق التذلل والاستجداء .

والطامة الكبرى إذا حل الوقت لسداد الدين وقلت الاستطاعة ودنت الساعة وحكم القضاء بسداد الدين أو الوفاء واستخدم الدائن قوته وفقد شفقته ورحمته وامتدت أيدى المحضرين إلى ما فى البيت من متاع وسلبت ما فى البيت وما فى الجيب وما على الجسم وظهر شبح الفقر والفاقة.. كل هذا من وراء التطلع الى ما فى أيدى الناس هذا إذا ملك الزوج نفسه وسلك طريق الاستدانة ، إما إذا ساير شيطان الغواية وهجر طريق الهداية ومد يده إلى مال مؤتمن عليه فاختلس منه ما يرضى زوجته أو تسقط الفضل وطلب الرشوة أو تسفل إلى السرقة ووقف بين كفتى القضاء لسؤاله عما ارتكب أو حسابه على ما سلب وقضى عليه السجن وحم القضاء ونفذ البلاء فتكون الطامة الكبرى والداهية الدهياء فقد خسر الشرف والعزة وانهدمت أركان العائلة وحل بجميع أفرادها وأولهم الزوجة الخراب والدمار.

فالقناعة والرضا يبعدان كل هذه العواقب ويحفظان العائلة من هذه المحن والمصائب والأضرار، و القناعة أيضا واجب على الرجل أكثر من الزوجة إذ علمتنا الحوادث أن كثيرا من الأزواج يسير إلى نوال مطامعه وشهواته فى طرق مخوفة نتائجها الفزع الأكبر والخراب العاجل فقد يظن الغنى بالقمار وما علمنا مطلقاً بثراء مقامر وكل المقامرين خاسرون لأن القمار نوع من أنواع السرقة ولو كانت القوانين الوضعية بين بنودها ما يظهر حقيقة المقامر لوجد أنه الأحق بالعقوبات الشديدةوالأحكام الصارمة إذ يتحايل على صديق له أو عزيز عليه أو إنسان يصاحبه ليسلب ماله وينقله من جيبه إلى نفسه، والمقامر لا يصح أن يسمى لصا فقط لأن اللص يسرق ليعيش ولكن المقامر يسرق مال صديقه بالحيلة والمخادعة ويجاهر بأساليبه وهو يعمل فى الوقت نفسه على إفلاس نفسه وضياع ماله واللص يسرق في الخفاء والمقامر يسرق فى العلانية واللص يتحاشى فضيحته والمقامر يفاخر بفعلته ويباهي بسلب مال غيره واللص يسرق ويعود إلى بيته ويخفى أعماله عن زوجته وأولاده والمقامر يعود خاسراً فتمتد يده إلى حلى زوجته وما عندها من مال ولا يقف عند حد إلا إذا خسر ماله وأجاع عياله وأفسد حاله فإذا سار الزوج فى هذا الطريق الوعر المخيف فقد جنى أعظم الجنايات وارتكب أشد المنكرات والموبقات وقد يريد بعض الأزواج الغنى بالمقامرة التجارية وهو قليل المادة فيشتغل فى المضاربات وربما زينت له في الأمر بعض الصفقات فيربح منها وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى يكشر له الحظ عن أنياب تأكل جميع ما نال ويفسد حاله فى الحال والاستقبال. وقد يسير بعض الأزواج إلى نوال مطامعه وظهوره بمظهر كاذب ولا يقنع بما عنده ويضم إلى ما فى يده أشياء أخرى بعد أن يقدم ما بيده تأميناً للرهن فيضيع القديم والحديث وكل هذه أدلة قاطعة على أن تعاون الزوجين والقناعة والرضى بما هما عليه يؤدى إلى السعادة بلا مراء ويحفظ أسسها ويقوى دعائمها الوسط الملائم لمعيشتها فلا تصح المغالاة والخروج رغبة الظهور الكاذب والادعاء بغير الواقع فإذا لم يكن فى مقدورهما استئجار مكان بأزيد من دخله فقد يؤدى هذا التصرف المعيب إلى العجز عن سداد المطلوب وربما يضيع أثاث المنزل وأدواته فى دفع قيمة الإيجار وإذا عرف الزوجان قدرهما فإنهما لا يختلطان بمن لا يتفق مع حياتهما المالية فإن عاقبة ذلك الظهور الكاذب إنفاق الأموال ولا يمكن

استعاضتها وهذا ثمنه التفاخر بمعرفة فلان باشا وعائلته وفلان بك وأهل بيته فضلاً عن أخلاق الفئتين والفوارق الكبيرة بينهما وربما كانت نتائج أدبية سيئة ذلك أن الكبراء حينما يشعرون برغبة من هم أقل منهم بمساواتهم يأنفون من ذلك ويتعالون عليهم ويسيئون ذلك أن الكبراء حينما يشعرون بما لا يرضيهم فربما جر ذلك إلى الإيلام والتوبيخ وهذا ما يؤذى الزوجين ويفسد عليهما حياتهما الزوجية وأساس البلاء والشر المبين كثرة تزاور الزوجات فقد تزور الزوجة سيدات من جاراتها ولا تعرف عن سمعتهن وعن أزواجهن شيئاً ويزداد التعارف على جهل بحقيقة كل منهما وربما يعرف زوجها عن الواقع الذى يستدعى عدم الاختلاط حتى إذا أشارت إليه زوجته بأمر هذا الاختلاط دب إليه بعض الوساوس وسعى بينهما شيطان الظنون بما لا تحمد عقباه.

فمن أسباب السعادة الزوجية قلة اختلاط السيدات بعضهن ببعض وبالأخص فى أوساطنا النسائية الاجتماعية فلا يعلم أحد ما تدور عليه الأحاديث فى تلك الاجتماعات وأكثر المشهور عنها المباهاة بمشترى الملابس والحلى والخروج إلى النزهة والاجتماع بكذا وكذا فالتى لا تعرف منهن إلا بيتها وواجباتها قد تشعر بحرمانها مما تتمتع به غيرها وتصبو نفسها إلى تقليدهن وتتوق إلى تلك المتع التى لم تفهم أساسها وقد يؤدى هذا إلى العتاب والملام والشجار والعناد والإصرار وتكون النتيجة الفساد والإضرار .

فالزوجة العاقلة الوفية تعمل جهدها على عدم فتح هذا الباب ولا أعنى حبسها فى بيتها أو حرمانها من صاحباتها أو عدم تزاورها مع جيرانها كلا فإنى عدو ذلك وأريد لها المتاع الحسن والسراح الجميل وإنما أدعوها الى حسن الاختيار والتصرف الحسن ويدعونى سوء ما وصلنا إليه من تدهور الأخلاق إلى الحذر الشديد والحيطة القوية فكم يجر التسرع إلى اتهام الأبرياء والاعتداء على المحصنات الغافلات.

والأمر كذلك مع الزوج فلا يصح له الاختلاط إلا بمن هم على شاكلته (وأعنى الزوج المستقيم) فلا يجتمع مع المضللين ولا يحضر إلى بيته إلا أصحاب السير الحسنة والأخلاق المرضية لأن من أضرار الأزواج دعوة أصدقائهم إلى بيوتهم ليعاقروا الخمر ويلعبوا الميسر ويسخروا زوجاتهم لاستحضار الأطعمة التى يتناولونها مع الخمر وتبقى الزوجة المسكينة ساهرة طول الليل لا ينالها من جراء ذلك إلا الزوج السكران يهذى

ويعربد ويطفح وهذا كله يؤذى الزوجة ويضعف محبتها ويفقد وفاءها ولا يخفى ما يكون من وراء ذلك من الإسراف والإنفاق من المال فى سبيل الفساد والشر ولا يعلم غير الله ما يلتقطه صغار الأطفال وما يعلمه كبارهم تقليدا لأبيهم واقتداء بمن هو رب عائلتهم ورئيس مملكتهم البيتية الصغيرة فعلى الزوج الصالح أن يتفادى الوقوع فى مخالب هذه الشراك بالمحافظة على واجباته فيتمتع بأولاده ويرعى شؤونهم ويهتم بأمورهم ويدبر حاجاتهم ويقضى حوائجهم ووصوله لذلك ميسور بانقطاعه لعمله وعدم ولوج أمكنة الأشقياء والابتعاد عن مواطن الاشرار.

والزوج البار لا ينسى أن إرهاق زوجته وتكليفها بما ليس فى وسعها مما يزهدها فيه ويرغبها عنه ويحرمه حبها وإخلاصها ومما يوثق روابط السعادة الزوجية ألا يطمع فى مالها إن كانت ذات مال ويشعرها بالزهد فيه ويهيىء لها أسباب الاطمئنان من هذه الناحية بأن يتولى تدبيره إن هى طلبت منه ذلك ويحفظه ذخيرة لها تنفع به أولادها حتى لو كان ذا حاجة إليه فمن واجبه أن يتعفف عنه اللهم إلا إذا تقدمت هى عن كامل الرضى ومن تلقاء نفسها وقدمته إليه إن كان فى حاجة إليه وزيادة فى المتاع إن كان ذا ميسرة وفى هذه الحالة يدبرانه معا لأولادهما أما إذا أظهر الزوج حاجة إليه وكان فى غنى عنه فهذا ما يضعف هيبته فى نظرها ويقلل من مكانته عندها.

وإن كان ذا ميسرة فواجبه أن يجيب المعقول من طلباتها ويظهرلها الرفض فى غير المعقول ويسايرها فى هوادة للانصراف والصرف عن غير ما يلزم حتى لا تتشدد معه أو يكون عناداً بينهما يؤدى إلى مالا تحمد عاقبته وإن كان فى عسر فعليه إعلانها به لمشاركته فى تفريجه وتخفيف ضائقته.

فتعاون الزوجين فرض محتوم لسعادتهما الزوجية أما ما يسير عليه الجهلاء من اعتقادهم الهيمنة الضارة والسيطرة المطلقة للرجل على زوجته فهذا لا يقبله العقل والمنطق، والدين الإسلامى الحنيف عدو للظلم والإرهاق وقد أمر الزوجة بما يصونها ويحفظ كرامتها ويذهب عنها الرجس ويطهرها من الدنس وليس من العدل أيضا أن تسير طوع هوى نفسها أو تنكر وجود زوجها فإن لها حقوقاً تتمتع بها ولزوجها عليها حقوق تؤديها له وعليه هو واجبات ومسؤوليات يقوم بها ولها حقوق يؤديها إليها ولذلك

قال تعالى :

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا ۞ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ۞ يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ۞ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما ۞ يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ۞ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ۞ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيراً ﴾ [الأحزاب ٢٨ – ٣٤]

من هذا الخطاب الجميل تدعم أسس الحياة الزوجية بالبر والتقوى ويتمتع الزوجان كل منهما بحقوقه وهناء السعادة والنعيم المقيم.

اللهم جملنا بخلق النبى ﷺ وجمل أزواجنا بخلق أزواجه وارض عنا واهدنا بهديك إلى الصراط المستقيم.

هذا ولقد بلغ من جبروت الإنسان أن نسى ربه فأنساه نفسه وحقت كلمته عليه وكما سبق القول فقد بالغ فى محاربة نفسه وبنى جنسه فعمل على أن ينقل أخاه من الإنسانية إلى البهيمية ودفع به إلى فعل ما تتعفف عن فعله الحيوانات والعجماوات وجد فى ابتكار المكيفات والمغيبات والمخدرات المذهبات للعقول المضيعات للكرامات المعدمات للشهامة العاملات على فقدان الشرف والاحترام .

مواصفات الزوجة الصالحة

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك» (١)

شرع الله الزواج لإحصان النفس وصيانة العفة وتكثير النسل وليجد الرجل إلى جانبه امرأة فاضلة تسكن إليها نفسه وتسكب فى نفسه من حنانها وعطفها ومودتها ورحمتها ما يمحوا آلامه ويؤنسه وتشاطره سراء الحياة وضراءها وتعاونه على تربية أولادهما تربية فاضلة تعدهم للحياة إعدادا كاملا وتزودهم بكل الصفات التى تكفل لهم النجاح فى مستقبل حياتهم ليكونوا خليات حية فى جسم الأمة التى يعيشون فيها وليكون عندهم استعداد لتأدية رسالتهم فى الحياة على ماترجوه منهم البلاد ويتطلبه مجد الوطن.

ولما كانت هذه هى أغراض الزواج السامية كان ضروريا لكل رجل عاقل يقدر تبعة أعماله وينشد الصلاح لنفسه ولأمته أن يحسن اختيار شريكة حياته وأن يتطلب فيها المؤهلات التى تجعلها زوجة بارة تحسن القيام بواجبه، وبواجب أولادها حتى تتكون منهما أسرة سليمة الأعضاء يسود فيها الوئام والحب والاحترام ويتكافل أفرادها على القيام بواجباتهم خير قيام .

وما من شك فى أن الأسر إذا استقام أمرها وصلح أفرادها فإن الأمة فى مجموعها ترتقى إلى ذروة الكمال فما الأمة إلا مجموعة من الأسر وكل أسرة بمنزلة عضو من جسم وكانت الأمة فى منعة من عوادى التحلل التى تمزق أوصالها وتعجل إليها الفناء.

فالحرص على سلامة الأسرة واجب وطنى جليل فضلا عن أنه واجب دينى ودعامته ترتكز عليها سعادة الأفراد فمن أحسن اختيار زوجه وتعاون معها على القيام بواجبها الدينى والحيوى فقد أسدى لبلاده يدا بيضاء وأدى لها واجبا من أقدس الواجبات .

لكن ما هى الصفات التى ينبغى أن ينشدها الرجل فى المرأة قبل الإقدام على الزواج ؟ .

(١) سبق تخريجه .

لقد كانت هذه المسألة ـ ولا تزال ـ من أعقد المشكلات التى واجهتها الأمة بعد أن ضعفت الروح الدينية فى نفوس الناس فترى الرجال تختلف آراؤهم فى تقدير صفات المرأة بحسب اختلاف أغراضهم وميولهم ومطامعهم فكل منهم له غرض يسعى إليه فيطلب الزواج بمن يرى أن تحقيق غرضه متوافر عندها أكثر من غيرها ولا يهمه بعد ذلك إن كانت مستجمعة لصفات الزوجة البارة التى تجعل حياته نعيما أو غير مستجمعة لها فتجعل حياته عذابا أليما .

فمن الرجال من لاهم له إلا أن يتزوج فتاة أو امرأة موسرة ليستمتع بمالها وليتخذ منه عتاداً لأغراضه ووسيلة لإشباع شهواته وليرثها إن سبقت منيتها فتراه يجهد نفسه فى البحث عن المرأة الثرية وسواء عليه أكانت مهذبة الخلق وكريمة المنبت أم كانت خضراء العرض، بذيئة اللسان مستهترة لا ترعى للكرامة ولاء ولا ذمة، ولا تحفظ للزوج عرضا ولا شرفا فالمال عنده هوكل شيء أما صفات المرأة الذاتية فأمر تافه فى نظره وليس من اختصاصه أن يبحث عنه وما أكثر ما تجد هذه النزعة السيئة مسيطرة على عقول الشباب من أبناء هذا العصر وما أكثر ما نسمع من الكثيرين منهم أن المرأة الغنية هى كل شيء فى الحياة فإذا ظفر أحدهم ببغيته وكان أقل من امرأته مالا فهنالك الاستعباد الذى يقتل الكرامة والذل الذى يهون دونه الموت وإذا وعظت أحدهم وحاولت أن تلفت نظره إلى المؤهلات الشريفة فى المرأة وإلى أن المال لا يجلب السعادة وحده فإنه يبسم لك ابتسامة السخرية أو يبرر غرضه بحجج واهية كأن يقول لك إن المرأة الغنية تعين الرجل على التمتع بمباهج الحياة التى قد لا تيسر له موارده المالية التمتع بها ولا تكون عبئا على الرجل فى أوقات الأزمات الخانقة إلى غير ذلك من هراء القول الذى إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأهواء قد أفسدت عقول أكثر الناس وأقفرت قلوبهم من الإيمان بالله والوثوق به.

ولا يتوهمن أحد أن زواج الموسرة شر على الإطلاق فقد تكون المرأة ثرية ومع ذلك يكون عندها من فضائل الأخلاق ما يجعلها قرة العين ويسمو بها إلى المثل الأعلى للمرأة الكاملة، فمثل هذه تكون قد أوتيت حظاً عظيما من الثروة وكمال النفس ويكون من اقترن بها قد فاز بخير شريكة فى الحياة، ولكن الذى ننعى عليه أن يكون

المال وحده مطمح الرجل فى الزواج فلا يبحث عما وراءه من كمال المرأة وسمو خلقها.

ومنهم من يستهويه الجمال ويملأ عليه حسه ومشاعره وعقله وقلبه ووجدانه فلا يطلب الزواج إلا بفاتنة الجمال وقد يكون فى جمالها شقاؤه وتعاسته لأنه كثيراً ما يغرى المرأة على الإخلال بأقدس واجبات الزوجية وما نسمعه وما نقرؤه كل حين من أنباء الحوادث الفاجعة التى هدمت حياة كثير من الأسر يغنينا عن الإسهاب والتدليل .

ومنهم من لاهم لهم إلا الاقتران بذات الحسب والجاه ليفتخر يوما على غيره وليجد من حسبها وصيت أهلها وسيلة لبلوغ بعض مآربه كما يفعل كثير من الشبان الراغبين فى الرقى فى وظائفهم فيسعون إليه من طريق الاقتران بإحدى بنات رؤسائهم وبذلك يظل أحدهم أسيراً لها ولذويها طول حياته وقد يدب الشقاق بينه وبينها لسبب ما فيجر عليه الشقاء.

ومن الناس من سمت نفسه عن المطامع وكملت رجولته فلا يكون له رغبة إلا فى اختيار امرأة متدينة ليقيم وإياها حدود الله وليتعاون معها على إعداد أولادهما للحياة الشريفة إعداداً كاملا وما أقل هؤلاء فى الناس .

تلك أغراض الناس ورغباتهم فى الزواج وقد وضحها النبى ﷺ وأخبر عنها بقوله: «تنكح المرأة لأربع لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها »وهذا إخبار منه ﷺ عما يقع من الناس فى مختلف العصور فإنهم يقصدون من الزواج هذه الصفات الأربع . ولما كانت سعادتهم لا تتوافر إلا بدين المرأة قال « فاظفر بذات الدين تربت يداك » أى انشد فى الزواج ذات الدين واجتهد فى الظفر بها لتنال سعادة الدنيا والآخرة وتربت يداك خبر بمعنى الدعاء لا تريد به العرب حقيقته وإنما يقصدون به زيادة الحث على ما يكون المرء بصدده من الأعمال فهو كقولهم « قاتله الله » فالرجل العاقل حقاً هو من يجعل دين المرأة رائده فى اختيار شريكة لحياته .

وقد بين النبى ﷺ فى حديث آخر السبب فى وجوب الاحتراز عن زواج المرأة لمالها ولجمالها وحدهما إذا كانت عاطلا عن الدين فقال « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى

حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل » (١)

المرأة الدينية هي خير متاع الحياة وخير ما يكتنزه الرجل لأن دينها ينأى بها عن الفحشاء والمنكر ويحملها على المحافظة على مال الرجل وعرضه وشرفه وكرامته وعلى التوفر على القيام بواجباته الزوجية وعلى تربية أولاده على فضائل الدين وآدابه ويجعل قلبها مطمئناً راضياً بالعيش معه بحسب ما قدره الله له من يسر أو عسر وهي أرفق الناس بالرجل إذا نزلت به كارثة فلا ترهقه ولا تشق عليه ولا تكدر عليه صفو حياته ودين المرأة هو الذى يجعلها مطيعة له فلا تخرج من بيته إلا برضاه ولا تدخل فيه أحدا يكرهه بدون إذنه .

وإنى لعلى يقين من أن الرجال إذا عدلو رغباتهم فى الزواج، وكان مطمحهم دين المرأة وخلقها فإن ذلك يحمل الفتيات والنساء على التدين لأن المرأة يهمها دائما أن تتوافر فيها الصفات التى تعجب الرجال وتنال بها استحسانهم خصوصا إذا كانت على أبواب الزواج فإذا كانت رغبات الرجال منصرفة إلى خلق المرأة ودينها أكثر من مالها وجمالها فإن ذلك يبعث فيها روح التدين والخلق الكريم .

أما إذا استمرت رغبات الرجال فى صفات المرأة على ما نراه من العوج فستظل الأخلاق فى فساد مستمر ومن يعلم كيف تطورت أخلاق النساء فى بلادنا إلى الفساد فلابد أن يحكم بأن أكبر تبعة فى ذلك ملقاة على عواتق الرجال، فهم الذين زينوا للمرأة أن كمالها إنما هو فى اطراح تقاليد الدين والأخلاق والتبرج فى الأسواق والملاهى والمصايف والأندية والمرافق فانخدعت بتزيينهم لتكون موضع استحسانهم فلما نبذت خدرها وبرزت إلى مواطن الخلاعة نبذوها وتنكرو لها وأنفوا من أن تكون شريكة لهم فى حياة الزوجية الوادعة فظلت المسكينة متعة مبتذلة، وها هى ذى اليوم تجنى سوء تصرفها فى إحجام الرجال عن الزواج ريبة منهم فى سلوكها.

فعليكم يامعشر الرجال بذات الدين لتكون لكم قرة عين تجلو بنور روحها ظلمة

---

(١) سبق تخريجه .

حياتكم وتأسو بعطفها وإخلاصها جراحات قلوبكم وتجعل بيوتكم جنة وارفة الظلال ونعيما لا يعتريه الزوال .

للزواج فوائد كثيرة وثمرات جليلة فإليه يستند نظام الحياة وتستقر قواعد العمران، وبه تطهر الأمم من جراثيم الفساد وتسود الألفة بين العباد .

فهو السبب الأعظم فى بقاء النوع الإنسانى على أحسن وجه وأكمل نظام، وهو الوسيلة العظمى لعفة النفس وصيانتها عن الوقوع فى المحظورات وهو السبيل الأسمى إلى التعاون بين أفراد الأمم لما فيه من إنشاء الصلات بين الأسر وتقوية الروابط بين العائلات حتى تصير كل عشيرة عضداً وعونا للأخرى على جلب المصالح ودفع المضار.

وإذا استقامت أحوال أمه ونأت عن المنكرات بجانبها وسرت روح التعاون بين أفرادها فأخلق بها أن تقتعد غارب المجد، وتتسنم ذروة الشرف وتكون فى حلبة الفخار مضرب الأمثال .

وقد جرت عادة الناس أنهم يرغبون فى الزواج بالمرأة لواحد من الأغراض الآتية :

فالبعض يرغب فى الزواج بالمرأة لمالها . ولو كانت وضيعة الأصل دميمة الخلقة كريهة المنظر مسلوبة الحياء ويعلل تلك الرغبة بأن المرأة إذا كانت ذات مال فقد تستغنى بمالها عن مطالبة زوجها بتحقيق ما تحتاج إليه وقد يرزق منها بولد فيعود إليه مالها بالميراث، ولكنهم ـ وقد تملك حب المال عقولهم ـ غفلوا عن المتاعب التى تلحقهم من جراء ذلك الزواج المادى والتى لا تعد تلك المنافع فى جانبها شيئاً مذكورا.

والمرأة شحيحة بمالها تحقر زوجها ويصغر فى عينها إذا رأته يتناول من مالها شيئاً ويصرفه ولو فى خاصة نفسها وأولادها كما هو معروف مشاهد . وذات المال من النساء تكون ـ فى الغالب ـ طاغية عاتية، متجبرة قاسية لا ترعى لزوجها حرمة ولا تحفظ له كرامة اللهم إلا إذا كان لها دين يجملها بمكارم الأخلاق فإنها والحالة هذه تكون لبعلها خير قرين وأصدق معين . ولا شك أن تعاظم المرأة بمالها على الرجل ورغبتها فى الأخذ بزمام زوجها فيه عكس للسنة الإلهية فإن الله تعالى جعل الرجال قوامين على

النساء قيام ولاية وملازمة ورعاية وإصلاح وتقويم لما فضلهم عليهن من تمام العقل وكمال الدين وبما التزموه لهن من الإنفاق ودفع المهور، فأولئك القوم الذين يطلبون المرأة لمالها غاضين الطرف عن أخلاقها قوم سفهاء الأحلام ضعاف الثقة بالله قد رضوا لأنفسهم فى سبيل هذا الحطام الفانى بحياة المهانة والذل والاسترقاق .

والبعض يرغب فى الزواج بالمرأة لحسبها أى شرفها بآبائها وأقاربها وهذا ممدوح شرعا فإن الشخص يسن له أن يتزوج امرأة عفيفة طاهرة ، نبتت فى بيت شريف وانبسقت من أرومة عريقة ويكره له أن يتزوج بالخسيسة الدنيئة كبنت الزنا واللقيطة ومن لا يعرف لها أصل بين منابت العقائل الخيرات الطاهرات قال عليه الصلاة والسلام :

« تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » .(1)

أى أن العرق نزاع ينزع إلى أصل الأم وطباعها ولكن شرف الأصل وحده غير كاف فى اختيار الزوجة مالم يكن للمرأة معه دين يجملها وتقوى تزينها وتحفظها من تدنيس عرضها وما لم يكن لها نور من الصفات الفاضلة تسير فيه أولادها وذريتها بأقدام ثابتة لم تأمن على أولادها العثار .

والبعض يرغب فى الزواج بالمرأة لجمالها والجمال مطلوب فى كل شىء لا سيما فى المرأة التى تكون قرينة وملازمة . روى الحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : «خير النساء من تسر إذا نظرت وتطيع إذا أمرت» (2) . . وإذا سلم الجمال من الدالة والإعجاب المفضين إلى الملل، وكان بجواره قبس من جمال الشرع والدين فإن ذلك الزواج يكون دائم الألفة مستحكم الوصلة يسير على منهج الصلاح والوفاق .

والبعض يرغب فى الزواج بالمرأة لدينها وهذا هو الأصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء فإن المرأة إذا كانت ضعيفة الدين لا تصون نفسها عن النقائص، ولا تحفظ عرضها عن الدنس أزرت بزوجها وسودت وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وأوجدته فى متاعب لا قبل له

---

(1) أخرجه ابن أبى الدنيا فى « العيال » (٢٨٠) ، والحاكم ١٦٣/٢ و« الصحيحة » (١٠٦٧) ، والبيهقى فى « السنن » ١٣٣/٧ وغيرهم .

(2) أخرجه الحاكم ١٦١/٢ ، والزبيدى فى « الإتحاف » ٣٤٥/٥ و « الصحيحة » (١٨٣٨) وغيرهم .

بها فإن سلك سبيل الحمية والغيرة بقى فى بلاء، وإن تساهل كان متهاونا بعرضه ودينه منسوباً إلى قلة الحمية والأنفة مجروح العزة مطأطأ الرأس .

وإذا كانت المرأة مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد وفتنتها عمياء وداهيتها صماء إذ تشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها فهو إذن فى تارين مبتلى ببلاءين.

ولهذا كله بالغ رسول الله ﷺ فى الحث على التزوج بذات الدين بقوله: «فاظفر بذت الدين تربت يداك» لأن لها من دينها ما يحميها من المعاصي ويجعلها رسول هناءة وأداة صلاح.

ثم إن النساء على قسمين : صالحات مطيعات تصون الواحدة منهن كرامتها وتحفظ مال زوجها فإذا رزق العبد امرأة كذلك فليعلم أنها نعمة من الله سيقت إليه كما قال عليه الصلاة والسلام : «خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها» ، وفاسدات مائلات مميلات وهؤلاء شر النساء لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها كما قال عليه الصلاة والسلام : صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا .

ومعنى كاسيات عاريات أن الواحدة منهن تستر بعض بدنها وتكشف البعض الآخر إظهاراً لجمالها ومعنى مائلات مميلات أنهن يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن من الخيلاء . ومعنى رءوسهن كأسنمة البخت المائلة أنهن يغطين الرءوس بلف العصائب عليها حتى تصير كأسنمة الإبل.

وهذا الحديث من علامات النبوة فقد وجد الصنفان بالمشاهدة والعيان وجملة القول أن اللائق لذوى المروءة والعقل أن يكون الدين مطمح نظرهم فى كل شيء لا سيما فى النكاح الذى يدوم أمره ويعظم خطره قال عليه الصلاة والسلام : «لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دين أفضل» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها. ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها» .

وفقنا الله لما فيه الخير وهدانا إلى أقوم طريق آمين .

صبر النساء

أودع الله سبحانه فى هذا النوع من بنى الإنسان رقة المشاعر ورقة الإحساس فتراه ضعيف الاحتمال للأرزاء والنكبات تنزل بساحته وتحل بواديه فلوا تصفحت صفحات التاريخ لألفيت أن المرأة العربية قبل الإسلام كانت تقف حيال المصيبة تنزل بها موقف الهلع الشديد والجزع المؤلم فها هى ذى الخنساء قبل الإسلام تفرغ ماء شؤونها على قتل أخيها من أبيها صخر، ثم لما نعمت بنعمة الإسلام وتسربلت بسربال هذا الدين القويم أصبحت بفضل تعاليم الإسلام تقف موقف الحزم والكياسة والصبر والجلد فقد بلغها أن بنيها الأربعة قتلوا فى حرب القادسية مع صحابة رسول الله فقالت كلمتها المشهورة: الحمد لله الذى أكرمنى بشهادتهم جميعاً .. بل تلك هى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما تقول لولدها عبد الله بن الزبير حينما دخل عليها وأعلمها أن الهزيمة آتية لا شك وأنه سيقتل وكان الحجاج يقاتله بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان فقالت له: يابنى إذا كنت مؤمنا بأنك على الحق فقاتل حتى تقتل، فقال: أخشى أن يمثلوا بى فقالت: إن الشاة لا تتألم إذا سلخت بعد ذبحها. فأرقل إلى الموت إرقالا وقاتل حتى قتل وصلبه الحجاج وأقسم ألا ينزله حتى يأتى أحد من أهله فيشفع له فخرجت أمه وأشارت إلى ابنها المصلوب وقالت : أما آن لهذا الفارس أن يترجل فعدها الحجاج شفاعة مقبولة وأنزله. وهل أتاك نبأ هذه السيدة الصالحة من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين التى كان لها ولد وحيد ومرض وقام أبوه وأمه بتمريضه وكان الزوج إذا حضرت الصلاة مع رسول الله ﷺ يخرج لأدائها وفى ذات يوم ترك ولده فمات الولد فى غيبة أبيه فما كان من أمه المؤمنة إلا أن قامت إلى ابنها وأضجعته فى مكان فى البيت ولبست أفخر ثيابها وتزينت لزوجها ولما عاد سألها عن ابنه فقالت: لقد استراح فظن الرجل أنه شفى فنام مع زوجته. ولما أصبح وأراد الذهاب إلى رسول الله ﷺ قالت له زوجته : ما قولك فى وديعة كانت عندك لأحد من الناس ثم طلبها فقال : واجب على شرعاً أداؤها لصاحبها. فقالت : إن ابنك كان وديعة عندنا وقد اختاره الله لجواره. فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ وقص عليه قصة زوجته وموقفها حيال فقد

وحيدها وصبرها العظيم على هذا المصاب الجلل العظيم فدعا لهما رسول الله ﷺ فبارك الله لهما من ليلتهما فكان أن ولدا سبعة ذكور كلهم قد حفظوا القرآن الكريم.

وتلك أخرى من السلف توفى زوجها وأبوها وأخوها كلهم فى غزوات مع المسلمين ولم يبق لها فى الحياة إلا الله سبحانه وتعالى وولدصغير. شب هذا الولد على طاعة الله وعلى البر بأمه ولما أنست له أمه أياماً ونعمت به شهوراً وأعواماً واعتقدت يقيناً أن الله عوضها خيراً فى البقية الباقية من أهلها أراد الله ـ ولا راد لما أراد ـ أن يمتحن هذه المرأة وأن يعلم مقدار صبرها فى البقية الباقية من أهلها فمرض هذا الولد مرضا شديداً واحتضر وأسلم الروح لخالقها فما كان من هذه السيدة المباركة إلا أن قابلت مصيبتها بالترحاب والرضا وقامت إلى ابنها بقلب ثابت وجنان عامر باليقين والإيمان ثم لفته فى برده وقبلته قبل القبلة ثم وقفت أمام سريره خاشعة خاضعة والدموع تسيل من عينيها ونادته هذا النداء الذى يفيض رقة وحناناً وعطفاً وإشفاقا: يابنى غذوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً وكنت بى باراً ولربك طائعا ولكن ما الحيلة يابنى وهذا قضاء الله لا مفر منه ولا محيص عنه بل تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولو بقى أحد لأحد لبقى النبى الكريم محمد لأمته فقد كانت الأمة الإسلامية فى أمس الحاجة إلى رسولها ﷺ فنم يابنى آمناً مطمئناً ثم آمناً بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وحقا هذا هو الصبر العظيم الذى يثيب الله عليه الثواب الأكبر إذ يقول فى كتابه الكريم : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾. [الزمر: ١٠]

ولكنا نرى النساء فى هذا العصر نبذن تعاليم دينهن فهن يصرخن ويولولن عند نزول المصائب والنكبات ولا يتورعن عن هذه الأخلاق الفاسدة التى يأباها الدين الحكيم فحبذا لو سارت نساء عصرنا على سيرة سلفهم الصالح فى هذا النوع من الصبر والجلد إنهن إذا تسربلن بتلك الفضيلة فسيجتين ثمرات أعمالهن فى جنات النعيم .

يا نساء المسلمين: السعادة كلها فى اتباع مبادئ الدين الإسلامى والسير على طريقة سيد ولد عدنان.. أسأل الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه الخير فى الدنيا والآخرة إنه سميع الدعاء .

الرجل من صُنع المرأة!! كيف؟

إن تعدد مناحى الحياة وتشعب مقاصدها وكثرة ضروب الحضارة فيها كل ذلك جعل الحاجة جد ماسة إلى تربية البنات. قال أحد الملوك يوما لسيدة تولت مدة طويلة إدارة معاهد العلم والتربية النسوية: ماذا ينقص فتياتنا ليتم تهذيبهن؟ قالت: «الأمهات»!

أجل: هذا جواب بليغ جامع على اقتضابه يجب تفهم معناه وإنعام النظر فى مرماه فإذا كان الرجل الذى سيكون له أكبر تأثير فى مستقبل أبناء جلدته ليس إلاَّ صنع يدى أمه، وثمرة تربيتها، فلا تعجبن أيتها الفتيات إذا كان يعلق على أمر تربيتكن مثل هذه الأهمية العظمى حتى تصبحن أمهات كاملات قادرات على تربية رجال المستقبل، والأم نسيج الأمهات وما النفس إلا كالأرض إذا أهملت وتركت بواراً لا تنبت إلا العوسج والعليق، وإن عنى بها أخرجت الخير والطيبات فإذا أردنا أن نعد الفتاة للنهضة اللائقة بنا تماماً فلنفتح لها باب العلم على مصراعيه ولا ننس قول الشاعر:

وإن يفتها التحلى وهى فى صغر ... بالعلم ذاقت عذاب الجهل فى كبر

لأن العقل المثقف أكثر إدراكاً للواجبات وأقدر على تأديتها من غيره ..

لذلك لا نفتأ نردد على مسامعك أيتها الفتاة أن تأخذى من العلوم قسطاً وافرا - من غير اختلاط أو سفور أو خلوة - ومن الأخلاق السامية حظاً كبيراً إذ العلم بلا أدب كالشجر الذى لا يثمر ..

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يتوج ربه بخلاق

أفليس جديراً بمن عرفت هذا أن توجه همتها إلى تكميل نفسها وترقية مداركها، وإنبات عقلها إنباتاً حسناً بما تحرزه من المعلومات السامية والثمرات الغالية؟! ذلك لأنى أعلم وكل الناس معى أنه ما من إنسان ذى عزيمة صادقة وجه همته إلى غاية من الغايات إلاَّ أدركها وعاد منها بالصفقة الرابحة، ولكن هناك أمران يجب ألا يغربا عن بالك أبدا:

الأول: ألا تدعى الدرس ينسيك واجباتك البنوية أو الزوجية أو الوالدية فإن منزلتها أسمى من كل منزلة سواها.

الثاني: أن تتحاشى الادعاء فلا تتخذى علومك وسيلة للمفاخرة والمباهاة بل دعى أعمالك وآثارك الحميدة تنم عن معارفك .

والعلم إن لم تكتنفه شمائل   تعليه كان مطية الإخفاق

ولا مندوحة عن العلم لبروز الفتاة ورقيها من الوجهة الأدبية فإن إدارة الشؤون المنزلية تستوجب من الفطنة والحنكة وسداد الرأى وحسن التدبير والحكمة ما تستوجبه الشؤون العامة. إن مهمة ربة البيت فى عصرنا مهمة خطيرة إذ يطلب منها أن تنظم حاجات بيتها وتضبط حسابه وتشمل بعنايتها من فيه فتتعهد وليدها بالتربية والنظافة وتعرف كيف تنظم أوقات عملها وفراغها فلا تترك فرصة تمر دون أن تستفيد وتفيد غيرها وكيف تجيد ترتيب غرفها وأدواتها وكيف تحسن تجهيز الغذاء لعشيرها وأبنائها وكيف تقتصد فى مالها وثروتها وكيف تكون مصدر هناءة وسعادة لأسرتها وأمتها ووطنها ويجب عليها أن تعرف كيف تعاشر زوجها وأولادها وقومها فتكون راعيا عادلا وحافظا أمينا وقسيما وفيا وبرا رحيما ومدبرا رشيدا .

نعم إن القيام بهذه الواجبات الدقيقة ليس من الأمور السهلة التى تدرك عفوا وبلا عناء لذا أكرر على مسامع فتاة اليوم ذكر المعارف التى يجب عليها إحرازها والصفات التى يطلب من أم الغد التحلى بها وفى والواقع أليست الأم هى التى توطد فى البيت أركان الترتيب والنظام الأدبى؟ أليست هى التى تسهر بعين لا تنام على شؤون المنزل وتوزيع العمل وإنجازه فى الوقت اللازم وبالشروط المطلوبة ؟ فتوفر لذويها الراحة والرفاهية أليس إليها مرجع تدريب الفتاة على واجباتها فى الأسرة وتدريب الفتى على واجباته فى العالم الحى ؟

ينفثن فى الفتيان من   روح الشجاعة والثبات

ومادام قد ثبت أن الأم هى المصدر الأول لجميع هذه العواطف والميول وهى المدرسة

الأولى التي ينمو فيها الطفل جسماً وعقلا خصوصاً وأن النساء نصف مجموع الأمة وهيهات أن ينهض مجموع نصفه أشل وعبثا يحاول الارتقاء إذا لم يعالج بالعلم شلل ذلك النصف.. لذا وجب علينا أن نربي الفتاة على المبادئ الحميدة ونعدها لتصير ربة منزل مكتملة الصفات فتكون لها اليد الطولى في تشييد أركان الأسرة ورفع عماد الأمة والوطن.[1]

(١) « مجلة الإسلام » السنة الأولى العدد ٥٨ سنة ١٩٣٣م.

حفظ أسرار الزوج

روى في الصحيح أن النبي ﷺ كان يمكث عند زوجه زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً وكان يحب الحلوى والعسل فتواضعت زوجاه عائشة وحفصة ـ لما وقع في نفوسهما من الغيرة من ضرتهما ـ على أن أيتهما تقول إذا دخل عليها الرسول ﷺ إني أجد ريح مغافير.. أكلت مغافير؟ وهو صمغ حلو ينضجه شجر العرفط يؤخذ ثم يرش بالماء فيشرب وله رائحة كريهة. فدخل ﷺ على حفصة فقالت له ذلك ، فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ، فقالت: جرست نحلة العرفط ـ أي أكلت ووعت منه ـ فحرم العسل لذلك وكان ﷺ يكره كريه الرائحة ، وقال: لن أعود وقد حلفت ، فلا تخبري أحداً ، فأخبرت عائشة بذلك كله ، فأطلعه الله تعالى على إفشائها السر لعائشة فأعلم حفصة ببعض الحديث الذي أفشته وقد استكتمها إياه ولم يخبرها بباقيه تكرما لما فيه من مزيد خجلها ، قال لها: أفشيت قولي كنت شربت عسلاً عند زينب ولن أعود ولم يقل لها أفشيت قولي وقد حلفت .

فظنت حفصة أن عائشة هي التي أخبرته بالسر فقالت له ﷺ «من أنبأك بهذا» قال: نبأني العليم الخبير.

ورفقا به ﷺ وتنويها بقدره وإجلالا لما أصابه ـ عاتبه تبارك وتعالى لمراعاته مرضاة أزواجه بما يشق عليه وشرع له ولأمته التحلل من اليمين رأفة ورحمة ، ووجه سبحانه وتعالى حفصة وعائشة إلى التوبة من ميلهما عن الواجب عليهما له ﷺ وهو حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه إلى مخالفته وتدبير ما شق عليه ﷺ فقال جل شأنه :

﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه ﴾

تتعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره ﴿ فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم:٤]

أي مظاهرون له ومعينون وناصرون.

وإن الذى يعرف بكتمان السر يثق به الناس ويأتمنونه ويلتفون حوله ومن كان موضع ثقة الناس كذلك ومحبوباً بينهم كان أقدر على تحصيل الخير لنفسه ودفع الضر عنها والرسول ﷺ يقول: « احرص على ما ينفعك ». [1]

ومن الحكم ، كتمان السر ـ لمنفعة الدولة أن أبيح الكذب إخفاء لقواتنا وخطط دفاعنا عن العدو وحرصاً على سلامتنا من الهوان وسعياً لعزنا وحياتنا فى أمان.

ومن الحكم كتمان السر يوجب السلامة وإفشاؤه يعقب الندامة ومن هنا قالوا: «قلوب الأحرار قبور الأسرار» ومن كبائر الذنوب ـ أن يفشى الزوجان سرهما وما يقع منهما كل تجاه الآخر فى الخلوة فإن فى ذلك إغراء لغيرهما على المفسدة ولـذلك قال رسـولنا ﷺ «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها ». [2]

ومن هنا نصح لنا رسول الله ﷺ فقال «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود» [3] وفى هذا قال الله تعالى حكاية سيدنا يعقوب عليه السلام ينصح ابنه يوسف عليه السلام:

﴿ قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ [يوسف : ٥]

وقلما كان رسول الله ﷺ يخرج لغزوة إلا ورّى بغيرها وكتم سرها ليعمى الأخبار على العدو وإن الذى لا يفشى سره لغيره يحكمه فى نفسه ويحمل زمامه بيده فإن حفظ سره كان محصنا إليه وإن أفشاه كان مسيئاً إليه وربما أضر به وعطل مصالحه.

---

(١) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (١٥٩) ، وابن أبى عاصم ١٥٧/١ ، وابن عساكر ٣٦٩/٤ ، وابن ماجة (٧٩) ، و« الفتح » ٢٢٨/١٣ وهو فى مسلم (القدر) ٣٤ ..

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٩١/٤ ، وأبو نعيم فى « الحلية » ٢٣٦/١٠.

(٣) أخرجه الزبيدى فى « الإتحاف » ٥٣/٨، والعراقى فى « المغنى عن حمل الأسفار» ١٨٤/٣ ، و « المجمع » ١٩٥/٨.

ولذلك يتملق المرء من أفشى إليه سره الذى يخشى عقباه وإذا رأى منه إعراضاً أو أحس منه جفوة لم يصبر على ذلك وسعى إليه يترضاه مخافة أن يبوح بسره فيحل عليه أذاه.

فعلى صاحب السر أن يبالغ فى كتمانه بقدر ما يعلمه من الضرر الذى يلحقه من إفشائه فإذا هو أفشاه لغيره فلا يلومن إلا نفسه: أسواه أحق بحفظه منه؟ ولله در من قال:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذى يستودع السر أضيق

وحقا قد تدعو الضرورة إلى أن يفضى المرء بسره إلى بعض خاصته من أصدقائه وأحبائه تنفيساً لكربته وهمه أو للاستعانة برأيهم.

فعلى الأصدقاء والأحباء حينئذ أن يحتفظوا بما اؤتمنوا عليه وإلا كانوا خائنين وللعهد ناقضين ولأنفسهم ظالمين.

﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

ترتفع فيه أبصار أهل الموقف فلا تنطبق أجفانهم بعضهاعلى بعض: من هول ما يرونه. الذى لا يؤتمن على أسرار الناس وأموالهم وأعراضهم ويغدر بهم فى عهودهم فقال عليه الصلاة والسلام: « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ». (١)

وذلك لما يترتب على إفشاء السر من آثار سيئة وأضرار عظيمة وعواقب وخيمة بالأفراد والجماعة.

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها: أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال ﷺ «لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها؟» فأرم القوم أى سكتوا فى خوف وفزع فقلت: إى والله يارسول إنهم ليفعلون

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٣٥/٣ و١٥٤و٢١٠ و٢٥١، والطبرانى فى « الكبير » ٢٣٠/٨ و٢٨٠/١٠ وابن أبى شيبة ١١/١١ و« المجمع » ٩٦/١ .

وإنهن ليفعلن! قال: «لا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون». [1]

ومن أسوأ إفشاء السر ـ إفشاء العاصي سر معصيته تجريئا لغيره عليها وفضحاً لنفسه وإعلاناً لجرأته على الله قال تعالى: ﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ [المائدة:٩٥]

وفى هذا يقول الرسول ﷺ « كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » [2] وقال ﷺ:

« اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله ». [3]

لنا قدوة صالحة للتحلى بفضيلة كتمان السر فى رجل وامرأة هما بين رجال الأمة فى أعلى القمة.

أما الرجل فهو ممن قال فيه الصادق المصدوق: «ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبى بكر» [4]

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر رضى الله عنه حين تأيمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان رضى الله عنه، فعرضت عليه حفصة فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر؟ قال: سأنظر فى أمرى. فلبث ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا، فلقيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه، فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلى شيئاً فكنت

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤٥٦/٦، و المجمع » ٢٩٤/٤، والألبانى فى «إرواء الغليل» ٧٤/٧ و «آداب الزفاف» ٦٣.

(٢) أخرجه البخارى ٢٤/٨، ومسلم (الزهد) ب ٨رقم ٥٢ ،والطبرانى فى « الصغير » ٢٢٧/١ ، والزبيدى فى «الإتحاف » ١٧٢/٦و٥٧٢/٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٣٢٢٦) ، والعراقى فى « المغنى عن حمل الأسفار » ١٣٥/٣ ، والطحاوى فى «مشكل الآثار » ٢٠/١ ، والبيهقى فى « السنن » ٣٣١/٨٨ ، والحاكم ٢٤٤/٤و٣٨٣ ، و«الصحيحة » (٦٦٣).

(٤) انظر : « الجامع الكبير » ٦٣٧/٢ .

عليه أوجد منى على عثمان فلبثت ليالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحتها إياه فلقينى أبو بكر فقال: لعلك أوجدت علىّ حين عرضت علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا؟ فقلت: نعم قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضته على إلا أنى علمت أن النبى ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ ولو تركها النبى ﷺ لقبلتها «رواه البخارى» وأما المرأة فهى السيدة فاطمة الزهراء بنت سيد الأنبياء ﷺ.

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: كن أزواج النبى ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة رضى الله عنها تمشى ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها وقال «مرحبا بابنتى» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديداً فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: ما كنت أفشى على رسول الله ﷺ سره »[1] فلما توفى رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك (أقسمت عليك) بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما الآن فنعم: أما حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة أو مرتين وأنه عارضه الآن مرتين وإنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله، واصبرى فإنه نعم السلف أنا لك فبكيت بكائى الذى رأيت . فلما رأى جزعى سارنى الثانية فقال: «يافاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة لنساء هذه الأمة؟ فضحكت ضحكى الذى رأيت ». [2]

فعود نفسك أيها المسلم كتمان السر فإنك بذلك تريح نفسك من العناء وتقى عرضك من الذم وتسلم من شر النميمة وهى نقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد، وعقباها التأخر عن الجنة والحرمان من السبق إليها أو منها بالكلية، وفى الحديث الشريف «لا يدخل الجنة نمام» [3] وقل لمن يفشى إليك سراً ما قاله عمرو ابن

(١) أخرجه البخارى ٢٤٨/٤، ٢٤٨و٧٩/٨، ومسلم (فضائل الصحابة) ٩٩، وابن ماجة (١٦٢١) ، وأحمد ٢٨٢/٦ ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (١٠٣٠) وابن سعد ٤٠/٢/٢، وابن كثير فى « البداية » ٢٢٦/٥ ، وأبو نعيم فى « الحلية» ٤٠/٢ وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (فضائل الصحابة) ٩٨ وأبو نعيم فى « الحلية » ٤٠/٢٠، والزبيدى فى « الإتحاف » ٢٤٤/٦.

(٣) أخرجه مسلم (الإيمان) ب ٤٥ رقم ١٦٨، وأحمد ٣٩١/٥و ٣٩٦ و ٣٩٩ و ٤٠٦ ، والزبيدى فى «الإتحاف » ٥٦٢/٧ وغيرهم .

عبيدة لرجل قال له: إن صاحبك فلان يذكرك بسوء فقال: ياهذا : ماراعيت حق صاحبي إذ ائتمنك على سره فأفشيته وماراعيت حقي أن أبلغتني عن صاحبي ما أكره ولكن بلغه أن الموت يعمنا وأن القبر يضمنا وأن القيامة تجمعنا والله يحكم بيننا والله خير الحاكمين.

واذكر قول الشاعر الحكيم :

وما السر في صدرى كثاو بقبره لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى بما كان لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

واصطف لسرك أمينا إن صعب عليك كتمانه وتحر فى اختياره المستشار الذى تأتمنه على ذلك لتكون بمأمن من جانبه. قال الشاعر :

وأكثر من الشورى فإنك إن تصب تجد مادحاً أو تخطئ الرأى تعذر
ولا تستشر فى الأمور غير مجرب لأمثاله أو حازم متبصر

وكان أبو سعيد الثورى يقول: إذا أردت أن توافى رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيراً وكتم سرك فاصحبه.

وقيل لأبى يزيد: من يصحب من الناس؟ قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله. وقال ذو النون: من أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغى أن يكون صادق الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا انقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهتانا

وسبحان من يعلم السر وأخفى ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾ [الجن: ٢٦ـ ٢٧]

أسرة سعيدة.. كيف؟

قال رسول الله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [1] فالرجل راع فى أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها والولد راع فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤول عن رعيته.

يشير هذا الحديث النبوى الكريم إلى مكانة الأسرة فى الدولة ويشرح مسؤوليتها لدى الأمة، والأسرة هى المجموعة الصالحة المتضامنة من الأم والأب والولد والجميع مسؤولون عن حقوقهم وواجباتهم أمام ربهم وأمام أنفسهم وأمام أمتهم، فالوالد مسؤول عن تربية أبنائه وبناته وعن تعليمهم وتأديبهم حتى ينشئوا مواطنين صالحين لدينهم ووطنهم، وعن رعاية ولده منذ الطفولة إلى أن يبلغ مبلغ الرجال ويستطيع أن يدير شؤون نفسه ويصبح رب عائلة.. يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد: داعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه. فإذا بلغ السابعة من عمره فعلمه الصلاة ولقنه بعض أصول الدين فإذا بلغ العاشرة فخذه أخذا قويما لأداء الصلاة، فإذا تركها فاضربه ضربا لا يلحق ضررا ببدنه ولقنه توحيد الله ومعرفته حتى يمتلئ قلبه بالإيمان وكن بجواره فى هذه السن حتى يتعود طلب العلم والإقبال على الثقافة وأن تجنبه قرناء السوء وتباعد بينه وبين إخوان الشياطين وعوده دخول المساجد ومشاهدة الجمع والجماعات وارتياد النوادى الثقافية والأدبية واصحبه إلى النوادى الرياضية لتعلم بعض أنواع الرياضة وخصوصاً السباحة وألعاب الفتوة كالرمى وسباق الجرى والدين الإسلامى قد أشار إلى كل ذلك فى قول رسول الله ﷺ: من حق الولد على والده أن يعلمه السباحة والرماية والكتابة وأن ينتخب أمه وأن يختار له اسماً كريما. وهذا هو القياس الصحيح الذى أراده الإسلام لتربية الأولاد والميزان السليم الذى توزن به الأسرة الفاضلة التى ترعى شجرة أبنائها وبناتها فتأتى ثمراتها كل حين بإذن ربها وكذلك فرض الدين

---

(١) سبق تخريجه .

حقاً للوالد على الولد فيجب على الولد أن يطيع أباه وأن يتأدب بين يديه ولا يرفع عليه صوته ولا يخرج عليه فى قول أو فعل يقول تعالى :

﴿ فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما *واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾

[الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤]

قال النبى ﷺ « الوالد على باب الجنة إن شاء فتحه للولد، وإن شاء أغلقه» [١] وقال النبى ﷺ : « لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت إربا إربا وحرقت بالنار ، ولا تعقنّ والديك وإن أمرك أن تخرج من مالك لخرجت » . [٢]

الأم مسؤولة أمام الله عن تربية أولادها، وعن رعايتهم وتأديبهم كمسؤوليتها عن تغذيتهم وإرضاعهم وتسهر على صحتهم بمقتضى فطرتها لأنها الركن الأول فى البيت والمدرسة الأولى فى المنزل ، وهى الحارس العتيد لأبنائهاوبناتها لملازمتها لهم فى البيت أكثر من والدهم حتى ينشئوا مواطنين صالحين يدافعون عن أوطانهم إذا شبوا كبارا وأن تعودهم الفدائية وتلقنهم صور الفداء فى الإسلام كما لقنت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ولدها عبد الله بن الزبير حين ذهب لقتال عدوه: يابنى قاتل فى سبيل الله ودافع عن حرم الله فقال: أماه: أخشى أن يقطع العدو رأسى ويفصلها عن جسدى فقالت له: يابنى قاتل وكن جريئاً فإن الشاة المذبوحة لا يضرها السلخ. كل ذلك حقوق الأولاد على أمهاتهم. وحق الأمهات على أولادهن الطاعة كل الطاعة وأن يقوموا كل القيام بإكرامهن وتلبية طلباتهن ولا ينبغى للولد أن يفضل أحداً من أسرته على أمه. جاء رجل الى رسول الله ﷺ وقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحبتى؟ «قال أمك،

---

(١) أخرجه بلفظ : « الوالدأوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه » الإمام أحمد ١٩٦/٥ و٤٤٥/٦ و ٤٤٨ و٤٥١ وابن ماجة (٢٠٨٩) ، و(٣٦٦٣) واللفظ له .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠٣٤) وابن كثير فى «البداية » ٣٢٥/٥ والزبيدى فى «الإتحاف» ٣٩٢/٦، و«الترغيب» ٣٨١/١..

قال: ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك». [١]

وقال ﷺ «جعلت الجنة تحت أقدام الأمهات» [٢] ومعصية الله من معصية الأم وقال ﷺ «مفتاح الجنة بيد الأم». [٣]

الأسرة فى نظر الدين متكافلة متضامنة وجميع أعضائها بعضهم أولياء بعض ومسؤولون بعضهم عن بعض أمام الله يوم القيامة عن الإضاعة والتفريط فاتقوا الله أيها المسلمون وحافظوا على أسركم وعلى صيانة أخلاقهم وملازمة أدبهم لتبنوا وطناً قوياً يحتفظ بعزته وكرامته ويباهي بأمجاده وآثاره والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. روى ابن حبان رضى الله عنه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته». [٤]

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أجده. انظر «مجلة الإسلام» ٦٣٤/١٦. قلت وأخرجه الحاكم ٧٠/٢، و الدولابى فى «الكنى والأسماء» ١٣٨/٢ بلفظ: «الجنة بتاؤها أقدام الأمهات»..

(٣) لم أجده بهذا اللفظ..

(٤) أخرجه الترمذى (١٧٠٥)، وابن حبان فى «موارد الظمآن» (١٥٦٢)، وأبو نعيم فى «الحلية» ٢٨١/٦، والنسائي فى «عشرة النساء» (٢٩٢) و (٢٩٣)، و «الصحيحة» (١٦٣٦) انظر «مجلة الإسلام» ٦٣٤/١٦.

المصاهرة قوة

قال تعالى :

﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ [الفرقان : ٥٤]

قد أتى على المسلمين حين من الدهر تخاذلوا وتضعضعت وحدتهم وضعفت قوتهم وطغت عوامل المادة على عقولهم وغلبت نوازع الشهوات على قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فى الأرض فتقاطعو وتدابروا، وأصبح بأسهم بينهم شديداً فلا عجب بعد ذلك أن رأينا المسلمين وقعوا فريسة لذئاب المستعمرين فاقتسمت الدول الأجنبية بلادهم وهيمنت على موارد ثرواتهم وتركتهم أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام وصدق فيهم قول الرسول ﷺ : «توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» (١) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قال قائل : وما الوهن يارسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت .

تلك حال المسلمين من زمن قريب عندما فرطوا فى التمسك بوصايا الإسلام وشغلتهم الأهواء النفسية عن النظر إلى المصلحة العامة ، ونسوا قول الرسول ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢)

وقال ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» . (٣)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٧٨/٥ ، وابن أبى شية ٥٣/١٥..

(٢) أخرجه البخارى ١٠/١ ، ومسلم (الإيمان) ب ١٧ رقم ٧١ ، والترمذى (٢٥١٥)، والنسائى١١٥/٨ و١٢٥ ، وأحمد ١٧٦/٣ و٢٧٦ و٢٧٨ وغيرهم.

(٣) أخرجه البخارى ١٢٩/١و١٦٩/٣و ١٤/٨ ، ومسلم (البر والصلة) ٦٥ ، والترمذى (١٩٢٨) ، والنسائى ٧٩/٥، وأحمد ٤٠٤/٤ و٤٠٥.

ولعل الله سبحانه وتعالى قد أراد لدينه الحنيف قوة وتمكينا وأن يرجع كما كان حصنا حصيناً فنبه الأمم الإسلامية إلى أنه لانجاة لها من هذا الفناء والهلاك، إلا إذا رجعت إلى كتاب ربها ، وإلى تاريخ أسلافها ، تستوضحه وتتلمس فيه أسباب العزة والسيادة والنجاح التى تيسرت لهؤلاء المجاهدين السابقين وكيف استطاعوا فى نحو قرن من الزمان أن يبسطوا سلطانهم، وينشروا تعاليم دينهم على ما امتد من جزيرة العرب إلى بلاد الصين وكيف خاطب أحد خلفاء الإسلام السحابة المسخرة بين السماء والأرض بقوله : اذهبى حيث شئت فسيأتينى خراجك.

عرفت الشعوب الإسلامية سر نجاح هؤلاء الأجداد والأمجاد وأنه الاتحاد والتعاون على الإخلاص فى العمل لخير جميع البلاد فهبت فى هذه الأيام تنفض غبار الاستكانة عن رأسها وتتهيأ لأن تحيا حياة جديدة تعيش فى كنفها عزيزة موفورة الكرامة لايضام لها جانب ولا يطمع فى اغتصابها طالب.

نعم أذن مؤذن الفلاح وشاء الله أن يستعيد الإسلام فتوته ويسترد الشرق عزته ومكانته فهيأ هذا الترابط والتآزر الذى نشهده بين المسلمين اليوم فيما يعقدونه من المؤتمرات لمصلحة إخواننا أبناء فلسطين الذين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخشون أحدا إلا الله ولا شك أن الذى حفز أبناء الإسلام فى جميع بقاع الأرض إلى عقد هذه المؤتمرات ليدفعوا عن إخوانهم عدوان الأجنبى إنما هو الأخوة الدينية والروابط العصبية والشعور المتبادل والآمال المتحدة ولابد ـ إن شاء الله ـ أن يظهر لهذا التعاون المشكور على إنقاذ فلسطين من استيلاء الأجنبى عليها، أطيب الثمرات وأن يكون هذا العمل المجيد من أبناء الإسلام برهاناً على أن القوة فى الاتحاد وأن يد الله مع الجماعة .

كذلك من أظهر بشائر النجاح تبادل المصاهرة بين ولاة الأمور من المسلمين تلك المصاهرة التى جعلها الدين من أقوى صلات الألفة والاتحاد وتوسل بها قادة الأمم وساسة الشعوب إلى توثيق العلاقات وتقوية الروابط وتوسيع نطاق التعارف والائتلاف والتعاون على الخير العام .

والمصاهرة رمز للوحدة التى يشير إليها الشارع الحكيم فى مناسبات شتى ومقاصد

متنوعة بل هى أقوى أساس تبنى عليه صروح العزة وتشاد فوقه عروش السيادة وعلى هذا الأساس رأينا الحكيم العليم يبيح للرسول ﷺ أن يتزوج بأكثر من أربع كما رأينا رسول الله ﷺ يزوج بناته من أشراف المسلمين ليكون أصهاره قوة بجانبه فى الذود عن حياض الدين ، وقمع باطل المفسدين .

وكذلك كان الصحابة والتابعون وكثير من الملوك ورؤساء الحكومات وزعماء القبائل يتصاهرون لتلك الغاية النبيلة فيزدادون قوة إلى قوتهم ويرهبون بتضافرهم واتحادهم جانب عدوهم .

وإلى تلك المزايا الجليلة التى تعود على المجتمع أفرادا وجماعات من المصاهرة أشار الله تعالى فى كتابه الكريم ممتنا بها على عباده طالبا أن يشكروه على إحسانه وأفضاله فقال عز شأنه: ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات** ﴾ [النحل : ٧٢]

وقال تبارك اسمه: ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾

[الروم :٢١]

وقال جل وعلا: ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ [النساء : ١]

إذا اعتز المسلمون بالإسلام ، ورأوا أنهم بسببه كانوا خير أمة أخرجت للناس فيحق لهم أن يعتزوا بمصر كنانة الله فى أرضه إذ كانت هى ـ على مانراه فى بعض أبنائها من التهاون بأمر الدين ـ أول من تبه الشرق فى غفوته وأخلص للإسلام فى سره وعلانيته وبذل فى سبيل الدين أموالا طائلة أكسبتها ثناء المؤمنين ورضاء الله رب العالمين .

ولا شك أن الاعتزاز بمصر سيزداد بين المسلمين بسبب تلك المصاهرة السعيدة التى وثقت بينها وبين أمة من أعرق الأمم الإسلامية القديمة طالما خدمت الإسلام وأنجبت العلماء الأعلام الذين ملئوا طباق الأرض علما وذلك مما يبشر بطالع سعد ويمن

للإسلام والمسلمين ويوثق رباط القومية بين أمم الشرق التى هدها نفوذ الغرب وجشعه وأنهكها طول التفرق والانقسام .

وإنها لخطوة موفقة نحو الوحدة الإسلامية التى فقدها المسلمون فذلوا والتى بدونها لن يعزوا أو يسودوا والتى لا مناص لهم من الرجوع إليها إذا أرادوا إرجاع مجدهم وإعلاء كلمتهم وإرهاب من سواهم من المستعمرين .

فلله أنت أيها العام الهجرى الجديد لقد دل مطلعك على يمن أيامك وسعود أوقاتك، فهاهم أولاء أبناء التوحيد يتصافحون بعد طول الجفاء ويتعاطفون بعد التقاطع والابتلاء ويتحدون بعد التنابز والتفرق ويلتئمون بعد الوهن والتمزق وها هى ذى قوة الإسلام تتأيد وكلمة الشرق تتوحد بتوثيق الصلة بين أهله وشعوبه .

اتقوا الله وارجعوا إلى تعاليم دينه القويم فهى وحدها الكفيلة بالنجاح والفلاح ومن أهم هذه التعاليم الاتحاد والتآلف ولن يكون ذلك إلا إذا اعتقدنا أن الإسلام هو الحمى وهو الوطن ، ونسينا ما بيننا من الفروق الجنسية واللغوية واللونية التى كانت ولا تزال من عوامل الشقاء فى بناء الإنسانية.. والإسلام لا يعترف بفرق بين عربى وعجمى، وصينى وتركى وهندى ومصرى فالناس كافة فى نظره سواء أبوهم آدم وأمهم حواء وقد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا لا ليتناكروا ويتناحروا قال تعالى:

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

[الحجرات : ١٣]

لقد كان من أثر الاتحاد والتعاون بين المستظلين براية الإسلام فى مبدأ الدعوة أن اشتد ساعدهم وقوى عددهم وأحاطتهم العناية الربانية بالمدد والتأييد فتخطوا الحواجز والسدود، وملكوا عروش الأكاسرة والقياصرة بهذه الوحدة الباهرة.

إن الإسلام يستنفركم من جديد لترجعوا إلى قوتكم ومجدكم باتحادكم وتعاونكم ولتعلموا أن المسلم عضو فى جماعة عظيمة تملأ فجاج الأرض يخطئها العد ولا يحصيها أحد، يربطها دين واحد ويحفزها رجاء واحد، وتؤمن بإله واحد..فلا عذر بعد

اليوم لمن تخلف عن الوحدة الإسلامية قد بينا الآيات لقوم يعقلون.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم.

قال رسول الله ﷺ: « تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك». [1]

وقال ﷺ: « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله ». [2]

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه ابن ماجة (١٨٥٧) والتبريزى فى « المشكاة » (٣٠٩٥) والطبرانى فى « الكبير » ٢٦٤/٨، انظر «مجلة الإسلام» ٣٦٢/٧.

ماذا يفعل القادر على الزواج جسميا والعاجز ماليا ؟

يقول الله تعالى :

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾

[النور: ٣٣]

وهذه نصيحة الخالق جل وعلا لهذا الشباب وأمثاله بالاستعفاف عن الحرام وحتى يصل إلى الحلال، وذلك نقيض أهل الفجور ممن يدعون أن الكبت يورث الجنون وينصحون للشباب ألا يكبت نفسه حتى لا يجن بل ينطلق فى الأعراض ينهش منها ما يقدر عليه وهؤلاء هم الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وقد أعد الله لهم عذابا عظيما.

ومن وسائل الاستعفاف قول الرسول ﷺ :

« يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ». (١)

والباءة مؤن النكاح وتكاليفه من مهر ونفقة ووجاء أى قاطع للتوقان. وهذا الحديث ينصح الشباب الذى لا يملك نفقات الزواج بأن يتعفف بالصوم الذى فيه ثواب وإضعاف الجسم يقطع اللهفة على النساء ومن وسائل التعفف عدم الخلوة مع أنثى وعدم الاطلاع على الصور والأحاديث المغرية بالجنس وشغل أوقات الفراغ بالرحلات والهوايات والخدمات النافعة والرغبة فى أن يتزوج الإنسان شريفة يكون كفئا لها وأنه لو أباح لنفسه ولغيره الانطلاق فى الأعراض فلن يجدوا عند الزواج شريفة تصلح زوجة.

وعلى رأس كل ذلك الخوف من الله تعالى وليس أفظع ولا أكثر جرماً من انتهاك عرض لم يحله الله ووضع النطفة التى أراد الله لها أن تنتقل من الأصلاب إلى الأرحام الطاهرة مكونة الزرع البشرى أكرم خلق الله وضعها سفاحا فى الحرام ـ والله تعالى يقول:

(١) أخرجه البخارى ٣/٧، ومسلم (النكاح) ١و ٢، والنسائى ٤/١٦٩ و١٧١.

﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب ﴾ [الفرقان: ٦٨ _ ٧٠].

ويمكن للرجل أن يبحث عن امرأة لا تكلفه الكثير وترضى بماله القليل زوجاً على شرع الله وسنة رسوله ولايلجأ أبداً إلى هذه الفاحشة المنكرة.

وبعد فإن الدين ينصح للزوجين كي يدوم زواجهما باستيفاء أنواع النضج الجسمي والعاطفي الوجداني والمالي قبل الزواج وبعدم العجلة، فالأمر متعلق باهم أحداث الحياة وليس لعب أطفال .

وينصح لكل منهما بأن ينظر إلى الطرف الآخر نظرة النصف يحتاج إلى النصف الآخر ليكمله ومتى عثر عليه ارتبط به ولا ينفصل عنه ويعمل على تحقيق أهداف الشرع في الزواج من السكن والمودة والرحمة والإنجاب .

فالزوج مطالب أولا بأن يوفر لزوجته الأمن والاستقرار والسكن حتى توفر له كل ذلك فيما بعد فإن المرأة إذا لم تحس بالسكن والاستقرار والتقدير وأحست بأنها طفيلية على بيت زوجها وأنها سلعة يمكن أن يستبدل بها غيرها وأنها في منزلها خادمة لأمه وإخوته وأنها عرضة للعقاب وما هو أشد أمام الأهل والخدم كل ذلك وأشباهه أكبر داع للقلق والاضطراب ومحال من امرأة هذا شأنها أن تعطى لزوجها السكن والمودة والاستقرار .

ومطلوب من الزوج أن يشعر زوجته من أول الأمر بأنها ستكون في المنزل كأخته إلا أن الله أحلها له ومفاد ذلك أن تكون آمنة مطمئنة لا تفكر يوماً في إخراجها من منزلها .

ومطلوب من الزوج ألا يستثير شرور زوجته بل يستثير خير ما فيها بالكلمة الطيبة والمعاملة الكريمة والنساء كما قيل عبيد الإحسان .

ومطلوب من الزوج أن يؤمن بأن مهمة زوجته في الحياة أصعب من مهمته فإن أنكر ذلك فليحمل وليده مرة واحدة ليعرف صعوبة مهمتها ولذلك قالت امرأة لزوجها، كان يدعى أنه أحق بولده: حملته خفاً وحملته ثقلاً، ووضعته شهوة ووضعته كرهاً، وشتان ما بينهما ولذلك أوصى الحديث الشريف الولد بأمه ثلاث مرات وبأبيه مرة واحدة

وقال: الجنة تحت أقدام الأمهات ولم يقل تحت أقدام الآباء وعلى الزوج أن يكرمها ويحتمل منها ولا يسرع إلى الغضب منها وأن زوجته أحق من الناس بحسن معاملته فلا يصح أبداً أن يعامل الناس بلطف ويعامل زوجته بغلظة فهي شريكة الحياة والمعينة له في السراء والضراء والمرأة إن أحبت زوجها تفانت في خدمته وعطفت عليه في محنته وداوته في مرضه وعليه أن يدرك أنه راع وليس جلاداً والرعاية لها آدابها وواجباتها وحدودها .

وعلى الزوجة أن تسلم من أول الأمر بأن آدم خلق قبل حواء، وأنها خلقت منه وله وبناء على ذلك تسلم لزوجها بحقه في القوامة وتسمع له فيما يرضى الله وتعمل على استجلاء محبته ورضاه وتقوم بواجبها في المنزل خير قيام وتوطن نفسها على أن تسعد من فيه وأن تعين زوجها على قضاء عمله على خير وجه ولا تكلفه شططا فتمتد يده للحرام أو يطلقها .

فالواجب لدوام العشرة أن يقوم كل بواجبه دون منّ وأن ينتظر الجزاء من الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا وليس أفضل من بناء الأسرة على التقوى والفضيلة والسعادة والدوام ..

ولا ينسى كل من الزوجين أن يدعو الله تعالى بهذا الدعاء: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما. (١)

---

(١) مجلة الإسلام ٣٤/٥٣٠ .

فتنة عدم الزواج

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » [(١)] رواه الترمذي.

الخلق والدين حصنان حصينان للمرء يمنعانه من السوء والانحراف ويحولان بينه وبين الظلم والبغي ويعصمانه من الشطط في القول والفعل ويجعلان حياته مليئة بالخير والبركات وهما رأس الفضائل وأساس السعادة الحقة التي ينشدها العقلاء الحريصون في حياتهم عل نيل الحسنيين وأخذ الفضيلتين في هذه الدنيا الفانية وفي تلك الحياة الأبدية السرمدية التي لا تنقضي ولا تنتهي « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان » أي الحياة العميقة التي تستحق وحدها أن يقال لها الحياة.

من أجل ذلك اعتبرهما الرسول الكريم ﷺ الركيزة القوية التي يرتكز عليها أولياء أمور النساء عند إقبال الخاطب الذي يريد الزواج لأن من تحت يده من البنات والنساء اللاتي يعولهن أمانة ووديعة يسأله الله تعالى عنها يوم الدين فإن وفي وحفظ الأمانة فله جنة عالية قطوفها دانية وإلا فويل للظالم المقصر في أماناته يوم يقول الظالم ياليتني كنت ترابا .

وذلك لأن الخلق والدين صمام الأمان والطمأنينة على مستقبل المرأة بعد زواجها فهي مع زوجها ذي الخلق والدين في مأمن من عاديات الزمن أو في مأمن من الظلم والقسوة مما يجعل الحياة الزوجية سعيدة هنيئة كريمة. والرجل من غير الزواج نصف ضائع يطلب نصفه الآخر وتلك سنة الحياة في هذا الوجود ولن تجد لسنة الله تبديلا وقد حارب الإسلام العزوبة وجعل أهلها من شرار الناس يوم القيامة وذلك إذ يقول

(١) أخرجه ابن ماجة (١٩٦٧)، والحاكم ١٦٩/٢ وابن أبي الدنيا في « العيال » (٢٦٤) و(٢٦٥) ..

الصادق المصدوق ﷺ فى حديث شريف: « شراركم عزابكم » [1] وذلك لأنها من أسباب التردى فى الرذيلة وفى البعد عن ساحات الفضيلة .

وهذا الحديث الشريف الذى نحن فى صدد شرحه وتبيينه للناس يضع القاعدة السليمة فى بناء الأسرة القوية التى يسعد معها المجتمع فقال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» أى إذا خطب منكم خاطب يريد الزواج وقد وثقتم بخلقه القويم المتين ووثقتم بسلامة دينه وعقيدته ورأيتم فيه التمسك بالكتاب والسنة والاهتداء بهدى السلف الصالح فزوجوه من غير نظر إلى فقره أو غناه متى كان قادراً على القيام بحقوق الزوجة حكيماً فى سياسته أمره وأمرها لأن الأرزاق بيد الرازق سبحانه وتعالى والأيام مع الأرزاق ليست على وتيرة واحدة لأنها قابلة للزيادة والنقص من عطاء هذه الدنيا فليس الفقر بدائم وليس الغنى بدائم ورأس مال الإنسان عقل سليم ودين قويم وخلق متين وهذه الثلاثة هى وسائل الكسب الواسع وأركان الحياة الطيبة وهى الوسائل التى جعلها الله عز وجل فى العادة أسباب النجاح والسعادة وما انحرف عنها منحرف إلا وتخطفته السبل المضللة فقذفت به إلى مكان سحيق .

ثم قال ﷺ « إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » هذا النطق النبوى الشريف إنذار لمن يعرض عن تنفيذ النصيحة المذكورة فى صدر الحديث فإن من أعرض عنها فقد أعرض عن سبب من أسباب السعادة لمن تحت يده ممن يعول من البنات أو النساء وغفل عن الحقائق وجعل ما يترتب على إعراضه عن هدى الرسول ﷺ من التعرض للفتنة والفساد العريض .

إن الزواج هو رباط الأسرة وهو وسيلتها وهو سر عمارة هذه الدنيا لأنه السبب فى الإنجاب والذرية فإذا قام على قاعدة الدين والخلق عند الزوج وهو عماد الأسرة كان هذا الزواج سعيداً وكانت الحياة معه حياة طيبة كريمة مباركة يسعد معها الوطن وتسعد معها الأمة ويعتز بها الإسلام وتعلو رايته وتعظم هيبته وتكون له المكانة العليا وهذا ما نحرص عليه ويحرص عليه معنا الصادقون المخلصون من أبناء هذه الأمة الإسلامية التى أمسكت

---

(١) أخرجه الطبرانى فى « الكبير » ٨٦/١٨ ، وعبد الرزاق (١٠٣٨٧) وفى « المجمع » ٢٥١/٤ .

بزمام هذه الدنيا فترة طويلة من الزمان حكمتها فيها بالحق والعدل والإنصاف وسادت معها الرحمة بهذا الإنسان فلما خلف من بعد هؤلاء خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وعكفوا على حب المال وجمعه ونسوا واجباتهم زحزح الله عنهم تلك السيادة ولن تعود إليهم الا بالعودة إلى الخلق المتين والدين القيم قال تعالى:

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد: ١١]

وإليه وحده عاقبة الأمور .

خير متاع الدنيا!

روى النسائي ومسلم بسندهما إلى رسول الله ﷺ قال « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » [١]

وأخرج رزين بسنده عن أبي نخيح عن النبي ﷺ قال: « مسكين مسكين رجل ليس له امرأة قالوا وإن كان كثير المال قال وإن كان كثير المال؟ مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها قالوا وإن كانت كثيرة المال؟ قال وإن كانت كثيرة المال » . [٢]

يفيد هذان الحديثان الكريمان أن الزوجة من خير ما يهب الله سبحانه عبده وأن الخير يتضاعف بها إذا صلحت فأطاعت زوجها إذا أمر وسرته إذا نظر ولم تخنه في نفسهاولا ماله إلا أن تأخذ لنفسها ولبنيها ما يكفيهم بالمعروف من غير سرف ولا إفساد. أفاد الحديث الأول أن المرأة الصالحة خير المتع وقد كان صلوات الله عليه يحبها هي والطيب من الدنيا وكانت قرة عينه في الصلاة ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

فرحم الله امرأ أكفاه الله ما حرم بما أحل وسلك في زواجه مسلك التخير وبعد النظر فإن النكاح علاقة وصداقة وشركة. وإن كان النبي ﷺ قد حكم في الحديث الثاني بأن من لا يتزوج من الصنفين (الذكر والأنثى) مسكين فذلك لأن كلاً من العنصرين مكمل للآخر في شهوتي البطن والفرج اللتين لا يستغني عنهما إنسان كامل مهما كابر، وإذا كان النبي ﷺ قد علم ذلك بحكم الطبع وأمر به بحق الشرع فقال: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » [٣] فذلك لما يؤكد حق الله والمجتمع من واجب الحصان وسلامة الناس من الناس وجاء في حديث: من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه دخل الجنة، واللقلق: اللسان، والقبقب: البطن، والذبذب: الفرج .

(١) أخرجه مسلم (الرضاع) ب١٧رقم ٦٤، والبغوي في « شرح السنة» ١١/٩.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « العيال » (٢٧٦)، و« المجمع » ٢٥٢/٤.
(٣) سبق تخريجه.

وإذا كان هذا الزواج فى ذلك المستوى فإن التخير للمرأة هو المستوى الأول والموضع الأفضل ولعمرى ما تزوج من تزوج وضيعة فى بيتها ووسطها غير محصنة ولا نقية فى عرضها أو متمردة ترد على زوجها أمره ثائرة تتوانى فى تحقيق رغبته.

قال عروة بن الزبير : ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء ثم قال: لعن الله فلانة ألفت من فلان بيضاً طوالا فقلبتهم سوداً وقصاراً. وهذان كنايتان لطيفتان : الأولى عن حسن السيرة والكرامة والثانية عن العار والمهانة.

ولقد صدق عروة فإن دنس المرأة يدنس بيتها ويسود وجوه قومها فتحقرهم الأعين وتزدريهم المخلوقات. وفى حكمة سليمان: الجمال كاذب والحسن مخلف وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة .

ومن الحق على أولياء المرأة أن يتخيروا بعلها كما يتخير الرجل زوجه.. قالت عائشة: النكاح رق، فلينظر أحدكم من يرق كريمته.

اللهم وفق عبادك للرشاد وأنقذهم من حبائل الشيطان ومصايده وردهم إلى الحنيفية السمحة والسنة الرشيدة والتقاليد الحميدة.

خطورة عدم الزواج

قال تعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١]

يمتن الله جلت قدرته على عباده بأنه خلق لهم من أنفسهم ومن بنى جنسهم أزواجاً ليسكنوا إليها ويطمئنوا لها وجعل بين الرجال والنساء مودة ومحبة ورحمة وعطفا فكل من الجنسين يميل إلى الآخر بطبعه ويرغب فى معاشرته بدافع الشهوة فيحصل الترابط الزوجى على أساس تلك المحبة ويصير كل من الزوج والزوجة ستراً للآخر يعتصم به عما لا يحل له مع الغير كما يستر الثوب العورة عن الأنظار. قال تعالى :

﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧]

وفى ذلك من آيات رحمة الله ما هو جدير بامتنانه العظيم الذى يجب على الناس أن يقدروه حق قدره ويقوموا بواجب شكره والحق أنه سر عظيم تتفهمه العقول المفكرة وتفقهه القلوب النيرة قال تعالى :

﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الرعد:٣]

حكمة الزواج :

الزواج سر من أسرار الله الذى خلق لأجله الرجل والمرأةبه يتخذ الرجل شريكة أمينة وقرينة معينة وسميرة أنيسة وبه تتخذ المرأة رجلاً قواما عليها وحاميا غيورا يحمى نفسها ويصون عرضها ويضع فيها بذراً صالحاً فتضع هى أولاداً معروفى الأصل والنسب تتكون منهم الأسر والجماعات ومنها تتكون الأمم والشعوب ويتزايد النسل فتعمر الأرض وينتظم الكون ويظل هذا النظام فى الحياة الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لذا أمر الشرع الحكيم كل من خشى العنت وقدر على التكاليف الزوجية المشروعة أن يتزوج فى مثل قوله ﷺ : «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن

للفرج »[1] ولولا هذا لعم الفسق والفجور وانتشر الزنا بحالة مروعة وتقاتل الرجال والنساء وتزاحمت النساء على الرجال واختلطت المياه واشتبهت الأنساب وضاعت الذرية أدبياً ومادياً لتعذر إلحاقهم بمن يلى أمرهم من الآباء ويهتم لهم اهتمام الوالد الحقيقى لأولاده من صلبه وهى مشكلة يعتاص علاجها وبلية ليس لها دواء إلا اللجوء إلى استعمال ما يسبب العقم ويفضى إلى الإجهاض وهذا الدواء أشد خطراً على الأمة من أصل الداء إذ هو الوأد الخفى والفناء الذى ليس فوقه فناء .

ما ابتليت به أمة إلا محى اسمها من لوح الوجود ، وما رزئ به شعب إلا كانت عاقبتهم عاقبة قوم لوط وصاروا عبرة فى الحاضرين ومثلا للآخرين وها هو ذا سيد المرسلين يحذرنا هذه العاقبة من مئات السنين ويقول: « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ».[2]

لم يفهم كثير من الناس الغرض الحقيقى من الزواج إذ قال النبى ﷺ: « تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة »[3] بل فهموا أن اللذة هى كل شىء فيه وقد نشأ عن هذا الفهم الضال أنهم استعاضوا عن الزواج بالفسق والزنا واستغنوا عن الزوجة الحلال الطاهرة بالفاجرة القذرة والعاهرة الخبيثة الملوثة والمأجورة حتى لذوى الأمراض المعدية.. وما أشبه من يترك الحلال الطيب إلى الحرام الخبيث بالكلب الدنىء يلغ فى أقذر الأوانى وأخبث المواعين.

قد يستثقل بعض من الشباب هم نفقة الزواج وما بعد الزواج فيفضل أحدهم أن يعيش فى الحياة أقطع أبتر لا زوجة له ولا ولد وهذا لا شك جبان خامل، فاقد المروءة والإحساس ليس عنده من صفات الرجولة إلا ما نعرفه من الحيوان الأعجم العقيم.. نعم فاقد الشعور والإحساس بما يجب عليه نحو نفسه وأهله ووطنه والمجتمع الإنسانى فى هذه الحياة لا يدرى أنه محروم من اللذة الزوجية ومن السعادة البيتية ولا يشعر بأنه مطرود من رحمة الله ممقوت من الأصحاب والإخوان محروم من مميزات المرأة الصالحة فى

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٩١) ، والزبيدى فى « الإتحاف» ٢٨٦/٥.

الحياة لا يعرف منها إلا ما يعرفه أحقر الحيوان من أنثاه وإنى أعيذكم أن تكونوا من هذا الفريق المضرب عن الزواج المروج للسفاح .

فاتقوا الله أيها العزاب فى أنفسكم وفى وطنكم العزيز واتقوا الله أيها الآباء فى أولادكم وأبنائكم وبناتكم فإذا بلغوا الحلم ورغبوا فى الزواج وقدرتم فزوجوهم الصالحين والصالحات وإن كانوا فقراء أو كن فقيرات فقد قال تعالى:

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم ﴾ [النور:٣٢]

وقال ﷺ « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا ».[1]

---

(١) أخرجه الزبيدى فى «الإتحاف» ٢٨٦/٥ ، والعراقى فى « المغنى عن حمل الأسفار » ٢٢/٢ .

اتقوا الله فى بناتكم

قد تكون حقوق البنت على أبيها أكثر من حقوق الابن على أبيه ذلك لأن مشكلات تربية البنت أكثر من مشكلات تربية الابن وخاصة فى هذا الزمن الذى قسا أهله وسأقتصر فى الكلام الآن على حق واحد من حقوق البنت على أبيها وهذا الحق هو وجوب استشارتها فى أمر زواجها وقد أهمل كثير من الآباء هذا الحق بحجة أنه ليس للبنت رأى مع أبيها وهذه ناحية استبدادية لايرضاها الإسلام فضلا عن أن العقل السليم يرفضها نهائيا ولا ترضاها حتى القوانين الوضعية فإن الزواج فى حقيقته شركة مساهمة بين الزوجين يتعاونان فيها على إقامة بيت مسلم قوامه كما قال الله تعالى الود والرحمة وأساسه كما يجب أن يكون الحب والإخلاص فإذا لم يكن هناك تجاوب بين الزوجين تهدم بيت الزوجية ولو معنويا، وإن ظلت حياته شكلية أمام الناس ولهذا أوجب الإسلام كما أوجب العقل السليم استشارة البنت فى أمر تزويجها ولا سلطان للأب على ابنته فى هذه الحالة إلا إذا كان رفض البنت الزواج بمن يريده أبوها غير قائم على أساس. فعلى الأب فى هذه الحالة أن يشرح لابنته وجهة نظره فى اختيار هذا الزوج لها، فإن أصرت على رفضه سألها عمن تختاره لنفسها زوجا فإن أشادت بإنسان معين قارن الأب بين الخطيبين فإن استويا فى الدين زوجها بمن تحبه هى لابمن يريده هو وقد جعل الرسول ﷺ الدين أساس الاختيار فقال ﷺ: «إن جاءكم من ترضون أمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»[1] وقد أمرنا الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم باتباع هذه الطريقة فقال سبحانه وتعالى:

﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ [النور: ٣٢]

فما بالنا نجد بعض الآباء أو أكثرهم أحيانا يكرهون بناتهم على التزوج بمن لا دين له بحجة مركزه المالى أو الاجتماعى ناسين أو متناسين قول الله تعالى:

(١) سبق تخريجه.

﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ وقد حدد الرسول ﷺ علامة الرضا من البنت فقال إن كانت البنت المراد تزويجها ثيبا فلابد أن تعرب عن نفسها وإن كانت بكرا فسكوتها يعتبر رضا عن هذا الزواج وإن نفرت أو تركت المكان غاضبة اعتبر ذلك عدم رضاء منها عن هذا الزواج . وإذا فرض أن البنت لم تكن حين تزويجها فى سن تسمح لها بإبداء رأيها فقد أباح لها الإسلام أن تبدى رأيهافى هذا الزواج فى أول يوم تبلغ فيه المحيض فإما أن تقره وإما أن ترفضه وفى هذا الحال لا يحل لوالدها بأن يكرهها على استمرار هذا الزواج الذى ارتضاه هو بحكم ولايته الطبيعية للبنت القاصر وأما بعد أن بلغت المحيض فلها فى أول يوم تبلغ فيه بأن تبدى رأيها وإن سكتت بعد بلوغها هذه السن فليس لها بعد ذلك أن تبدى رفضها لهذا الزواج وقد ثبت أيام الرسول ﷺ أن رجلا من أصحابه أراد أن يكره ابنته على الزواج بإنسان ما دون استشارة ابنته فيه فرفضت البنت هذا الإكراه من أبيها وذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو له إكراه أبيها لها فدعا الرسول والدها وأفهمه أن هذا الإجراء غير جائز فإنه لابد أن تستشار البنت فى أمر تزويجها وقد رضى الأب بحكم الرسول ﷺ وترك لابنته أمر اختيار زوجها وهنا أعلنت البنت رضاءها عن الزوج الذى اختاره أبوها لها من قبل وقالت: الآن أقبل هذا الزواج وإنما أردت بذلك ألا يفهم الآباء أنهم بأبوتهم يكرهون بناتهم على الزواج بمن لا يرضينه. وكثيرا ما يكون سبب تهدم بيوت الزوجية ، عدم قيامها من البداية على الرغبة والرضا، على أن هناك بنات قد يخطئن الاختيار الصحيح بدافع من عواطفهن بدعوى الحب فتختار للزواج من لا يكون كفئا لها، وفى هذه الحالة يجب على الأب أن يمنع ابنته من تنفيذ هذا الزواج لأنه قائم على غير أساس وأن شروط الكفاءة الزوجية ليست متوافرة فى الرجل وقد اشترط الإسلام وجود الكفاءة فى الرجل دون المرأة لأن عصمة الزواج تكون بيد الرجل لا بيد المرأة فإذا لم يكن الرجل كفئا لهذا الزواج استبد بزوجته وأذاقها النكال بحكم وجود العصمة فى يده ولهذا كان الإسلام حكيما فى اشتراط هذه الكفاءة التى تتركز فى ستة أمور هى : النسب ودرجة الإسلام وتكافؤ الحرفة وتساوى الحرية وتساوى الديانة والمال.

إن الكفاءة فـى الرجـال تكـون فـى ست لها بيت جميل قد ضبط
نسـب وإسـلام كـذلك حـرفـة حـرية وديـانة مـال فـقـط

فإن فقد شرط الكفاءة من هذه الشروط الستة جاز للمرأة أن تشترط وجود العصمة بيدها لتطلق زوجها متى شاءت إذا أساء استعمال حقوق الزوجية فإذا فرض مثلا أن طبيبة أحبت تمورجيا فالزواج بينهما جائز ولكن يشترط أن تكون العصمة بيدها وكذلك إذا كان الزوج دون مستوى المرأة علما وخلقا ودينا ومالا فللزوجة أن تشترط فى هذه الحال وجود العصمة بيدها حتى لا يتحكم فيها زوجها بمقتضى وجود العصمة بيده.

فليتق الله هؤلاء الآباء وليدعوا لبناتهم حقا ثابتا لاختيار أزواجهن ويشترط أن يكون اختيارهن قائماً على أساس من الدين والخلق أولا وأن تكون الكفاءة متوافرة ثانيا وإن لم يفعل الآباء ذلك تعرض هذا الزواج للانهيار والمسؤولية فى هذه الحال على الآباء لا على البنات.

التكافؤ فى الزواج

اضطررت لمراجعة ما كتبه الفقهاء فى مسألة التكافؤ فى الزواج لمناسبة من المناسبات فوجدت الموضوع ملخصاً تلخيصا وافيا فى كتاب أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فقد جاء فيه ما يأتى:

الكفاءة شرعا مساواة الزوج زوجته فى المنزلة بحيث لا تكون الزوجة ولا أولياؤها عرضة للتعير بهذه المصاهرة حسب العرف وقد خصص الفقهاء أمورا ستة اعتبروا أن الكفاءة تتحقق بتحقق المساواة فيها وأن عدم المساواة فيها أو فى أحدها مفوت للكفاءة وهى :

١ ـ **النسب** ـ إذا كانت الزوجة نسيبة أى معروفا لها نسب متصل بأصل معلوم لا يكون كفئا لها إلا نسيب مثلها متصل نسبه بأصل معلوم وشرف العلم فوق شرف النسب فالعالم غير النسيب كفء لأية نسيبة مهما شرف نسبها.

قال فقهاؤنا وهذا التكافؤ فى النسب خاص بحالة إذا كان الزوجان من العرب لأنهم هم الذين حفظوا أنسابهم وجعلوها من مفاخرهم وأسباب هجوهم ومدحهم فالعربية وهى التى يعرف اتصال نسبها بقبيلة من قبائل العرب لا يكون كفئا لها غير العربى وهو من لا يعرف اتصال نسبه بقبيلة من القبائل. وليس العرب كلهم متكافئين فقريش بعضهم أكفاء لبعض أى أن القرشية لا يكافئها إلا القرشى وسائر العرب بعضهم أكفاء لبعض أى أن العربية من غير قريش يكافئها أى عربى وإن اختلفت القبائل : فالقرشى كفء لأية عربية وغير القرشى من العرب كفء لغير القرشية منهم .

وأما غير العرب فلأنهم لم يحفظوا أنسابهم ولم يعتدوه من مفاخرهم لا يعتبر بين الزوجين منهم التكافؤ فى النسب .

٢ ـ **الإسلام** ـ إذا كانت الزوجة مسلمة لها أب وأجداد مسلمون لا يكافئها المسلم الذى ليس له فى الإسلام أب ولا جد ومن لها أب واحد فى الإسلام يكافئها من

له أب واحد فيه ومن له أب وجد فى الإسلام فهو كفء لمن لها أب وأجداد لأن تعريف المرء يتم بأبيه وجده فلا يلتفت إلى مازاد .

٣ ـ **الحرفة** ـ إذا كانت الزوجة بنت صاحب حرفة شريفة لا يكون كفئا لها صاحب الحرفة الدنيئة والمعتبر فى شرف الحرفة ودناءتها هو العرف .

٤ـ **الحرية** ـ إذا كانت الزوجة حرة لا يكون الرقيق كفئا لها وإذا كانت حرة الأصل لا يكون المعتق كفئا لها ومن لها أب وجد فى الحرية لا يكافئها من له أب فقط ومن لها أب وأجداد فى الحرية يكافئها من له أب وجد فقط كما قيل فى إسلام الأصول .

٥ ـ **الديانة** ـ المراد بها الصلاح والاستقامة فإذا كانت الزوجة من بنات الأتقياء ذوى الاستقامة لا يكون الفاسق كفءاً لها فإنهم لتقواهم واستقامتهم يرون مصاهرة الفاسق عارا لهم فلا يكون الفاسق كفئا لصالحة بنت صالح وإنما يكون كفئا لفاسقة بنت فاسق أو بنت صالح ، وهذا رأى الشيخين .

٦ ـ **المال** ـ ليس المراد بالتكافؤ بين الزوجين فى المال أن يتساويا فى الغنى ودرجة اليسار وإنما المراد أن يكون الزوج قادراً على مقدم صداقها والإنفاق عليها شهراً فمن كان قادرا على ذلك يعتبر كفئا لها ماليا ولو كانت ثروتها وثروة أبيها أضعاف ماله أما من كان غير قادر على ذلك فهو ليس كفئا لها ماليا .

وقال حضرة الأستاذ فى ختام الموضوع ما يأتى :

وبعض الأئمة لا يعتبر الكفاءة فيما ذكر لأن الناس سواء وقد قال ﷺ : الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إنما الفضل بالتقوى وقال: يابنى هاشم لا يجيئنى الناس بالأعمال وتجيئونى بالأنساب إن أكرمكم عند الله أتقاكم. فكل مسلم كفء لأى امرأة مهما كان أصلها .

أقول : ولعل هؤلاء الأئمة أقرب إلى ما جاء فى القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما لا يقيدان الزواج بالمميزات الاجتماعية أو مميزات القبائل أو الأجناس فقد جاء فى

القرآن الحكيم :﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

[الحجرات:١٣]

فالزواج جائز بين أى مؤمن ومؤمنة من أى بلد كانا أو من أى قبيلة كانا . ألم يقل الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ [الحجرات: ١٠]

وكذلك جاء فيه :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ [التوبة: ٧١]

فلا فضل لعربى على غير العربى ولا فضل لغير العربى على العربى ولا فضل للأبيض على الأسود ولا للأسود على الأبيض إلا بالتقوى .

لقد بين القرآن الكريم من حرم علينا ومن أحل لنا فى الزواج بما جاء فى سورة النساء:

﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما ۞والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما ﴾

[النساء : ٢٣ ـ ٢٤]

بل لقد سمح الكتاب العزيز بزواج المسلم بغير المسلمة من أهل الكتاب بقوله تعالى:

﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾

[المائدة: ٥]

بل لقد نصح النبى ﷺ لزينب بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ أن تقبل الزواج بزيد وكان عبداً معتقاً فكأنه ﷺ أجاز زواج سيدة من أشرف عائلات قريش بزيد ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾.

[الأحزاب: ٣٦]

بل لقد أجاز العرف فى صدر الإسلام أن يتزوج بلال الأسود أخت عبد الرحمن ابن عوف.

وكذلك ورد عن أبى هريرة أن أبا هند حجم النبى ﷺ فى اليافوخ فقال النبى ﷺ : يابنى بياضة أنكحوا أبا هند وانكحوا إليه . قال وإن كان فى شيء مما تداوون به خير فالحجامة. وكان أبو هند من موالى بنى بياضة.

ومن الأحاديث المشهورة قوله ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .(١)

ومن الغريب أن الفقهاء قد أطالوا البحث فى موضوع التكافؤ فى الزواج لكنهم لم يذكروا شيئاً عن التكافؤ فى الصحة بين الأزواج وهو ما يدعو إليه الطب فى هذا العصر .

ولكنهم ـ والحق يقال ـ بحثوا فى رد المنكوحة بالعيب، وكذلك بحثوا فى أن البرص والجنون والجذام عيوب يفسخ بها النكاح .

(١) أخرجه الترمذى (١٠٨٤) و (١٠٨٥) وعبد الرزاق (١٠٣٢٥) والبيهقى فى «السنن » ٨٢/٧، والبغوى فى « شرح السنة » ١٠/٩، والبخارى فى « التاريخ الكبير » ٢٦/٩ وغيرهم .

زواج العاجز جنسياً

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ۞ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢٠ ـ ٢١]

يبين الله سبحانه وتعالى آياته الواضحات الظاهرات للرد على منكرى البعث الذين ذكرهم فى قوله فيما سبق قال تعالى :

﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ﴾ [الروم : ١٦]

بأنه جل شأنه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحى ، وبأنه يحيى الأرض بعد موتها ثم قال تعالى: ﴿ كذلك تخرجون ﴾ [الزخرف : ١١]

كما أنه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها يخرجكم من قبوركم بعد موتكم وحلول يوم القيامة ليحاسبكم على إنكاركم البعث وكفركم وتكذيبكم بآيات الله ثم قال فى بقية الأدلة على البعث وأنه حق واقع ﴿ومن آياته ﴾ الباهرة الواضحة الظاهرة الدالة على البعث وإمكانه غير ما تقدم من الآيات ﴿أن خلقكم ﴾ من آدم عليه السلام ومن آدم خلق الله حواء ومنهما خلقكم ولا تدبير وقد أوجد فيكم العقل والتفكير والإحساس والتمييز وبين لكم آياته وأكثر عليكم خيراته فما أبعد الفرق بين التراب وهذه الصفات فكيف تكفرون وتكذبون وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون. أوجد بقدرته سبحانه وتعالى: آدم من تراب ومنه حواء ﴿ ثم ﴾ بعد خلقه آدم وحواء عليهما السلام خلق منهما ذرية أنتم وآباؤكم وأجدادكم منها كما يقول عز وجل﴿ إذا أنتم ﴾ بعد ذلك ﴿ بشر ﴾ بشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ثم أطلق على الإنسان واحده وجمعه، ولم يجمعوا الواحد بل ثنوه كما قال تعالى: ﴿ قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ [المؤمنون: ٤٧]

فالله أنشأ أصلكم من تراب فإذا أنتم بعد ذلك ناس كثيرون ﴿ تنتشرون ﴾ في الأرض وتملكونها شرقاً وغرباً وشمالا وجنوبا ومنكم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، تختلفون في ألوانكم ولغاتكم وأجسامكم وعاداتكم وأفكاركم وحياتكم ونظامكم وهو ﴿ **الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار *وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ [إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤]

فإنه بعد هذه النعم وتلك الآيات يجحد وينكر البعث ويعتو ويتكبر ويقسو ويتجبر قال تعالى:﴿ **أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد** ﴾ [السجدة : ١٠]

ويقول تعالى: ﴿ **أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون** ﴾ [الصافات: ١٦]

ويقول تعالى: ﴿ **إن هى إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ [المؤمنون : ٣٧]

إن الله لم يخلق الناس عبثا بل خلقهم ليميز الخبيث من الطيب والمؤمن من الكافر ولينال كل جزاءه إن خيرا فخير وإن شرا فشر والعاقبة للمتقين والنار بئس مثوى الظالمين.

﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾

[المؤمنون : ١١٥]

إنكم ستبعثون وعلى ربكم تعرضون وبأعمالكم تحاسبون قال تعالى :

﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ [الشعراء : ٢٢٧]

بين جل جلاله آية ثالثة من آيات كثيرة فقال سبحانه وتعالى ﴿ **ومن آياته** ﴾ الدالة على البعث الناطقة بأنه لا محالة حاصل وواقع ﴿ **أن خلق لكم** ﴾ من أجلكم

ولنظام حياتكم وهناءة عيشكم وتنظيم بيوتكم وبقاء نسلكم وإتمام نعمته عليكم بالبنين والبنات لهذا ولغيره خلق الله الكريم لكم ﴿ من أنفسكم ﴾ ومن جنسكم لا من جنس آخر وعبر بقوله من أنفسكم ليبين أنهن جزء منكم وبعضكم فإكرامهن واجب والإحسان إليهن حتم لازم وغير ذلك فيه إثم وضرر. خلق لكم من أنفسكم ﴿ أزواجاً ﴾ لكل واحد زوجة يتزوجها بكلمة الله وأمانة الله وفي حدود شرع الله وعلى الود والصفاء وحسن العشرة وأداء الحقوق والصدق والإخلاص والرفق والشفقة والرأفة والرحمة، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك وغيره بقوله ﴿ لتسكنوا إليها ﴾ لتطمئنوا إلى هؤلاء الزوجات على يقين بالحب الخالص وتميلوا إليهن ولا يكون ذلك إلا بالقيام الصادق بحقوق الزوجية حتى تكون على الود الصافي والثقة التامة بين الزوج وزوجته والألفة متوافرة بين الرجل وامرأته وليتحقق قوله تعالى ﴿وجعل بينكم ﴾ وبين زوجاتكم بهذا النسب وتلك العفة وهذا الزواج ﴿ مودة ﴾ ودا وحبا ﴿ورحمة﴾ وعطفاً وشفقة ورأفة وقد لا تكون هناك صلة قديمة ولا رابطة سابقة فبرحمته أوجد هذا وغيره بسبب الزواج ، فصلة النسب صلة قوية مكينة قد تكون أقوى من صلة القرابة لما يترتب عليها من نظام الأسرة وحفظ النوع وبقاء النسل وكثرة سواد الأمة واستكمالها أسباب القوة والمنعة كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ إن في ذلك﴾ إن في خلقكم من تراب ثم انتشاركم في الأرض وفي جعل الله لكم أزواجاً من أنفسكم وإيجاده بينكم وبينهن المودة والرحمة ومانشأ عن هذا كله من عمارة الأرض ونظام الدنيا وعبادة الله والدلالة على قدرة الله إن في هذا كله ﴿ لآيات ﴾ ودلالات واضحات على أن كل هذا لم يوجده الله عبثاً ولم يخلقه سدى بل لحياة خالدة أخرى باقية وهي إما الجنة أو النار قال تعالى:

﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾

[الحج : ٦]

وهذه الآيات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ فيما خلق الله فى السموات وفى الأرض وفى حكمة تلك المخلوقات، وفى أنفسهم ومالها من تركيب وتكوين وإبداع فى الخلق فى كل جزء وفى كل عضو وفى كل هذا الملكوت الذى جمعه الله فى الإنسان الواحد المتحرك بقدرة الله وسر لا يعلمه إلا الله ، أما أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وختم على سمعهم وأبصارهم فيمرون بهذه الآيات وهم عنها معرضون وعن حكمتها وسرها غافلون قال تعالى:

﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

وكانت آية الزواج فيها الدلالة على البعث لأن الله يحيى من الزوجين الذكر والأنثى ويبعثهما فى هذه الدنيا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم يخرجهما طفلين ثم يتولاهما بالحفظ والرعاية حتى يقوما بأود الحياة ومطالب الدنيا والقادر على ذلك قادر على أن يبعث هذين وأبويهما بعد موتهم فإن البعث أيسر من الإيجاد ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ [الروم : ٢٧] .

والزواج عبادة وقربى كما يترتب عليه من حفظ النوع والعصمة وبقاء نظام الدنيا وكثرة النسل الذى يعتز به الإسلام ويقوى به المسلمون وقد أمر الله تعالى به فى قوله :

﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ [النساء : ٣]

وقوله تعالى :

﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [النور : ٣٢]

وفى الحديث الصحيح فى رواية البخارى وغيره جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبىﷺ يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها (استقلوها ورأى كل منهم أنها قليلة) فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلى الليل أبداً وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ (حين بلغه أمرهم) فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا : أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر

وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منا» [1] وروى أن رسول الله ﷺ ذكر الناس وخوفهم فاجتمع عشرة من الصحابة وهم : أبو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وأبو ذر وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعقل بن مقرن فى بيت عثمان بن مظعون (بعد وفاة عثمان بن مظعون فلم يكن معهم) فاتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء فجاء رسول الله عليه وسلم إلخ الحديث الأول. ويروى أن علياً رضى الله عنه كان فى أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات المباحة فنزلت الآية فى سورة المائدة:

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ [المائدة : ٨٧]

وهذا الكلام قد يفسره من يريدون الترفه وخفض العيش والتمتع باللذات والشهوات بأنه يدعو إلى ذلك ولكن ليس هذا المقصود ، إنما المقصود منع هؤلاء الذين يريدون تحريم الطيبات على أنفسهم مما قد يؤدى إلى الإضرار بالمسلمين وفشو الرهبانية فيهم وقد قال ﷺ: إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى، ونعى الله على المغالين فى دينهم الذين يعسرون ولا ييسرون فقال عز وجل :

﴿ لا تغلوا فى دينكم غير الحق ﴾ [المائدة : ٧٧]

وقال جل شأنه:

﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾

[الأعراف : ٣٢]

ومعنى هذا أن يسلك المؤمن فى عبادته سبيل الشريعة السمحة فلا يتشدد حتى يؤدى ذلك إلى الإضرار به وبذويه والمسلمين فينقطع للعبادة ولا يعمل ويصبح عبئا على غيره ولا يقوم بما عليه من حقوق خاصة وعامة ولا يفرط فى الحقوق الشرعية ويمعن فى الملاذ والشهوات ويعكف على الدنيا بشراهة كمن قال الله تعالى فيهم:

---

(١) أخرجه البخارى ٢/٧ ، والبيهقى ٧٧/٧ والتبريزى فى « مشكاة المصابيح » (١٤٥)، والبغوى فى «شرح السنة » ١٩٦/١.

﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ [الأحقاف : ٢٠]

بل يكون كما قال الله تعالى:

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ [القصص : ٧٧]

وكما قيل فى الأثر: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً من غير أن يكون من المتغالين فى الترف ولا من المتغالين فى التعبد لدرجة التفريط فيما عليه من حقوق النفس والأهل والولد والوطن التى فرضها الله وأوجبها عليه. والزواج واجب على القادر المستطيع الذى يخاف على نفسه الوقوع فيما حرم الله وحرام على العاجز عن إتيان النساء ولو كان غنيا، ومندوب لكل من يرجى منه النسل وهو آمن على نفسه لما روى عن أنس قال: قال ﷺ : «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم يوم القيامة» (١) وعن أبى عمر قال: قال ﷺ «تناكحوا تكاثروا فإى أباهى بكم الأمم». (٢)

وعن أنس قال : قال ﷺ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى » (٣) فالحكمة فى الزواج كسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل والاعتصام من أشنع جريمة تودى بالفرد والأمةوهى جريمة الزنى التى يقول الله تعالى فيها :

﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [الإسراء : ٣٢]

والشباب هم أحق الناس بالمبادرة إلى الزواج لقوله ﷺ فيما روى عن ابن مسعود «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة (مئونة الزواج) فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (٤) (وقاية) وفى رواية عن الأعمش بعد قوله المثل الأعلى

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٥٨/٣ و٢٤٥، وأبو داود (٢٠٥٠)، والنسائى (النكاح) ب ١١ وابن ماجة (١٨٤٦) والحاكم ١٦٢/٢ و« المجمع » ٢٥٢/٤ و٢٥٨.

(٢) أخرجه عبدالرزاق (١٠٣٩١) والزبيدى فى « الإتحاف » ٢٨٦/٥.

(٣) أخرجه الحاكم ١٦١/٢ و « المجمع » ٢٧٢/٤ ، و« الصحيحة » ٢٠٠/٢ ، و «الفتح » ١١١/٩.

(٤) أخرجه البخارى ٣/٧ ومسلم (النكاح) ١ ، ٢ ، والنسائى ١٦٩/٤ و١٧١ و٥٨/٦ ، وابن ماجة (١٨٤٥) وأحمد ٣٨٧/١ و٤٢٤ و٤٢٥ و٤٣٢، والبيهقى فى « السنن » ٢٩٦/٤ و٧٧/٧ والدارمى ١٣٢/٢ والطبرانى فى « الكبير » ١٤٩/١٠ وابن أبى شيبة ١٢٦/٤.

للشباب فى كل ما يرضى الله تعالى فيتزوج وهو شاب. وهذا ولى عهد إيران صاحب السمو الأمير محمد رضا بهلوى الشاب الفتى الرشيد تقام الأفراح الآن بمصر لزواجه بصاحبة السمو الأميرة فوزية شقيقة ملك مصر المطاع الملك فاروق جعله الله قرانا سعيداً وزواجاً هنيئاء، فليقتد الشبان بهذين القمرين النيرين وليقلعوا عن تلك الخطة المحفوفة بالمخاطر وأسوأ النتائج وهى الإضراب عن الزواج اكتفاء بالسير فى هذه السبل المعوجة وتلك الطرق الملتوية التى أفسدتهم وأفسدت شابات كثيرات أوقعهن سوء حظهن فى هاوية الغواية مما امتلأت به الصحف والمجلات وأصبح حديث الناس فى كل مكان وأدى إلى الشك فى كل فتى وكل فتاة وإلى فشو أمراض كثيرة جسمية واجتماعية لا خلاص منها إلا بالتعفف والصيانة اتباعاً لأمره تعالى فى قوله:

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾

[النور : ٣٣]

وقوله ﷺ: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» وفى الحديث إشارة إلى جواز المعالجة لقطع شهوة النكاح بالأدوية قطعاً مؤقتاً لا قطعا مستأصلاً فإن ذلك حرام لأنه قد يستطيع ويصبح فى سعة فيحرم نفسه ويحرم المسلمين من ثمرة الزواج وهى إعفاف النساء وكثرة النسل الذى يحفظ كيان الأمة الإسلامية. والذى يجعل الحياة الزوجية سعيدة هنيئة منتجة هو:

١ ـ اختيار الزوجة قبل الإقدام على الزواج ويكون المقصد الأول فى الاختيار هو دينها ثم جمالها ثم حسبها ثم مالها فقط أو لجمالها فقط فإنها تكون حينئذ جحيم الحياة ونقمة الدنيا وقد قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ، ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١)

---

(١) أخرجه البخارى ٩/٧، ومسلم (١٤٦٦)، والبيهقى فى « السنن » ٧٩/٧، وسعيد بن منصور (٥٠٦)، والبغوى فى « شرح السنة » ٨/٩ وفى « التفسير » ٢٢٠/١، والكحال فى « الأحكام النبوية » ١٨/٢ و٢٧ وأبو نعيم فى « الحلية » ٣٨٣/٨، وابن كثير ٣٧٧/١، و الدار قطنى ٣/ ٣٠٣، والتبريزى فى « المشكاة » (٤٠٨٢)، والألبانى فى « الإرواء » ١٩٤/٦، والزبيدى فى « الإتحاف » ٣٤٠/٥ والعراقى فى «المغنى عن حمل الأسفار» ٣٩/٢ و « الترغيب » ٤٥/٣ وغيرهم .

٢ ـ أداء الحقوق الزوجية من إعفاف الزوجة وإحصانها وحسن القيام عليها بالنفقة المناسبة وسيادة روح الود والوفاء والثقة والحب.

٣ ـ ترك الشكوك والظنون لأتفه الأسباب وأحقر الأشياء.

٤ ـ التكافؤ فى السن والجاه والمال فلا يأخذ شيخ شابة ولا يتزوج فقير غنية ولا ضعيف الجاه صاحبة الجاه وإلا ساءت العاقبة وعم الفساد والاضطراب والفتنة فى هذه الحياة التى أسست على الخيال والوهم.

٥ ـ ترك التطلع إلى غير الزوجة فى حضورها أو غيابها.

٦ ـ التودد إلى أهلها وأهله جهد استطاعته.

٧ – المحافظة على دينها ودينه فيكون لها فى ذلك نعم القدوة وخير الأسوة.

بهذا وبغيره مما يقوى رابطة الزوجية تهنأ الأسرة وتنعم الحياة وتحسن العاقبة قال تعالى:

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾

[آل عمران: ١٠١]

عادات وتقاليد سيئة

الواقع أن أسباب تدهور أخلاقنا اختلال نظامنا العائلي وسوء حال الأسرة بسبب تعدد الزوجات والطلاق لأوهى البواعث والعلة فيه ليست آتية من ناحية القوانين والحدود الشرعية وإنما هي آتية في الواقع من ناحية طغيان العادات السيئة والتقاليد السخيفة على الشروط والحدود التي وضعها الشارع الحكيم شرطا لإباحة تعدد الزوجات والقسمة بينهن في كل شيء في المبيت والكسوة والنفقة وسائر أنواع المعاملة التي تجرى بينه وبين زوجاته وأولاده ولا شك أن هذا أدعى إلى الطمأنينة واستقرار الحياة الزوجية ونشأة الاولاد نشأة طيبة بعيدة عن العسف والجور والظلم والميل إلى جانب واحد دون غيره من الجوانب الأخرى مما يوجب القطيعة ويسبب العداوة والشحناء وقد قال الله تعالى:

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ [النساء :٣]

فمجرد خوف الزوج من الجور وأنه لا يمكنه أن يكون ميزانا عادلاً بين زوجاته في القسم والتسوية يلزمه شرعاً أن يقتصر على زوجة واحدة ولذلك يقول الله تعالى «ذلك» أي الاقتصار على الواحدة «أدنى» وأقرب إلى عدم الجور والظلم ومعلوم بالمشاهدة أن كثيراً من الأزواج اليوم يتزوجون تحت تأثير العادات السيئة بغير واحدة إما للنكاية بإحدى الزوجات ومضارتها وإما لمجرد قضاء الشهوة وإصابة المتعة دون رعاية لما يجب عليه نحو هذه أو تلك من الحقوق والواجبات الشرعية والاجتماعية ولاشك أن الظلم مدمر كما أن العدل معمر وقد أمره الله بالعدل أو الاقتصار على الواحدة فلم يعدل ولم يقبل الاقتصار على الواحدة فكان نصيبه ارتباك حياته الزوجية وانهيار بناء أسرته العائلية، ووقوع العداوة والبغضاء بينه وبين زوجاته وأولاده وليست هذه الآفة الاجتماعية من جنايات الشرع الحكيم وإنما هي من جنايات العادات السيئة والأخلاق المرذولة .

أما الطلاق لأوهى البواعث وأتفه الأسباب فليس الذنب فيه أيضا ذنب الدين بل هو ذنب اختيار الزوجة وقد أمرنا الله بتخير الزوجة الصالحة كما أنه أيضا ذنب سوء معاملة

الزوج وظلمه وغطرسته ووضعه حقوق الزوجة وكرامتها تحت قدميه وقد قال الله تعالى:
﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾

[البقرة : ٢٢٨]

فجعل للمرأة قبل الزواج حقوقا مثلما للرجل عليها حقوق وهذا عين التسويةبينهما فى الحقوق فله حق وعليه حق ولها حق وعليها حق إلا أنه يمتاز عنها فى شيء واحد وهو القيام عليها لإصلاح شأنها أو شأن بنيها وليس لها حق القيام عليه لأن ذلك عكس الوضع الطبيعى الذى خلق الله عليه النوع الإنسانى .

وإذا كان واجب الزوج قبل الإقدام على الزواج أن يتخير الزوجة بالسؤال عنها وعن بيئتها وخلقها وحسبها ونسبها ودينها وصلاحها فعليه أيضاً ألايكل أمر الخطبة إلى من يثق بهن من النساء فلا يعمد إلى والدته مثلا ويرجوها أن تقوم بالمهمة وحدها فتختار له من تحلو فى عينها وترغب فى نسبها وتميل أن تجعلها قرينة ولدها وشريكته فى حياته وهو لا يعرف من أمر أخلاقها وجمالها وسيرها وعاداتها وعادات أهلها شيئاً . وإذا كانت العادات لا تبيح نظر الخاطب إلى المخطوبة فلنضرب صفحا عن هذه العادات السيئة ولنعمل فى هذ المسألة الدقيقة بمقتضى الشرع الشريف فإن الشارع قد أباح للخاطب النظر إلى مخطوبته واكتفى فى ذلك بالنظر إلى الوجه والكفين لأنه برؤية الوجه تعرف درجة الجمال ومقدار الجاذبية وبهما تكون الألفة والمحبة اللازمتان لدوام الزوجية أما إذا جرينا وراء هذه العادات العقيم وعملنا بهذه التقاليد البالية السخيفة فلا نسلم من الوقوع فيما يقع فيه كثير من الأزواج، فإن الزوج ليلة الزفاف والبناء بزوجته قد يقع نظره عليها لأول مرة فلا تقع من نفسه موقعا حسنا فيفر منها ويضمر فى نفسه لها الشر والقطيعة وبعد عشرة تستغرق سنتين أو أكثر تلد الزوجة منه أولادا وعلى أثر نزاع عائلى أو شقاق بينهما يحصل الطلاق وتنتهى الزوجية بالانفصال وتكون النتيجة أن يتزوج بأخرى وينشأ أولاده من زوجته المطلقة فى كنف زوجته الجديدة وتحت إشرافها، فلا يرعاهم فى هذه الزيجة قلب الأم وحنانها، وإنما يرعى هؤلاء الأولاد التعساء قلب قاس أقسى من الحجر الصلد ينطوى على بغض وكره وعداوة. وإذا رزق من زوجته الأخرى أولادا آخرين غير هؤلاء لم تلبث أ ن تنبت بينهم جميعاً جذور العداوة وتبذر بذور الشر والعدوان

وبذلك يتم انهيار بناء الأسرة ولا يلبث الأولاد إذا كبروا أن يكيدوا لأبيهم وزوجة أبيهم ويكيد لهم أبوهم وزوجته وتكون النتيجة كما قلنا تلاشى الأسرة وعدم الصفاء والوئام بين أفرادها.

وهنا يجب على رجال الشرع والدين أن يعالجوا هذه الحالة وأمثالها بالنصح والإرشاد ونشر تعاليم الدين الحكيمة القويمة وأن يتعرضوا لشؤون المرأة ويدافعوا عن حقوقها التى رفعها الإسلام إلى أرقى مستوى بلغته المرأة وبذلك يصلح المجتمع الذى لا يتم صلاحه إلا بصلاح الأسر والأفراد.

حكم فض غشاء البكارة بالإصبع

ورد سؤال إلى « مجلة الإسلام »[1] يقول فيه سائله:

ما الحكم في إجبار الرجال والنساء العروس على فض بكارتها بالإصبع وما الواجب شرعاً في ذلك ؟

أجاب الشيخ محمد سليمان بما يلي :

إن هذه العادة الشنيعة المحشوة بالسماجة والقبح الخارقة للوقار والكمال لا يمارى أحد ممن له أدنى اتصال بعلم الشريعة فى تحريمها واعتبارها إثما مبينا موجبا لغضب الله تعالى على كل من تمسك بها أو سعى فى تعميمها أو ساهم فى الضغط عى أحد المسلمين لإيقاعه فيها وهي من أقبح وأرذل ما تمخضت عنه العقليات المنحطة الجاهلة البعيدة عن الدين وروحه ومبادئه كل البعد، زينها لهم الشيطان وحسنها فى أعينهم بمبررات هى غاية فى السخافة والنذالة والانحطاط الأخلاقى ولله الحمد فإن كثيراً من المسلمين قد بدأ يشعر بما فيها من همجية ووحشية وقسوة وفضيحة فنبذها وقاطعها بينا ظل متمسكا بها متشبثا بأهدابها الكثير بل الأغلبية الساحقة فى القرى ومن فى حكم القرى من بنادر الأرياف وبعض الأوساط فى المدن.

ولقد كنت أسمع من بعض الناس قديما تبريرا لهذه الرذيلة أن فيها ضمانا لعفة الزوجة وطمأنة للزوج على سلامة حرثه من وطء الغير فيه وعبثه به ويقولون، وما أقبح ما يقولون، إن الطريقة الشرعية يمكن التغرير بالزوج فيها بحيث لا يشعر بنفسه — إن كان فى الأمر شيء — إلا وقد وقع فى الشرك وجابه الواقع المحسوس وأصبح على حد التعبير العامى مقيدا من وسطه كالنسناس لا يستطيع من زوجته إفلاتا ولا يملك أن يواجهها بالتهمة ويتخلص منها إلى آخر ما يهرفون به ويخرفون فى تبرير هذه الشنيعة المخلة والوصمة الاجتماعية .

---

(١) « مجلة الإسلام » السنة الثالثة العدد ٣٦ سنة ١٩٣٤ ص ٢٣ .

ونقول لهم : على رسلكم أيها الجهلة الأغرار فلقد طعنتم أنفسكم طعنة نافذة ووصمتم أنفسكم بضعف التقدير وسوء الاختيار وقذفتم أصهاركم بأشنع تهمة عرفها التاريخ تهمة التفريط فى العرض وعدم التحرز من خدشه بل إنكم ناقضتم أنفسكم بأنفسكم إذ لا معنى لأن تصلوا حبلكم بحبل قوم لا تطمئنون إلى طهارة أذيالهم وعفة نفوسهم اللهم إلا إذا كنتم ممن يرضى لعرضه أن يخدش وهو هادئ مطمئن ساكن لا يبالى وإلا فما لكم ومال من تشكون فى نقاء سريرتهم وتخافون أن يكونوا غير أمناء على أعراضهم ؟ هذا إذا كان المتشبث بهذه القبيحة الزوج أو أهله .

أما إذا كانت الرغبة من ناحية أهل الزوجة فإن المصاب يكون أعظم والبلاء أكبر ذلك أن هؤلاء التعساء قد فاتهم أنهم بمظهرهم هذا الشاذ قد وضعوا ابنتهم من حيث أرادوا أن يشرفوها وأظهروا الغيرة على أمر ما كان ينبغى أن يراه أحد إلا زوجها وسعوا فى فضيحتها من حيث أرادوا أن يستروها إذ كثيراً ما تحدث غمرة الخوف فى نفس البنت حالة يتسبب عنها هروب دمها فينعكس المقصد وتفضح وهى بريئة ولكن:

عقول بها طاعون أودى بدركها وصيرها كالبهم تدرى ولا تدرى

وإنما قلنا بتحريم هذه العظيمة واستحقاق فاعلها ومحبذها ومناصرها غضب الله تعالى لخروجها على القواعد الدينية والنصوص الشرعية من وجوه.

إنها تضاد الفطرة الإلهية والسنة المحمدية التى كان عليها النبى ﷺ وسلف الأمة الصالح رضوان الله عليهم ذلك لأن الله تعالى خلق هذا العضو رقيقا ضعيفا لا يحتمل الشدة والعنف وخلق له عضوا فى الرجل يماثله فى خواصه ويجانسه فى أوصافه رقيقا هينا مثله لا يخدشه ولا يجرحه ولا تحس معه المرأة عند افتضاضها بعشر معشار ما تحسه من الألم والوجيعة والرهبة والهول عندما يهاجمها هذا الوحش بقطعة من العظم فى رأسها ظفر كالسنان حاد مشحوذ كالمدية لا يلبث أن يفعل أفاعيله ويتجاوز الغرض المقصود ومن كان فى شك فليتحر الأمر من امرأتين افتضت إحداهما بالطريقة الشرعية، والأخرى بالطريقة الهمجية وسيجد الخبر اليقين.

وإذا كان الله تعالى قد أحكم صنعه وأكمل خلقه وأبان نبيناكيف نستعمل هذين

العضوين سواء فى ابتداء العشرة أو فى غضونها لذلك كان المرتكب لهذه العظيمة الحريص عليها ممن غير خلق الله وصادم هدى النبى المختار وكان من صنائع إبليس الذى قال فيهم كما حكى القرآن عنه:

﴿ ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله ﴾ [النساء : ١١٩]

ونظرة واحدة إلى ما سيكون وقت مباشرة هذه الجريمة من مظاهر القسوة الوحشية والفظاعة تكفى فى الحكم برفضها وقبحها واستهجانها وناهيك بثلاث نسوة أو أربع أو خمس أو أكثر يحطن بهذه المسكينة الخائفة الوجلة الممتلئة النفس بما تسمعه عن هول وألم ما ستلقاه من العذاب يحطن بها منهن من تمسك رأسها ومنهن من تقبض بعنف على كتفيها ومنهن من تمسك بغلظة فخذيها بحيث لا تستطيع حراكا.. تا لله إن هذه الحالة لكافية فى القضاء على من تكون ضعيفة القلب لا تحتمل الأهوال وهى تاركة فى نفسها وهما لا يفارقها أثره طيلة الحياة ولذلك تجد الكثيرات ممن يفتضضن بهذه الطريقة مصفرات الوجوه ذابلات البشرة تنقصهن النضرة التى هى أساس جاذبية المرأة.

ثبت من وقائع عدة أن كثيرات من هؤلاء التعسات يصبن بانقلاب الرحم وتحوله بحيث يصبحن عقيمات لا يلدن والقاعدة الدينية الشرعية أن كل وسيلة أضرت بالعقل أو البدن أو عطلت وظيفة عضو من الأعضاء يكون الإقدام عليها حراما.

ولو لم يكن إلا هذا السبب لكفى فى تحريمها! وذلك هو ما يترتب على هذه العادة الشاذة من كشف عورة الزوجة المسكينة أمام النسوة اللائى حضرن افتضاضها أو باشرن إمساكها وتهيئتها للزوج البليد الذى لست أدرى بأى نفس « وبأى دم » قبل على نفسه هذا الموقف الفاضح وكيف رضى لحليلته أن تكشف عورتها وتعلن سوأتها أمام هذا الجمع من النسوة؟!

وغير خاف أن الشريعة الإسلامية قد حرمت صراحة كشف المنطقة التى تحدها السرة من أعلى والركبة من أسفل وحظرت بإظهار أحد (أيا كان) على عضو مما بين هذين الحدين إلا الزوج يراه من زوجته أو الزوجة تبصره من زوجها إن أحبا ذلك وأما من عدا

الزوجين فلا، والحرمة محققة والإثم ثابت والعقوبة الإلهية مرتقبة حتى ولو كانت الأم مع ابنتها أو البنت مع أمها. حرم آمن لا سلطان لأحد عليه أبدا إلا أن يكون زوجا مع زوجته كما قلنا ومن تجرأ وكشفه أو نظر فاللعنة الإلهية منصبة على رأسه كما صرح بذلك فى بعض الأحاديث: «لعن الله الناظر والمنظور إليه» وناهيك باللعن عقوبة يجدر بكل مسلم - للإيمان وخوف الله صورة فى نفسه - أن يقاطع أسبابها ويأخذ نفسه بالفرار منها ويكون على حذر أن يتصل شيء مما يؤدى به إليها لاعن قرب ولا عن بعد وواجب كل مسلم يجد سبيلا إلى الحيلولة بين الناس وبين الوقوع فى هذه الهاوية ألا يدخر جهدا فى ذلك بكل ما أمكنه الله من الوسائل وإلا فإن تقاعد وتكاسل مع الاستطاعة كان تاركا لتغيير المنكر معرضا نفسه للمسؤولية والمناقشة أمام الله تعالى.

وأخرج الحاكم عن رسول الله ﷺ: «عورة الرجل على الرجل كعورة المرأة على الرجل وعورة المرأة على المرأة كعورة المرأة على الرجل» (١)

وفى هذا الحديث رد صريح على بعض الجهلة والجاهلات الذين يزعمون وما أكذب زعمهم أنه لا عورة تستتر بين الرجل مع الرجل ولا بين المرأة مع المرأة ويمارون ويجادلون فى ذلك من يعظهم ويذكرلهم حكم الله تعالى فى الستر والتغطية.

هذه خلاصة الرأى فى الموضوع الأول ومن لى برجل ممن يناصرون هذ العادة ويحبذونها يجلس جلسة خاصة هادئة ويخلى نفسه من روح التحيز للعادة والخضوع للمألوف هنيهة يستعرض فى خلالها ظروف تنفيذ هذا الجرم العظيم وما يحتف به من فظائع وفضائح يتندى بها جبين الحر الأبى خجلا ثم ما يتبعه من دنايا يأتيها بعض من توغلوا فى السفالة والانحطاط الخلقى كالطواف بقميص العروس ملوثا بالدم حول القرية وعلى المدعوين مع التصفيق والهليل والنعير والنعيق بألفاظ بشعة هى غاية فى السفالة والقبح مما أعفى القراء من تدنيس أسماعهم بحكايته.. ليفعل ذلك وأنا واثق بأنه سيقوم من هذا الاستعراض الذهنى ثائرا على هذه القبيحة ناقماً على مرتكبيها فاللهم ألهمنا جميعا هداك الحق المبين وافتح بصائرنا لسنا شرعك الموصل إلى سعادة الدارين.

---

(١) أخرجه الحاكم ١٨٠/٤ والهندى فى «الكنز» (١٩١١٠).

ذهاب المرأة إلى الكوافير

جاء الإسلام يحارب نزعة التقشف المتزمتة التى عرفت بها بعض الأديان ودعا إلى التزين والتجمل فى توازن واعتدال منكرا على الذين يحرمون زينة الله التى أخرج لعباده لهذا جعل أخذ الزينة من مقدمات الصلاة:

﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١]

وإذا كان الإسلام شرع التجمل للرجال والنساء جميعا فإنه قد راعى فطرة المرأة وأنوثتها فأباح لها من الزينة ما حرم على الرجل من لبس الحرير والتحلى بالذهب.

ولكن الإسلام حرم بعض أشكال الزينة التى فيها خروج على الفطرة وتغيير لخلق الله الذى هو من وسائل الشيطان فى إغوائه للناس :

﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ [النساء : ١١٩]

أما ذهاب المرأة إلى رجل أجنبى ليزينها فهو حرام قطعاً لأن غير الزوج والمحرم لا يجوز له أن يمس امرأة مسلمة ولا يرى من جسدها ولا يجوز لها أن تمكنه من ذلك.

وفى الحديث الشريف :

«لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» (١)

وكثيرا ما يحدث أن تبقى المرأة وحدها فى محل « الكوافير » فترتكب حراماً آخر وهو الخلوة بأجنبى ..

وما أدى إلى هذا كله إلا الشرود عن نهج الفطرة والاستقامة والاعتدال الذى هو منهج الإسلام وحسب المسلمة الحريصة على دينها وإرضاء ربها أن تتجمل فى بيتها بما

---

١ – انظر « مجمع الزوائد » ٣٢٦/٤، و« الصحيحة» (٢٢٦) .

أبيح لها ، وأن يكون همها التزين لزوجها لا للشارع كما هو بدع المدنية الوافدة التى تحركها اليهودية العالمية (١)

يقول الشهيد سيد قطب عن قوله تعالى :

﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ﴾ [النساء : ٢٧]

وتكشف الآية الواحدة القصيرة عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجه وطريقته وحقيقة ما يريده بهم الذين يتبعون الشهوات ويحيدون عن منهج الله ـ وكل من يحيد عن منهج الله إنما يتبع الشهوات فليس هنالك إلا منهج واحد هو الجد والاستقامة والالتزام وكل ماعداه إن هو إلا هوى يتبع وشهوة تطاع وانحراف وفسوق وضلال.. فماذا يريد الله بالناس حين يبين لهم منهجه ويشرع لهم سنته ؟

إنه يريد أن يتوب عليهم يريد أن يهديهم يريد أن يجنبهم المزالق يريد أن يعينهم على التسامى فى المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة ..

وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله ولم يشرعها لعباده ؟ إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلا عظيما عن النهج الراشد والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم .

وفى هذا الميدان الخاص الذى تواجهه الآيات السابقة : ميدان تنظيم الأسرة وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة التى يحب الله أن يلتقى عليها الرجال والنساءوتحريم ما عداها من الصور ، وتبشيعها وتقبيحها فى القلوب والعيون .. فى هذا الميدان الخاص ما الذى يريده الله وما الذى يريده الذين يتبعون الشهوات ؟

فأما مايريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال : دينى أو أخلاقى ، أو اجتماعى .. يريدون أن ينطلق السعار الجنسى المحموم بلا حاجز ولا كابح من أى لون كان السعار المحموم الذى لا يقر معه قلب ولا يسكن معه عصب ولا

---

(١) انظر : «فتاوى معاصرة» للشيخ القرضاوى ص ١٢ .

يطمئن معه بيت ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة. يريدون أن يعود الآدميون قطعانا من البهائم ، ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة ! كل هذا الدمار وكل هذا الفساد وكل هذا الشر باسم الحرية وهي في هذا الوضع ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة !

وهذا هو الميل العظيم الذى يحذر الله المؤمنين إياه وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات وقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية فى هذا المجال الأخلاقى الذى تفوقوا فيه وتفردوا بفعل المنهج الإلهى القويم النظيف وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقي من الحواجز فى المجتمع دون الانطلاق البهيمى الذى لا عاصم منه إلا منهج الله حين تقره العصبة المؤمنة فى الأرض إن شاء الله [١]

أما ذهاب العروس للكوافير فهو من منكرات العرس فى زماننا هذا وقد شاع وصار فى عرف الكثير معروفاً وليس منكراً فترى العروس تذهب إلى الكوافير ويقوم بتسريح شعرها وتصفيفه رجل أجنبى غالباً وهو أمر حرام ..

ولو فرضنا أن العامل فى الكوافير امرأة فإن الحرمة تأتيه لأنه تشبه بالنساء الكافرات ولأن المقصود به التبرج وإظهار المفاتن والجمال وجمال التسريحة أمام الجميع وفيهم الرجال الأجانب عنها الذين لا يجوز لهم رؤية شعرها فضلا عن أن يكون بطريقة فيها إغراء وإثارة للشهوة ..

يقول أستاذنا الفاضل الأب والأخ والصديق الحاج حسن عاشور أطال الله فى عمره:

لم تعرف مصر أو بلاد الشرق الإسلامى شيئا اسمه « الكوافير أو «المونوكير » أو «البيديكير » أو «حلاق النساء » تلك العادة القبيحة الوافدة من مجتمعات الفسق وبلاد الفجور ومواطن « أندية العراة» !!

---

١ - « فى ظلال القرآن » ٦٣١/٢.

هذه التقليعة الماجنة لم تكن مألوفة فى بلادنا قبل هذه الغزوة التغريبية الشرسة التى أفسدت مجتمعنا المسلم وخدشت حياء بناتنا ونسائنا فى خدورهن ..

إن الرجل الذى يسمح لابنته المراهقة أو غير المراهقة بأن تسلم نفسها لعامل «السيشوار» داخل مكان مغلق .. وهو شاب فى مثل سنها أو أكثر أو أقل ليداعب خدها، ويعبث بشعرها ويهذب حواجبها بين كلمة ناعمة أوعبارة خادعة لا تلبث أن تتحول إلى نكتة خارجة أو دعابة فاجرة إن هذا الرجل الذى يفعل ذلك رجل فقد أهليته للأبوة والتوجيه والتربية حين رضى بأن يدفع بابنته إلى مكان مغلق تحرسه من الداخل مجموعة من الذئاب البشرية ..

ولماذا لا يتجرأ عامل الكوافير على مثل هذه التصرفات وقد جاء الأب بابنته إل هذا المكان ..

لماذا لا يتجرأ عامل الكوافير على مثل هذه التصرفات وقد صحب الزوج زوجته فى سيارته حتى عتبات الكوافير ثم يتركها دون أن يقترب من باب المحل حين يصطدم بلافتة تقول : « ممنوع دخول الرجال» نعم ممنوع دخول الرجال .. وكأن المحل من الداخل قد خلا من الرجال .. إن هذا الزوج الذى يصحب زوجته حتى باب الكوافير حتى يسلمها لقمة سائغة فى أفواه الرجال هو زوج لا يؤتمن على عرضه فإن من البديهيات أن هذا الزوج يعلم تماماً أن صاحب الكوافير وعامل السيشوار لن يكتفى من زوجته بأن يربت خدها أو يعبث بشعرها ولكنه سيتجاوز إلى ما هو أخطر من ذلك بعد أن فتحت له الأبواب على مصاريعها فى ظل رضا الأب أو الزوج مما تعظم معه المصيبة ويشتد به الخطب وتستباح به الحرمات وتنتهك به الأعراض !!! هـ

العروس لا يمسها الزوج المسكين قبل الكوافير:

من صفات فسقة بعض النسوة وأفعالهن الشيطانية المزرية أن تجد إحداهن إلى جانب

ما تفعله من تبرج وابتذال قد تذهب إلى الكوافير – وهو رجل يقوم بتزيين شعر المرأة ووجهها – فتراه يلمس شعرها ، ويتحسس وجهها ويديره بين يديه فبماذا يمكن أن نميزها عن أى امرأةبغى تتقلب فى أيدى الرجل وتبيع جسدها بالمال؟ بل إن هذه وياللأسف تدفع المال للرجل كى يتحسسها فوا إسلاماه .

وإن هناك بعض الفتيات ممن لم يلمسهن رجل من قبل تأتى إحداهن فى ليلةزفافها فيأبى عليها جهلها إلا أن تذهب لكوافير ليتحسسها قبل أن يلمسها الزوج التعيس الذى فقد مروءته ورجولته وغيرته فيذهب إليها ليتسلمها من عنده وهو يشعر بالسعادة والفخر بينما لو فكر فى الأمر برهة أو استشعرت نفسه شيئا من الشرف والرجولة والعفة والإباء لأبى أن يقترن بتلك التى سمحت لنفسها بتقليد النساء الرخيصات ولفضل أن يظل أعزب مدى حياته إن لم يجد امرأة شريفة صالحة لا تتصرف بمثل هذا التصرف المشين!

كما أن بعضهن يتجاوزن ذلك الأمر المخزى إلى ما هو أشد منه فيذهبن إلى أمكنة متخصصة لتخسيس النساء حيث يكشفن عن أجزاء حساسة من أجسادهن ليقوم رجال متخصصون بإزالة الشحوم الزائدة من تلك الأمكنة بالتدليك أو باستعمال وسائل أخرى آلية بالإضافة إلى إزالة الشعر من الجسم بواسطة الكهرباء !!

إن تلك المعاصى فاقت معصية التبرج نفسها وإن القلم ليعجز عن جمع ما تستحقه هؤلاء النسوة المذكورات من صفات !!

ولأترك لأى شريف من الشرفاء تصور ما ينبغى أن أعبر عنه من كلام بشأنهن ويكفى أن هذا اللمس يعتبر من قبيل الزنى فقد وقعت أيدى هؤلاء الرجال المذكورين على أول باب من أبواب الزنى بأجساد هؤلاء النسوة بمجرد لمسهن فقد روى الشيخان عن أبى هريرة قال :

« كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ،مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر،

والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » [(١)]

قال النووى [(٢)] : معنى الحديث : أن ابن آدم قدر عليه تصيب من الزنى فمنهم ما يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الحرام ، ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها أو بالمشي بالرجل إلى الزنى أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك، أو بالفكر بالقلب . أ هـ

وبذلك كله نرى أن هذه المعصية فاقت التبرج .

وبها تسقط المرأة فى براثن الشيطان الخفى لتصبح شيطانة ظاهرة للعيون تفوق فى فسادها وإفسادها ما يفعله الشيطان بأتباعه وكأن لسان حالها يردد قول القائل :

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى ... بى الدهر حتى صار إبليس من جندى

فلو مات قبلى كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

إن معصية الذهاب إلى الكوافير ليست معصية فردية بل هى معصية جماعية تشترك

---

(١) أخرجه مسلم (القدر) ب ٥ رقم ٢١ وأحمد ٣١٧/٢ ، والزبيدى فى « الإتحاف » ٣٢١/٥ والألبانى فى « إرواء الغليل » ٣٧/٨ والعراقى فى « المغنى عن حمل الأسفار » ٩٩/٣ والسيوطى فى «الدر المنثور» ٣٦/٣ ، وابن كثير ٤٥/٦ ، وأخرجه أحمد أيضاً بلفظ : « كل ابن آدم أصاب من الزنى لا محالة » ٣٤٩/٢ ، وابن خزيمة (٣٠).

وأخرجه أيضا بلفظ : « كل ابن آدم له حظه من الزنى » ٥٣٦/٢ وأخرجه أيضا بلفظ : « زنى العين النظر » ٢٧٦/٢ و٣٢٩ و٥٣٦، ومسلم (القدر) ب ٥ رقم ٢٠ والبيهقى فى « السنن » ١٨٦/١٠ و« المجمع » ٢٥٦/٦ والقضاعى فى « مسند الشهاب » (٦٧) ،والزبيدى فى « الإتحاف » ٣٢١/٥، والسيوطى فى «الدر المنثور» ٤١/٥ و١٢٧/٦ ، و« الفتح » ٢٦/١١ و٥٠٣، و « المطالب العالية » (١٥٢٩) والألبانى فى « إرواء الغليل » ٣٧/٨ ، والطبرانى فى « الكبير » ٩/١٨، وابن سعد ٥٤/٧ .

(٢) انظر: «مسلم بشرح النووى » ٢٠٦/١٦.

فيها المرأة مع أولى أمرها الذين يسمحون لها بذلك ولا يمنعونها ويشترك فيها أفراد المجتمع الذين لا يبالون بزجر مثل هذه المرأة وردها عن غيها .

وإذا كانت المتبرجة استحقت اللعن فماذا تستحق هذه ؟

واستحق ولى أمرها لقب الديوث وهو الذى لا يبالى بفساد أهله بالإضافة إلى أنه مسؤول ومحاسب أمام الله تعالى على سوء تربيته وعدم عنايته بصلاح وإصلاح زوجته أو ابنته أو ذوات محارمه .

ومشترك معهن فى الوزر لأن الرضا بالمعصية معصية فى حد ذاته فعن رسول الله ﷺ أنه قال :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. » (١)

فأين هذه الرعاية لأهلك أيها الرجل .. (٢)

نساء الكوافير هن نساء آخر الزمان :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال ينزلون عند أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات لو

(١) أخرجه البخارى ٦/٢و١٩٦/٣ و٦/٤و٣٤/٧ و٤١و٧٧/٩ وأحمد ٥/٢ و٥/٣ و٥٤ و١١١ و١٢١ وأبوداود (الخراج) ب١ ،والترمذى (١٧٠٥)، والبيهقى فى «السنن» ٢٨٧/٦و٢٩١/٧و١٦٠/٨، و«الترغيب» ٤٨/٣ ، والزبيدى فى « الإتحاف » ٣١٨/٥ و٣٢٧/٦ وأبو تعيم فى « تاريخ أصبهان » ٣١٨/٢ وابن الجارود فى « المنتقى » (١٠٩٤) وابن عساكر ٢٢٥/٥ ، والبغوى فى « شرح السنة » ٦١/١٠، وابن عدى ٢٦٤/١ و٢٦٥ و٣٠٧ و١٩٦٧/٥و «المجمع » ٢٠٧/٥ والبخارى فى « التاريخ الصغير » ٩١/٢ وأبو نعيم فى « الحلية » ٣١٨/٧، و« المنتخب من مسند عبد بن حميد » (٧٤٥)، والخطيب ٢٢٨/٤ و٢٧٦/٥ و٤٠٢/١١ وابن عبد البر فى « التمهيد » ٢٨٤/٢ وفى « التجريد » (٨٧٤)، و « الصحيحة » (١٦٣٦) وغيرهم .

(٢) انظر : « حكم الإسلام فى الكوافير وحلاق النساء » ص٨٢ .

كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمن نساء الأمم قبلكم»[1]

وأخرج الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال :

« سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات » [2]

وزاد في حديث آخر :

« لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » [3]

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« صنفان من أهل النار لم أرهما.. وذكر .. ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وإنما جعلن: « كاسيات » لأن الثياب عليهن، ومع هذا فهن « عاريات » لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر لرقتها وشفافيتها، فتصف ما تحتها كأكثر ملابس النساء في هذا العصر .

و«البخت»: نوع من الإبل، عظام الأسنمة، شبه رؤوسهن بها لما يرفعن من شعورهن على أوساط رؤوسهن وكأنه ﷺ كان ينظر من وراء الغيب إلى هذا الزمان الذي أصبح فيه لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها محلات خاصة (الكوافير) يشرف عليها غالباً رجال يتقاضون عن عملهم أبهظ الأجور وليس ذلك فحسب فكثير من النساء لا يكتفين بما وهبهن الله من شعر طبيعي، فيلجأن إلى شراء شعر صناعي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٢٣/٢ ، و« المجمع » ١٣٧/٥ ، وذكره الذهبي في « الكبائر » ص١٥٦ وقال : حديث صحيح رواه الحاكم وابن حبان وانظر : « الفتح الرباني » ٣٠١/١٣ ..

(٢) انظر « الإشاعة لأشراط الساعة» و« حكم الإسلام في الكوافير » ص٨٣ .

(٣) قال الألباني في «حجاب المرأة المسلمة » ص ٥٦ : أخرجه الطبراني في « الصغير » ص ٢٣٢ بسند صحيح ، وانظر : « الكنز » (٤٥١٠٥).

تصله المرأة بشعرها وليبدو أكثر نعومة ولمعاناً وجمالاً ولتكون هى أكثر جاذبية وإغراء ..

والعجب فى أمر هذا الحديث أنه ربط بين الاستبداد السياسى والانحلال الخلقى وهذا ما يصدقه الواقع فإن المستبدين يشغلون الشعوب عادة بما يقوى الشهوات ويلهى الناس بالمتاع الشخصى عن مراقبة القضايا العامة.[1]

النهى عن تقليد الأجانب:

قال عليه الصلاة والسلام « من تشبه بقوم فهو منهم »[2]

إن التشبه بالأجنبى يفقد الشخصية ويذهب بكيان الأمة ، وهو دليل على ضعفها فإن الضعيف هو الذى يقلد القوى ، وتقليد الكفار بالأزياء والعادات والسلوك الحياتى يؤدى إلى تقليدهم فى الأفكار والمعتقدات.

قال عليه الصلاة والسلام :

«لتتبعن سنن من قبلكم، شبرا بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته فى الطريق لفعلتموه».[3]

فأين أكثر المسلمين والمسلمات اليوم من هذا التوجيه العظيم إنهم وياللأسف يتشبهون بالأجانب فى كثير من عاداتهم وملابسهم وزينتهم.

وعلاوة على ما تقدم فإن التقليد الأعمى ضياع للثروة القومية ودفع لكثير من النساء فى طريق الفسق لتأمين هذه الموضات الشريرة فانتبهوا يأهل العقول ...

علمنا مما سبق أن الكوافير قد يدخله التحريم وهو الغالب فيه لأن فيه ما يغضب الله عز وجل ويحيد عن أوامر ونواهى الشريعة الإسلامية التى أبرزت كثيرا من الضوابط

(١) «الحلال والحرام» ص ٨٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٥٠/٢ و٩٢ ، وأبو داود (٤٠٣١) وابن أبى شيبة ٣١٣/٥ و٣٢٢ وابن كثير ٥٣/٨ ، و«المجمع » ٢٧١/١٠ ، و« تاريخ أصبهان » ١٢٩/١ .

(٣) أخرجه البخارى ٢٠٦/٤ و١٢٦/٩ ومسلم (العلم) ب ٣ رقم ٦ ، وأحمد ٣٢٧/٢ و٤٥٠ و٥١١ و٨٤/٣ و٨٩ ، والحاكم ٣٧/١ ، وابن عساكر ٣٨٩/٤ ، والطبرانى فى « الكبير » ٢٢٩/٦ ، والآجرى فى «الشريعة » (١٩) و (٢٠) ، والطبرى ١٢٢/١٠ ، وابن كثير ١١٤/٤ ، وابن ماجة (٣٩٩٤٠) وابن وضاح فى «البدع » (٥٨و٥٩و٧١ و٧٩و٨٥) وغيرهم .

المهمة المبينة للفساد وسد الذرائع ..

لذا فإن المهنة هى فى أصلها لا تجوز لهذا العمل ، وخاصة أن صاحب الكوافير معرض لفعل المحرمات فى سبيل الأجر الذى يحصل عليه وكل ذلك إذا كان صاحب الكوافير امرأة أما إذا كان صاحبه والقائم عليه رجلاً فالمصيبة أعظم وأجل من أن نذكر فيه تحريماً من أجل حرمات الكوافير لأن فى هذا مدخلا إلى الاختلاط والخلوة والجنس وغير ذلك من طرق الفساد المعروفة فى هذه المجالات من العمل .

وقد سبق أن أفتى علماء الإفتاء للبحوث العلمية والإرشادوعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز بحرمة مهنة حلق اللحى لما فيها من التعاون على الإثم لقول الله تعالى:

﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة:٢]

فلا شك أن الحرمة فى مهنة الكوافير أشد لتعاضد عامل الكوافير على مجموعة من المحرمات بدل واحدة كالنمص ، والوصل ، وتحمير الخدود والشفاه للكاسيات العاريات وغير ذلك، فكل ما ذكرت دليل قوى بل قاطع على حرمة فتح هذ المحلات لأنها لا تعمل لغير هذه المحرمات ولا تكسب من غيرها والله المستعان ..

وإليك نموذجا مما يحصل داخل أحد صالونات التجميل :

أصدرت جريدة « الرأى » فى عددها (٨١٣٦) الأربعاء ٢٣جمادى الأولى ١٤١٣هـ السنة الثانيةوالعشرون عمان ـ الأردن تحت عنوان :

« الشرطة تحتجز نحو ٢٠٠ فتاة فى غارات على صالونات التجميل »

داكا ـ رويترـ احتجزت شرطة بنجلادش نحو ٢٠٠ فتاة وعملائهن من الرجال فى حملة على صالونات التجميل فى داكا التى قالت إنها كانت تستخدم كمواخير وقالت الشرطة إنها قامت بالغارات الاثنين بعد تقارير تفيد بأن العديد من صالونات التجميل فى المدينة والتى يصل عددها إلى ٢٠٠ محل تعرض أيضاً المتعة الجنسية على الزبائن وقال شرطى: احتجزت الشرطة نحو ٢٠٠ فتاة وعملائهن فى يوم واحد وهذا يعطى فكرة عن عدد الأشخاص الذين يرتادون هذه الأمكنة كل يوم ..

طغيان النساء

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

« كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم؟! قالوا وإن ذلك لكائن يارسول الله ؟؟ قال نعم والذى نفسى بيده وأشد من ذلك سيكون!! قالوا وما أشد منه يارسول الله ؟ قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟! قالوا وكائن ذلك يارسول الله ؟! قال نعم والذى نفسى بيده وأشد من ذلك سيكون!! قالوا وما أشد منه يارسول الله؟ قال كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا وكائن ذلك يارسول الله؟ قال نعم والذى نفسى بيده وأشد من ذلك سيكون يقول الله تعالى: لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران ». [١]

هذه ومضة من ومضات الغيب يرسلها رسول الله ﷺ وهو حزين لما سيحصل للناس من بعده من قلب الأوضاع بينهم وشيوع الرذيلة فيهم ، وظهور الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيديهم وها نحن أولاء فى الزمن الذى يشير إليه الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه فى حديثه الشريف وقد غمرتنا موجة من الألم إزاء هذه المنكرات الساحقة التى انتشرت انتشار الوباء واشتعلت فى بيئتنا اشتعال النار وكادت تقضى على آدابنا وتقاليدنا وتذهب بريحنا ومعنويتنا .

وأعظم تلك المنكرات خطراً وأشدها أثراً هو حرية المرأة وتبرجها واختلاطها بالرجل فى ميادين الحياة العامة هذا الداء الدوى الذى غزا كل بيت وتفشى فى كل أسرة فلم تبرأ منه الطفلة اللاعبة ولا الفتاة الفاتنة ولا المرأة النصف ولا العجوز الشمطاء وكأنه مما أوحت به الشرائع السماوية أو فرضته القوانين العرفية أو أكده العرف العام حتى تعتبر المرأة المحجبة والفتاة المحتشمة متأخرة عن ركب الحياة الناهض وقافلتهاالتى تسير لا يكاد

---

١ - أخرجه الزبيدى فى « الإتحاف » ٩/٧ وابن أبى حاتم فى « علل الحديث » (٢٧٥٩).

الإنسان ينقل قدمه خارج بيته أو يركب السيارة أو يقصد محل تجارة حتى يقع نظره على أسراب من النساء اللاتى أسفرن عن وجوههن وكشفن عن سوءاتهن وأظهرن مفاتنهن دون خجل أو حياء وأفرغن على أجسامهن كل ضروب التحلية والإغراء وأقمن من أنفسهن معرضا متنقلا يشهده الغادى والرائح ويغرى بالنظر إليه الصالح والطالح.

سبحانك ربى إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

إن النساء فتنة ولم يترك لنا رسول الله ﷺ فتنة أضر علينا من النساء وإن فتنة بنى إسرائيل كانت النساء وإن هذا السفور الفاضح وذلك التهتك المشين يغرى الرجال والشباب بالفساد وهتك حرمات الفضائل وضياع الأنساب وخراب البيوت والإعراض عن الزواج وانصراف الشباب عن تكميل أنفسهم بالعلم والخلق والآداب ..الأمر الذى يدمر المجتمع ويشيع فيه روح التحلل والمجون ولقد زعم بعض من لاخلاق لهم أن الناس إذا ألفوا سفور المرأة ضاع تأثيره فيهم وأصبح من الأمور العادية التى لا تبعث على شر ولا تغرى بفساد.. ولقدخاب ظنهم وكذب زعمهم فإن اختلاط المرأة بالرجل ليس من الأمور التى يضيع أثرها إذا أصبح إلفا وعادة إنه ليس كقصف المدافع وفرقعة القنابل التى ألفها الجنود فى الميدان.

وما من يوم يمر إلاويسجل فيه من المآسى الأخلاقية وجرائم العرض والشرف ما يندى له الجبين خجلاً وتنكس له الرؤوس عارا أليس فى ذلك عبرة لقوم يؤمنون .

ألا إن الأخلاق هى روح الأمة وعمادها وعنوان مجدها وفخارها ومقياس درجتها بين الأمم والشعوب ومحال أن تستقيم الأمة فى أخلاقها مادام يوجد نساء متبرجات متهتكات مائلات يخلعن قلوب الرجال .

فليتجه العهد الجديد إلى تدعيم أخلاق الأمة بصون نسائها عن التبذل والمجون وفرض زى خاص لهن يميل إلى الحشمة والعفة والشرف درءاً للفتنة وقطعاً لدابر الفساد.

كلكم راع ومسؤول عن رعيته فأنتم المسؤلوون أولاً وأخيراً عن هذا التدهور الخلقى

الذى لعبت فيه المرأة بتبذلها دورها الخطير فعودوا بها إلى البيت وحصنوها بالفضيلة والآداب وصونوها بالعفة والحجاب فإن المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرى فيها الشيطان وأقرب ما تكون المرأة من رحمة ربها وهى فى قعر بيتها .

روى أبو داود والترمذى عن رسول الله ﷺ قال:

«كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا يعنى زانية» (١)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٩٤/٤ و٤٠٧ و٤١٨ والترمذى (٢٧٨٦) وابن حبان فى «موارد الظمآن» (١٤٧٤) والبغوى فى «شرح السنة» ٨١/١٢، وابن كثير ٥٢/٦، و«المجمع» ٢٥٦/٦ وغيرهم .

طموح المرأة فى الاستعلاء والحكم

قال رسول الله ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال: فمن» [1] صدق رسول الله

والليـالى مـن الزمـان حـبالى مـثقلات يـلدن كـل عجيبة

من الظواهر الغريبة فى حياة الأمم أن نرى جميع الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها مغرمة بتقليد غيرها من الأمم القوية العظيمة الشوكة فى كثير من شؤونها حتى أخص عاداتها وتقاليدها لأنها تتخيل فيها دائماً المثل الأعلى الذى يجب أن تحاكيه فى نظام حياتها وقد يكون بين الأمم المقلَّدة والأمم المقلدة فروق جوهرية فى الأمزجة العامة والاستعدادات تجعل هذا التقليد خطراً على كيان الأمم الضعيفةولكن سحر القوة والعظمة يبهر دائما المستضعفين ويخيل إليهم أن عادات الشعوب القوية وتقاليدها مصدر قوة الشعوب المتغلبة وبين عاداتها المستفيضة فيها ولكن اغترار الضعفاء بها ينسيهم هذه الحقيقة وكثيرا ما كان تقليد أمة ضعيفة لأخرى قوية سبباً فى فناء الضعيفة وتلاشى شخصيتها واندماجها فى الأمة القوية التى تمتصها رويداً رويداً .

وقد بدأت هذه الظاهرة فى حياة الشعب المصرى فى هذه السنوات الأخيرة إذ اندفع فى تقليد الأمم الغربية اندفاعا مفرطا أفقده كثيرا من مقومات شخصيته وأورثه انحلالاً اجتماعياً منذرا بأسوأ العواقب إذا لم يتألب الشعب كله أفراداً وجماعات على وقف تيار هذا التقليد فى دائرة الاعتدال .

وليته إذ أغرم بتقليد أمم الغرب القوية قلدها فيما يجب التقليد فيه من إحياء النهضة العلمية والصناعية والفنية حياة طليقة من القيود التى جعلتها فى بلادنا صوراً وأشباحا لا تحفز إلى مجد ولا تورثنا عظمة حقيقية ولكنه مع الأسف أولع بتقليدها فى عاداتها

---

(١) أخرجه البخارى ٢٠٦/٤ و١٢٦/٩ ، ومسلم (العلم) ب٣رقم ٦ ، وأحمد ٣٢٧/٢ و٨٤/٣ و٨٩ والحاكم ٣٧/١ وغيرهم .

وتقاليدها متجاهلاً فرق ما بيننا وبينها فى المذاهب العمرانية والأمزجة والاستعدادات المتوارثة التى صارت بتعاقب الأجيال جزءاً من نسيجنا العقلى فعاد علينا هذا التقليد الأعمى بأزمات فادحة نعانى كل يوم آثارها السيئة ولا نستطيع لها كفاحاً وهددنا بالوقوع فى الأخطار التى أنت منها كثير من دول أوروبا حتى نادت بألسنة أشهر فلاسفتها بالويل والثبور.

وإنى لا يسعنى وقد تملكنى العجب وساورتنى الدهشة من هذا الاقتراح الذى لا أظن أن مقترحته جادة فيه لأنها تعرف حق المعرفة طبيعة المرأة المصرية والحياة المصرية لا يسعنى إلا أن أرد عليه رداً لطيفا لا يخدش إحساسها الرقيق وأبين ما فيه من مكامن الخطر على كيان الأمة .

وبعد فإنى أصارحك القول بأنك متطرفة فى اقتراحك الغريب وأن هذا التطرف يجب أن يقابل بمثله وأن يهتم الرجال المسؤولون عن مصالح الدولة باتخاذ الوسائل الفعالة لإرجاع النساء إلى حظائر البيوت لحفظ التوازن الاجتماعى فى البلاد من عوامل الخلل ولعل كلمتى هذه تصادف منك الاقتناع فتعدلين عن تلك الاقتراحات المتطرفة وتفكرين فيما هو أجدى على بنات جنسك من وجوه الإصلاح ولنا صولة أخرى فى هذا الميدان .

هل المرأة تساوى الرجل؟

على الرغم من هذا كله لن تكون للمرأة مساواة مع الرجل فالمرأة مرأة والرجل سيدها الذى وكلت إليه قوانين الطبيعة وناموس الحياة مهمة قيادتها ورعايتها .

فلنحكم إذن التجارب العلمية ولنضع المرأة فى الميزان ونحلل العناصر التى تتكون منها طبيعتها ولنقارنها بمثيلتها فى الرجل لنرى هل تصح المساواة ؟

أثبت علم التشريح أن الجهاز العضلى فى الرجل أقوى من المرأة بدرجة محسوسة تشاهد عند القبائل الهمجية حيث تشارك المرأة رجلها فى الصيد والمطاردة والقتال .. إلخ وفى حياة الترف والمدنية التى يحياها كل من الرجل والمرأة. هذا والمرأة أقصر قامة بقدر ١٢ سم وأخف وزناً بما يعادل ٥ كيلو جرامات كما أن حركاتها أقل سرعة وضبطاً منها فى الرجل.

ولما كان القلب هو مركز القوى الحيوية للجسم وتقاس قوة الرجل بسلامة قلبه وقوته وأن ميزان القلب القوى كبر الحجم وثقل الوزن وجدنا أن القلب لأى امرأة أخف ثقلا بمقدار ٦٠ جراما بل وأقل حجماً .

أما من جهة الحواس فقد أثبت البروفسير زيكو لس وبيلية أنها لا تستطيع أن تدرك رائحة الليمون إلا إذا كانت ضعف الكمية التى يدركها الرجل أما اللمس فالرجل أدق منها وقد برهن العالمان لومبروزو ، سيرجى أن المرأة تتحمل الآلام أكثر من الرجل مما يدل على ضعف حواسها ويقول لومبروزو « هذا من حسن حظ النساء فإن المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل والوضع والرضاع والخجل .. إلخ ولو كانت فى إحساسات الرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله ».

ولضعف جثمان المرأة وضعف مجموعها العصبى نرى أنها أكثر تهيباً من الرجل وقد ثبت بالتجربة أن مخ الرجل أثقل منه فى المرأة بمقدرار ١٠٠ جم فى المتوسط ، هذا ومراكز الإحساس لديه أحسن تركيبا منها فى المرأة ويقول «روفاريتى» إن ذلك يبين انفعال المرأة وسرعة تهيجها عند معالجة مشاكلها المثيرة .

زد على ذلك أن وزن مخ الرجل بالنسبة إلى جسمه يعادل ١ـ٤٠ بينما فى المرأة ١ـ٤٤ كما أن ثناياه وتلافيفه تدل على كثرة الخبرة واتساع محيطها وكذلك وجد فارق محسوس فى جوهر المخ السنجابى الذى هو موضع الإدراك فيه. معنى ذلك أن إدراك الرجل أرقى منه فى المرأة ولو أن هذه النقطة بالذات ما زالت موضع اختلاف الكثيرين من علماء النفس المشتغلين بموضوع الذكاء إذ تصرح الأغلبية الساحقة منهم بأنه لا يوجد أى فرق بين ذكاء الرجل والمرأة وأن اختلافهما يتمركز فى طباعهما لا غير فالرجل يميل إلى أن يكون نشاطه خارج المنزل وفى المجتمع الذى يعيش فيه وعلى نقيضه المرأة.

ولكن إذا قيست قوى المرأة البدنية والروحية والخلقية والاجتماعية تمخضت عن أن قوة المرأة تعادل٢ على ٣ من قوة الرجل.

ويفترض العلماء أن كل مجتمع يكون من هذه العناصر الثلاثة «العمل، العلم، العدالة» وهذه القوة تعادل كل منها على حدة ما يعادل ٢على ٣ من قوة الرجل .

فالمعادلة الجبرية البسيطة تحصيل على أن قوة الرجل ٣ فى٣ فى٣ «عمل . علم .عدالة » يساوى ٢٧ والمرأة .. ٢ فى ٢ فى ٢ يساوى ٨.

وعليه فتحصيل المرأة الاجتماعى يعادل ثلث تحصيل الرجل تقريبا.

فهل بعد هذه التجارب والبيانات ننتظر من المرأة أن تثور على قوانين الطبيعة وتخالف ناموسها وتنادى بالمساواة .

المطالبة بإصلاح حال المرأة ومساواتها بالرجل

كان بديهياً أن ترتفع فى الأجواء الناهضة الفكرية الحاضرة أصوات تطالب بإصلاح اجتماعى وفى مقدمته إصلاح حال المرأة فإنها كما هو معلوم مدرسة الجيل القادم ومثابة الحاضر وحجر الزاوية فى هيكل النظام المنزلى وهذا حسن وجميل لو عرف كل من الرجل والمرأة حقه إزاء الآخر، ووقف عند ما حدده الشرع والنظام إذن لرفرف علم السلام على المنزل وعمت الطمأنينة الناس وارتاحوا من التقاضى والمغاضبة ولما انثل نظام السكينة وتداعت أركان الأسرة ولكن أبى الفضول إلا أن يزج فى هذا الميدان بكتاب ماجنين وكاتبات عابثات تطوحوا فيما لا يفهمون أو هو حافز الغرور والظهور ألجأهم إلى اللعب بالنار فأصابوا بها قوماً آمنين ومثلهم كاللص الذى يدخل إلى البيوت فيزعج الآمن والموت يطبق على الناس فيستل الأرواح ويفرق بين المرء وزوجه والأب وابنه وقبل أن نتكلم عن تلك القذائف التى يلقيها بلا وعى ولا ضمير أولئك الكتاب المتظاهرون بالغيرة على المرأة وهؤلاء الكاتبات المتمرنات اللاتى يرمين إلى غاية غير مفهومة .. نرى من اللازم أن نبين شيئاً من موقف أحدهما أمام الآخر .

فالرجل هو رب الأسرة وعمادها يكد ويكدح فى إسعادها ويسبح فى بحر الحياة ويتعرض لأخطارها فينقذ زوجه وأبناءه من صروفها فإذا رأيته يطلب وظيفة أو درجة أو يتجر ويجتهد أو يذوب عرقاً فى مصنع أو يسول له الشيطان أن يتناول رشوة أو يعتدى على حق سواه فما ذلك إلا لجلب أكثر ما يمكن من النفع لهذه الأسرة وليضمن لها عيشا رغداً وجداً صعداً .

والمرأة طب الأسرة ونورها ومربية الأبناء وكفيلتهم وبدونها يمسى البيت كسفين بلا ربان ودار بلا سكان وما القبر فى وحشته والغريب فى وحدته والجسم بلا جوارح والقلب بلا جوانح بأسوأ حالا من رجل صدف عن الزوجية وآثر الفردية يعيش غريباً ويموت كئيبا ولكن نوازع النفس الإنسانية تأبى الا أن تطغى على حقوق غيرها ولا تقف عند حدها فكما أن هناك رجالا لا يزالون يرون فى المرأة متاعا يباع وبضاعة مزجاة

وينزلونها منزلة الخادم لا يلتفت إليه إلا عند حاجة ملحة وينظر إليه نظر المريض إلى وجوه العود ويغفل هذا الظالم عن أن الزوجة والأنس بها ورعاية حقوقها من آيات الله التى نسكن إليها وغرس المودة والرحمة بينهما ليتعاونا فى محيط الحياة ويضمنا طريق النجاة كذلك هناك بعض النساء خاصة الناشئات وأرباع المتعلمات يرين أن فى الخضوع لقوامة الرجل وإشرافه هضماً لحقوقهن .

إن المرأة فى أيامنا هذه قد بزت الرجل فى الادعاء ونكران ما قضت به الطبيعة ووسائل العيش بسبب تغرير بعض ذوى الأغراض من الكتاب وقد دفع النزق بعضهن أن خرجن من التحشم الشرقى المحبوب وهربن من ثوب الفضيلة السابغ ورحن يكتبن أو يستكتبن عبارات هى نفثة من وحي الشيطان وتحلل من عروة الإيمان ياويح هؤلاء الكاتبات الثائرات فقد جنين على بنات جنسهن وأفقدن العطف عليهن ممن كانوا يعطفون.

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير فاعله العقاب

أول فارق بين الرجل والمرأة هو أن المرأة تحمل وتلد وترضع وتعانى فى خلال هذا من المتاعب ما هو مقدر لها وهى فى هذه المدة لا يمكنها أن تدعى مساواتها للرجل، والثانى أن الطبيعة جعلت حجم المرأة أقل من حجم الرجل بل إن حجم الأنثى فى كل شئ أقل من حجم الذكر ورأسها أصغر وصدرها أضيق وأعضاؤها ألطف خلقاًمن أعضاء الرجل وبشرة المرأة تخالف بشرة الرجل تمام المخالفة فهى ملساء ناعمة لاخشونة فيها بخلاف الرجل ولكن رأس المرأة مع ذلك غزير الشعر لأن الشعر يكسبها زيادة فى الجمال أما عضلات المرأة فأضعف من عضلات الرجل وأكثر ماتتأثر به المرأة الحب والغيرة والحسد فهى تبلغ فيها أعلى درجة ويظهر ذلك جلياً فى محبة أبنائها وفى مخاصمة أعدائها.

وبسبب اختلاف المهمة التى خلقت لها المرأة عن المهمة التى خلق لها الرجل واختلاف تركيب جسميهما تبعاً لذلك أصبحت المرأة تصاب بأمراض خاصة لا يصاب بها الرجل هذا خلاف التشريح وهو يستتبع خلافا فى التشريع فالمشرع يضع تشريعاً

للمرأة يغاير تشريعه للرجل فى أحوال كثيرة وذلك تطبيق للفروق الطبيعية والنفسية التى بينهما إلى غير هذا.

فهل بعد هذا يحق لمن لديه مسكة من العقل أن تطوعه نفس طيبة إلى اللجاج والمكابرةفى طلب المساواة ويقلب نظام ما سنه الله وقضت به الطبيعة وتطلبه الصالح العام.

لا تجد كالإسلام دينا سماويا أعطى للمرأة حرية أوسع وكفل لها من الحقوق ما تظفر به النساء فى أم أوروبا لغاية الآن ومن الكلام المعاد أن تقول إنه أعطى لها حرية التصرف فى أموالها والاستقلال بإدارة شؤونها وجوز لها أن تكون العصمة فى يدها تطلق زوجها متى شاءت ولم يحرمها شيئامن الحقوق من مدنية واجتماعية وغير ذلك .

تلك الفتاة كان الحياء يملكها والأدب يجللها والحجاب معنى لصعوبتها وإعزازها ولما قضى الأمر ارتقت مرقى صعباً وذهبت تنعب قائلة: لنفتش عن الرجال كما يفتشون فإن عدمناهم أزواجا فلن نعدمهم أصدقاء!!

لك الهبل أيتها الآنسة ! فلن يظفر مثلك بزوج يأوى إليه وتستقيم المعيشة لديه وقد تظفرين بصديق بمعنى آخر يعتصر كرامتك ويذوى زهرتك ثم يلقى بك فى مهب الريح ومواطئ الأقدام وبدلا من أن تعتلى عرش مملكتك وهو بيت الزوجية تعتلين عرشا قوامه الأوحال ورعاياه سخرية الرجال وعواقبه عذاب ونكال .. غرر بك ألد أعدائك هؤلاء المفتونون ببضاعة أوروبا ولو كانت الإلحاد والزندقة والرقص والخلاعة والمجون وأفهموك أن لك حقاً مسلوباً وشأناً مغلوباً وفى الحق تركوك نهبا مقسوما وعرضا مثلوماً ثم هربوا منك كالشيطان إذ قال للإنسان اكفر.. وما كان الحجاب الذى سنه الشرع وقضى به العقل إلا لصيانتك وحمايتك من مثل هؤلاء اللصوص الذين يزينون لك القول غرورا وهم شر الخلق فجورا لقد صدق من قال: « كان الحجاب معنى لصعوبة المرأة واعتزازها فصار الشارع معنى لسهولتها ورخصها وكان مع تحقق الصعوبة أو توهمها أخلاقا وطباعا فى الرجل، فصار مع توهم السهولة أو تحققها أخلاقا وطباعا أخرى على الضد من تلك تنمى وتتحول حتى ألجأن القانون أن يترقى بمن لمس المرأة فى الطريق من الجنحة إلى الجناية، وتخنث الشبان والرجال ضروباً من التخنث بهذا الاختلاط

والابتذال وتحللت فيهم طباع الغيرة فكان هذا سريعاً فى تغيير نظرتهم إلى النساء وسريعا فى إفساد اعتقادهم وفى نقص إشرافهم فأقبلوا بالجسم على المرأة وأعرضوا عنها بالقلب وأخذوها بمعنى الأنوثة وتركوها بمعنى الأمومة ومن هذا قل طلاب الزواج فكثر رواد الخنا».

لم يكن من خلقنا أن ننوه بذكر أسماء ولكنا وجدنا حديث اليوم يتطلب ذلك لضرب الأمثال وإثارة التنافس فى الخير والشكر على القيام بالواجب بعد أن ندر أنصاره وخفت أوكاره.

وقد رأيت قبيحاً أن يجادلنا — وأننا بقضاء الشكر بخال

لا أحب أن ألفت نظر ولى الأمر ولا أستحث رجال الدين والأخلاق ولا أهيب بأنصار الفضيلة ولا أحذر بعض هؤلاء الآباء ولا أنعى قانون المدارس وخلوها من تعليم الدين تعليماً منتجاً ولا أستعدى المجتمع للضرب على أيدى الخبيثات والخبيثين فذلك أمر طالما تكرر وتكرر حتى ضاعت قيمته وانعدمت سطوته فاللهم حوالينا ولا علينا !

أمرتهمو أمرى بمنعرج اللوى — فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

هذا زعيم هو موسولينى زارته فى روما صحفية إنجليزية وسألته رأيه فى النهضة النسائية وفى مطالبة النساء بحقوقهن فقال لها: أنت امرأة وقد أتيت تسألينني عن شؤون المرأة فهل تريدين أن أكون صريحا معك؟ أم أنك تفضلين الرياء الذى لا أطيقه فأجابته: بل أفضل الصراحة فقال: المرأة نصف الرجل ولها حقوقها وعليها واجباتها ولكن نساء هذا القرن تجاوزن كل الحدود المرسومة وذهبن فى العبث مذهبا بعيدا فقالت له الصحفية: أتعنى بذلك أنك لا توافقنى على خروج النساء إلى ميادين العمل ؟ فقال لها الزعيم : أنا غير مؤمن بقدرة المرأة على القيام بأعمال الرجل إلا إذا كانت عبقريتها فذة والعبقرية كما تعرفين نادرة. لقد خلقت المرأة لتكون زوجة وأما ولم تخلق لشيء آخر. إن وظائف الزوجة والأم كثيرة مرهقة تشغلها ليلا نهارا ومن العبث الصارخ أن تهمل المرأة شأن بيتها وأسرتها وتخرج إلى ميدان العمل، وعلى المرأة التى لا عاهل لها أن تبحث عن زوج (ولكل ساقطة لاقطة) فقالت له: أتعتقد أن المرأة توحى إلى الرجل؟ فأجابها: أنا لا

أعتقد بوحي المرأة لغيرى !! وأعمالى لا تسمح بغير الجلوس إلى مكتبى ١٤ ساعة والوقوف على منبر الخطابة ساعتين كل يوم..

فعسى أن يحتج هؤلاء السيدات المؤتمرات على هذا الرجل العظيم كما احتججن على الدين والتقليد .

وكيف نسائل هؤلاء المؤتمرات عما عملن لإصلاح المرأة خلقياً وتدبيراً أو نطلب أن يدللننا على محاضرات فى الفضيلة ألقينها أو نصيحة نافعة أبدينها وهن اللاتى أخرجن الفتاة من بيتها متمردة وفتحن أذنيها لتلك الطرق المهددة، وخيلن إليها أنها مظلومة وما شكت من قبل ظلماً ومحرومة ولم تلاق كشحاً ولا هضماً ، ونصبن أنفسهن حكاما لصالحها وهن أبعد عن الإنصاف عن إصلاح شأن بيتها أو رفع علم السلام فى أسرتها وربما بددت مالا موروثا وما زال أمرها منقوصاً !!

المترجلات من النساء

عن أنس رضى الله عنه قال:

« لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال أخرجوهم من بيوتكم وأخرج النبى ﷺ فلاناً وأخرج عمر فلاناً » [(١)] رواه أحمد والبخارى.

قضى الله ولاراد لقضائه أن أذهب فى بعض شأنى إلى محطة قليوب يوم الاثنين المنصرم أو كما يسمونه « شم النسيم » فشاهدت ازدحاماً على قاطرات القناطر الخيرية لم يسبق له مثيل وراعنى أن السبل الموصلة إلى هذا المكان مشحونة بأكداس من خلق الله ما بين الراجلين وراكبى السيارات والعربات وما إليها كأنما يساقون إلى الحشر كأنهم جراد منتشر، نعم ساقهم إبليس اللعين إلى مباءة السوء ليؤهلهم ليوم يسوق الله فيه المجرمين إلى جهنم ورداً ، وكأن مصر بأكملها انقلبت فى شخص هؤلاء الآدميين إلى معرض أزياء عالمى انعكست فيه القضية وانقلبت الأوضاع فكنت ترى شابا أحمر الخدين مزجج الحاجبين قد ضرب نطاق وجهه بسور من دهان المرأة وأرسل خصل شعره فى انسجام تكتنفه رائحة زكية وأم الخبائث فى قلا لها ذات الخوص المنسوج تداعب الثياب الفضفافة والأجسام الرجراجة وبعض الفتيات قد لبسن لبسة الأفندى الرجل الذى لا ينقصه سوى الطربوش فوق رأسه ليكون رجلا وغير هؤلاء وأولئك مفاليك شتى من جميع الطبقات فى مختلف الأزياء يتزاحمون ويتسابقون كأنما إلى المسجد يتلاحقون فقلت فى نفسى ألا لعنة الله على هذه البدعة المذمومة التى تجر وراءها انتهاك الأعراض وإباحية الفوضى فى أبشع صورها، أترى هؤلاء يشم بعضهم بعضا كما تشتم الحمير بعضها بعضا ثم يهجمون فى سوق الفحش تحت تأثير الخمر

---

(١) أخرجه البخارى ٢١٢/٨، وأبو داود (٤٩٣٠) والترمذى (٢٧٨٤) وأحمد ٢٢٥/١ و٢٣٧ و٢٥٤ و٦٥/٢و٩٢، والطبرانى فى « الكبير» ٢٨٣/١١ و٣١٤ و٣٥٢ و٤٠٥ و١٢ /٤٠٠ والخطيب ٣٢٧/٤ وغيرهم .

وقد اختلط الحابل بالنابل واندلع لهيب الشهوة فيمثلون مذبحة ولكن من الأعراض وفى صميم الخلق أم يشمون النسيم كما يزعمون؟ وأخذت أرسلها من الأعماق زفرات حارة وتنهدات صاعدة على هذه الإنسانية المتوحشة باسم الحرية الموبوءة باسم المدنية وضقت بنفسى ذرعاً كما ضقت بحاجتى الملحة التى قضت علىّ بالسفر إلى هذه الجهة فى هذا اليوم الذى أكرهه لما يحمل من إثم وفجور وقد تعودت للعداوة المتأصلة بينى وبينه أن أحبس نفسى فى منزلى فلا أخرج منه مهما كانت الظروف ولا أجشم روحى كآبة مناظره الخبيثة ولكن قضى الله ولا راد لقضائه أن يبتلينى هذا البلاء المبين وقد لطف بى فخفف عنى صديقى الذى ذهبت لعيادته وما كدت أتنفس الصعداء حتى كان موعد أوبتى إلى القاهرة قد حان فتراءت لنا فلول من الكتائب الراجعة عكرت صفونا من جديد فودعت صديقى وركبت القطار بشق الأنفس .

وفى النفس حاجات أرى أن ذكرها ... قبيح ولكن للضرورة أحكام

لم أجد موضعا لقدمى وسط هذه اللحوم البشرية المكدسة وألجمنى العرق وغشى على عينى وذهنى بخار الأنفاس النجسة من الرجس والبغى وعاودنى مرض قديم قد لا يتحرك إلافى مثل هذه المآزق فقلت ليت أمى لم تلدنى ياليتها كانت القاضية وذكرت قول الشاعر :

ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفلى

يقول الإباحيون إنها القومية وهذه أيضا كلمة جوفاء يرسلها الناس إرسالا بدون مناسبة ولا يكادون يفقهون لها معنى لأن القومية فى معناها الذى نفهمه لا تعتمد إلا التضامن فى كل ما هو فاضل وحسن بالشرع والعقل يعود على أهل الوطن الواحد بالخير والنفع العام وليس من القومية أن تتضامن على شر مستطير يضيع تحته الخلق والمال والعرض والكرامة والعقل، فإلى متى هذا العمى؟

قال تعالى :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست

قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [الحديد : ١٦]

كل هذا، حدا بنا أن نضع هذا الحديث بين يدى المعتبرين من أمة الإسلام والمسلمين لنذكر لعل الذكرى تنفع المؤمنين .

فهل آن الأوان لأن نفيق ونقيم على أنقاض هذه الحال حياة من الجد والمجد والنظام فى حدود الدين والفضيلة ذلك مانرجوه وما هو على الله بعزيز .

صفات نساء أهل النار

عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ:

« أُريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن » قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيراً قط » (١)

هذا الحديث يجلو لنا كثيراً من الغموض الذى فطرت عليه المرأة حتى عدها علماء النفس والاجتماع «لغزا» لا يمكن حله ويكاد هذا السر العجيب الذى ركز فى طبيعة المرأة ينحصر فى نكرانها للجميل وعدم اعترافها منها بإحسان العشير بمجرد أن ترى منه أية إساءة. ولا شك أن المرأة خلقت من «ضلع» والضلع أعوج لا سبيل إلى تقويمه فإن حاولت تقويمه كسرته وإنها ناقصة العقل والدين كل هذا حال دون المرأة والكمال وجعله نسبيا فيها بالنسبة إلى الرجال ولذا جعلت القوامة للرجال على النساء لقوله تعالى:

﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

[النساء: ٣٤]

وحددت الشريعة الإسلامية لكل حدوده وأوصت الرجال بهن خيرا قال تعالى :

﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾

[البقرة: ٢٢٨]

ولقد استمرت المرأة فى جميع عصور التاريخ مهيضة الجناح مهضومة الحق معدودة من سقط المتاع حتى أنقذها الإسلام بدستوره الحكيم من هذا الظلم الصارخ ولا تخدعك تلك النعرة التى تثيرها الشعوب اللادينية إذ ينادون بمساواة المرأة بالرجل فإنها نعرة قامت على مذبح الشهوات والإباحية على أنهم هضموها كثيراً من الحقوق التى منحها لها الإسلام .

---

(١) أخرجه البخارى ١٤/١ ولم أره لغيره .

ومع ما منحته الشريعة الإسلامية للمرأة من حقوق ومزايا لا سبيل إلى إنهاض الإنسانية إلا بالعمل بها فقد بينت بجانب ذلك جهات الغموض فى المرأة من أنها كثيرة الكيد والخديعة وتحب الدس والحيلة وأنها تجحد نعمة الزوج عليها وتكفر بها وتنساها مع كثرتها لأتفه إساءة تحصل منه لها.

ومهما يكن من شيء فخلاصة معنى الحديث الذى نحن بسبيله الآن أن المشرع الأعظم سيدنا ومولانا محمد ﷺ يحدث أصحابه ويرشد أمته بأن الله تعالى أطلعه على النار فوجد أن أكثر أهلها من النساء ثم علل ذلك بقوله (يكفرن) فتساءل الصحابة متعجبين من ذكرالكفر ومتفهمين عنه هل هو الكفر بالله؟ فقالوا يارسول الله «أيكفرن بالله» فأجابهم المصطفى ﷺ بأنه كفر دون الكفر بالله وجحود لنعمة الزوج ويجحدن إحسانه إليهن بحيث لو مكث الزوج طيلة حياته كلها وهو يغدق على زوجته من صنوف النعم والبر والخير غير باخل ولامسيء ولو حدث وأن أسأت إليها مرة واحدة لقابلت كل هذا الإحسان والرفق بها طوال هذه الأزمان بالجحود والنكران وقالت فى غير خجل ولا حياء: ما رأيت منك خيراً قط، كأنها كانت تساء كل هذه المدة وهذا معنى قوله ﷺ : « لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيرا قط » .

ولعل هذا الإنكار وذلك الجحود راجع إلى ما بيناه آنفا ففى الحديث حث شديد للمرأة بأن تكبح جماح نفسها عن جحود نعمة الزوج فإنها ما استحقت الدخول فى النار إلا بسبب ذلك لأن دخول النار لا يكون إلا بسبب اقتراف أكبر الذنوب وأعظم الجرائم ومخالفة الزوج ونكران نعمته منها وفى الحديث « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» [1] كناية عن المبالغة فى الطاعة والامتثال له حتى تكون حياتها سعيدة موفقة .

وإياك أن تفهم أن هذا الاعوجاج والجحود للنعمة مطرد فى جميع النساء وإلا لما

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٨٥٢) والحاكم ١٧٢/٤ ، و« المجمع » ٣١٠/٤ و ٧/٩، و البغوى فى «شرح السنة» ١٥٨/٩ ، وفى « التفسير » ٥٨/٥ و٥١٨، وابن أبى الدنيا فى « العيال » (٧٢٢) و(٧٢٨) و(٧٢٩) و(٧٣٠)و(٧٣١).

دخلت إحداهن الجنة كما لا تفهم أن الكمال بمعناه لم يكن إلا للرجال فحسب وإلا لما اصطفى الله من النساء الكاملات واللاتى هن أفضل من كثير من الرجال أمثال فاطمة بنت محمد، وعائشة زوجة محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وغيرهن ممن جاء الشرع بتفضيلهن .

نعم الأغلب في صنف الرجال الكمال والنبوغ والأغلب من صنف النساء والنقص والضعف وهذا الكمال وذلك الضعف نسبي فقط فلا ينافي أن في النساء الوفيات الطيبات القانتات الطاهرات اللاتى لا يجحدن نعمة ولا يكفرن بعشير وإليك مثالا من ذلك:

قال الأصمعي دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لي فإذا جارية على قبر تبكي وعليها من الحلل ما لم أرمثله فالتفت إلى صاحبي وقلت له: هل رأيت أعجب من هذه؟ قال: لا والله ولا أحسبني أراه. فقلت لها: يا هذه أراك حزينة وما عليك زى الحزن فأنشدت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني ... رهينة هذا القبر يافتيان
وإني لأستحييه والقبر بيننا ... كما كنت أستحييه حين يراني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

ياصاحب القبر يا من كان ينعم بي ... بالا ويكثر في الدنيا مواساتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل ... كأنني لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه ... أن قد تسر به عن بعض هيئاتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة ... عجيبة الزى تبكي بين أموات

وقال الأصمعي أيضا: دخلت المقابر فإذا أنا بامرأة تنوح على زوجها وهي سافرة فلما رأتني غطت وجهها ثم كشفته وقالت تخاطب زوجها :

لا صنت وجها وكنت صائنه ... أبدا ووجهك الثرى يبلى
يا عصمتي في النائبات ويا ... ركني القوى ويايدى اليمنى

فأنت ترى أن كلتا المرأتين دانت لعشيرها (زوجها) بالوفاء والحب والاعتراف بالنعمة حتى بعد موته وانتقاله إلى الدار الآخرة فإن الأولى أبت أن تلبس حليها لمخلوق

فى الوجود إلا له وتناجيه فى اعتراف صميم وإخلاص بليغ بقولها :

وإنـي لأسـتحـييه والـقـبر بـينـنـا كما كنت أستحييه حين يرانى
ياصاحب القبر يامـن كان ينعم بـي بالا ويكـثر فى الدنيا مواسـاتى

والثانية تصون وجهها عن غيره وهى تبكيه ثم يخطر ببالها أنه لا يصان إلا به، فتسفر عنه مبالغة فى الاعتراف له بالجميل والنبل والوفاء فإذا كان هذا الحديث يحذر المرأة من دخول النار بسبب نكران نعمة الزوج ويرشد الأمة إلى ما فى المرأة من غموض ونقص خلقى لأن أغلب النسـاء فيه هذه الخصلة المنكرة الذميمة فإزاء هذا الحديث أحاديث أخر استثنت الصالحات القانتات الحافظات لغيبة أزواجهن حتى لا تؤخذ تلك القاعدة على إطلاقها.

ونعما هى الشريعة الإسلامية كشفت أسرار الوجود ومظاهر الحياة فى وضوح وجلاء مرغبة ومرهبة حتى يستقيم الكل فى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض.

وها هى ذى الشعوب التى أباحت للمرأة الخروج على طبيعتها أحست بالهزيمة تهدد كيانها وعادت تفكر من جديد فى دستور حكيم يكفل للإنسانية السعادة والهناء ولن يجدوه إلا فى قانون السماء ودين الحق والنور (دين الإسلام) فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. (١)

(١) « مجلة الإسلام » السنة الثانية العدد ١٤ سنة ١٩٣٣ م

أكثر أهل النار النساء

عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » (١)

كشف الله لنبينا ﷺ عن الجنة والنار فى ليلة الإسراء والمعراج عندما رأى من آيات ربه الكبرى ورأى حقائق الأشياء على ما هى عليه واطلع فى الجنة فرأى أكثر منازلها الفقراء واطلع فى النار فرأى أكثر أهلها النساء ومما ينبغى أن يعلم فى هذا المقام أن الله تعالى قد أعطى لنبينا صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء علوماً ثلاثة هى: علم اختصه به فلا يعلمه إلا الله ورسوله وعلم أمره بتبليغه للناس كافة وعلم خيره بين تبليغه وكتمانه فكان يختص به من أصحابه من يرى عنده استعدادا لإدراك سره والعمل به والنفع به فليس الاستعداد عند كل الناس لفهم كل علم، وفوق كل ذى علم عليم ولأجل أن نتفهم معنى هذا الحديث الشريف ينبغى لنا أن نفهم معنى الفقر الذى يورث صاحبه الجنة ومن هم الفقراء الحقيقيون الذين يشير إليهم النبى ﷺ فى هذا الحديث بأنهم الأغلبية فى أهل الجنة ثم نفهم السر فى أن أكثر أهل النار وأغلبيةمنازلها السفلى للنساء ومن النساء؟ وقد فسروا الفقر بأنه قلة المال أو عدمه بالكلية وقالوا إن الفقراء جمع فقير وهو من لا ملك له ولا كسب له أو له ملك وكسب ولكن لا يكفيه وهذا تفسير بحسب الظاهر ولكن الراسخين فى العلم فسروا الفقر بأنه العبودية الخالصة لله، والتحرر من الذل إلا له سبحانه وتعالى وفسروا الفقير بأنه الذى لا يملك شيئا ولا يملكه شئ فهو دائما وأبدا ملاحظ أن ما بيده مهما كثر واتسع ملك لله تعالى وأنه عنده أمانة ووديعة يتصرف فيه تصرف الأمين أو الوكيل حسبما أمره المودع أو الموكل فلا ينسى

---

(١) أخرجه البخارى ١٤٢/٤ و ١١٩/٨ و١٤١ ، ومسلم (الذكر) ٩٤، والترمذى(٦٠٢) و(٢٦٠٣)، وأحمد ٢٣٤/١ و٣٥٩ و١٧٣/٢ و٢٩٧ و٤٢٩/٤ ، و« المجمع » ٢٦١/١٠، والبخارى فى « التاريخ الكبير » ١٨١/٤، والآجرى فى « الشريعة » (٣٩٠) و(٣٩١) ، والطبرانى فى « الكبير » ١٦٢/١٢و١٦٣ و١٣٤/١٨ والنسائى فى « عشرة النساء » (٣٧٩) .

نصيبه من الدنيا ولا ينسى حق السائل والمحروم والإنفاق فى سبيل الله وبذلك يضمن بقاء النعمة ودوامها وزيادتها قال تعالى:

﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [إبراهيم : ٧]

والفقير من لا يملكه شيء ولا يستعبده شيء بل هو عبد خالص لله فى كل حال يشعر بالعجز والفقر فى جميع أحواله ومن هنا كان الناس كلهم فقراء ولا يوصف بالغنى إلا الله تعالى.

﴿ يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ﴾

[فاطر : ١٥]

فكل الناس فقراء وإن تفاوتت أرزاقهم ومعايشهم فى الحياة الدنيا وكلما تخلص العبد من شهواته ومطامعه وحرصه على الدنيا ومتعها الفانية واشتغل قلبه بالله عن حطام الدنيا فهو الفقير الذى رفع الله قدره ومنزلته فى الجنة حتى لقد ورد أنه يدخل الجنة ويتخذ مقعده فى صفوف المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا قبل أن يدخلها الأغنياء بخمسمائة عام وعلى هذا فالفقر الحقيقى هو الشعور بالحاجة إلى رحمة الله فى كل حال والرضا عن الله تعالى فى كل حال وعدم اشتغال القلب بالدنيا وإن ملكها بحذافيرها، فقلب الفقير مشغول بالخالق عن الخلق وبالملك عن الملك وبالمعطى عن العطايا وبالمنعم عن النعم وحاله دائما أنه فى فقر إلى الله وإلى رحمة الله وأمداد الله ورضوان الله ومن هنا تسمى السادة الصوفية بالفقراء وإن كانوا ملوك الدنيا والدين لأن حالهم الدائم هو استشعار الفقر والذل إلى الله والتحرر من كل الكائنات والركون إليها وانصرافهم الدائم إلى الله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه ويدعونه خوفا وطمعاً أما هؤلاء الذين يبطرهم الغنى وينسيهم المغنى فيعرضون عن ذكره وشكره فإن لهم معيشة ضنكا فى الدنيا ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ [الإسراء: ٩٧]

ومثلهم كمثل الذى يأكل ولا يشبع وقد استعبدتهم الدنيا وأذلهم المال وأطغاهم

حتى جعلوا إلههم هواهم وبعضهم استبدبه البخل والشح والحرص على جمع الدنيا حتى خسروا الدنيا والآخرة ودخلوا فى عموم قوله تعالى:

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾

[التوبة : ٣٤]

ويروى أن رجلا من العارفين بالله تعالى خطر بباله عدة أسئلة منها: ما حقيقة التوحيد ؟ وما حقيقة الفقر؟ وأخذ يسأل أهل العلم الموجودين فى زمانه، فلم يجبه أحد بجواب يطمئن إليه قلبه فاشتغل فكره واهتم بالأمر اهتماما شديداً حتى رأى النبى ﷺ فى المنام فقال يارسول الله لقد سألت أهل العلم المعاصرين لى عن حقيقة التوحيد وحقيقة الفقر فلم أظفر منهم بجواب يقنعنى ويطمئن له قلبى فقال له النبى صلوات الله وسلامه عليه: أما حقيقة التوحيد فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك، وأما حقيقة الفقر فهى ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء.

ومعناه كما قدمنا لك هو أن تلاحظ أن ما بيدك ملك الله لا لك ولكنه وديعة عندك تتصرف فيه تصرف الأمين ولك أجره ولا يملكك شيء أى لا تكن عبداً لشيء بل كن عبد الله تعالى فى كل حال وحدث النبى ﷺ أصحابه يوما فقال:

« إن الفقراء من أمتى سيدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم » (١)

ثم قال تعالى عز شأنه:

﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ [الحج : ٤٧]

يعنى أن الفقراء من الأمة المحمدية سيدخلون الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام فقام رجل من المجلس وقال: أنا منهم يارسول الله؟ فقال له النبى صلوات الله وسلامه عليه: «ألك ثوبان إذا غسلت أحدهما لبست الآخر ؟ قال: نعم ، قال اجلس لست منهم

(١) أخرج معناه ابن المبارك فى «الزهد» ٢/٨٠.

ثم قام رجل آخر وقال: أنا منهم يارسول الله ؟ فقال له النبى ﷺ: أعندك غداؤك وعشاؤك ؟ قال: نعم قال: اجلس لست منهم فقام رجل ثالث وقال: أنا منهم يارسول الله ؟ قال: ألك بيت تأوى إليه ؟ قال: نعم : قال: اجلس لست منهم فقام رجل رابع ليس كمن تقدم وقال: أنا منهم يارسول الله ؟ قال أتصبح وتمسى وأنت راض عن الله ؟ قال: نعم قال: أنت منهم » لتدرك أن المهم هو الرضا عن الله فى كل حال وعدم السخط على نصيبك من الدنيا وعدم التطلع إلى الناس وما فى أيدى الناس وإذا حدثتك نفسك بالنظر إلى الناس فانظر إلى من هو أقل منك مالا وحالا حتى تتعرف نعم الله عليك ولطفه بك فترضى حتى تنال درجة الرضا وتدخل فيمن رضى الله عنهم ورضوا عنه أمثال أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى أنفق ماله فى سبيل الله ونصرة دينه حتى نزل فيه قوله تعالى :

﴿ الذى يؤتى ماله يتزكى ❁وما لأحد عنده من نعمة تجزى ❁إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ❁ولسوف يرضى ﴾ [الليل: ١٨-٢١]

ولما طلب النبى من أصحابه أن يقدموا مالا للجهاد فى سبيل الله وجاء بعض الصحابة بنصف ماله أو بثلثه أو أقل أو أكثر جاء الصديق رضى الله عنه بكل ماله وجميع ما عنده فقال له النبىﷺ: وما أبقيت لعيالك يا أبا بكر؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

ولقد خير رسول الله ﷺ بين أن يكون نبياً عبداً أو نبيا ملكاً فاختار أن يكون نبياً عبداً وقال: يارب أشبع يوما وأجوع يوماً فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك وإن شبعت شكرتك وحمدتك. ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقد كان مع اختياره لنفسه وأهل بيته الكفاف يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ويقول « اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين » (١)

ولقد قضى الإسلام على نظام الطبقات وعلى نعرات الجاهلية فى الفقر والغنى والحسب والنسب وجعل الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى ولا

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٥٢)، وابن ماجة (٤١٢٦)، والبيهقى فى « السنن » ١٢/٧ ، والحاكم ٣٢٢/٤ وعبد بن حميد (١٠٠٢) وفيه كلام.

أبيض على أسود إلا بالتقوى فأكرم الناس عند الله أتقاهم وخير الناس فى الإسلام أنفعهم للناس قال تعالى:

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات ١٣]

وخطب النبى ﷺ فى حجة الوداع فقال « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب لافضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى »(١) ثم قرأ النبى ﷺ قوله تعالى:

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣]

وجرى العمل على عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وفى عصور الإسلام الذهبية على هذا فكانت القيم الإنسانية والموازين الإسلامية مرجعها إلى التقوى ومكارم الأخلاق بغض النظر عن الحسب والنسب والفقر والغنى والجاه والعصبية حتى إن سيد الخلق ﷺ ليقول لفلذة كبده السيدة فاطمة الزهراء « يافاطمة بنت محمد اعملى فإن محمدا لن يغنى عنك من الله شيئاً » (٢) ويقول ﷺ: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٣) ولما سرقت فاطمة المخزومية وهم رسول الله ﷺ بأن يقيم عليها الحد بعث بنو مخزوم سيدنا أسامة بن زيد ليشفع لها عند رسول الله بصفتها حسيبة نسيبة ومن قبيلة بنى مخزوم التى تمت إلى عبد مناف بأوثق صلة فلما كلمه أسامة غضب رسول الله ﷺ وقام فى الناس خطيباً وقال « أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمدبيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (٤)

فالناس أمام القانون سواء والفقر والغنى والجاه والنسب ليس للعبد فيه حيلة وإنما هى حظوظ قسمها الله بين عباده.

---

(١) أخرجه الربيع بن حبيب فى « مسنده » ٨/٢ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٢٥٢/٢ ، وابن حبان فى « موارد الظمآن » (٧٨).

(٤) أخرجه البخارى ٢١٣/٤ ، والترمذى (١٤٣٠) والبيهقى فى « السنن » ٣٣٢/٨ ، والبغوى فى « شرح السنة » ٣٢٨/١٠ ، وابن كثير ١٠٤/٣ .

وليس الغنى والفقر من شيمة الفتى ولكـــن أحـــاظ قسمت وجـدود

إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكن لايعطى الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه. وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقف ببابه أبوسفيان بن حرب في ملأ من عظماء قريش ووقف ببابه بلال وصهيب وخباب في جمع من الموالي والفقراء وكل من الوافدين يطلب الإذن بالدخول على أمير المؤمنين فقدم أمير المؤمنين عمر وفد الفقراء والعبيد الذين حررهم التوحيد وأذن لهم بالدخول عليه أولا ولما فرغوا من مقابلته أذن لأبي سفيان ومن معه فدخلوا عليه يعلو وجوههم الغيظ والغضب وقال أبو سفيان: تقدم علينا يا أمير المؤمنين العبيد والموالي. فقال عمر رضى الله عنه: دعي القوم ودعيتم فلبوا وأبطأتم فكيف بكم يوم القيامة إذا دعوا بين يدى مولاهم فتقدموا وتأخرتم.

يعنى هؤلاء لهم فضل عليكم لأنهم سبقوكم إلى الإسلام وإجابة دعوة النبى ﷺ وقد قضى الإسلام على نظام الطبقات وعلى الفوارق الدنيوية فأصبح هؤلاء أفضل منكم وأولى بالسبق عليكم في كل شيء. وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: «مر رجل على النبى ﷺ فقال لرجل جالس عنده: ما رأيك فى هذا؟ فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت النبى ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك فى هذا ؟ فقال يارسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين حرى إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال لا يسمع لقوله فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا »[1] وهذا الحديث رواه البخارى ومنه نتعلم أن الغنى الذى يعجبك منظره ومظهره وهو عبد لشهواته ومعرض عن ذكر الله وقد جرت عادة الناس أن يزوجوه إن خطب بناتهم وأن يقبلوا شفاعته إن شفع عندهم وأن ينصتوا لقوله إذا قال، لو وزن بفقير بيته وبين الله عمار وإن كان غير مرغوب فيه ولا فى شفاعته ولا يسمع له قول عند الناس وما أكثر النفاق والرياء فيهم

(١) أخرجه البخارى ١٠/٧، و١١٩/٨، وابن أبي شيبة ٢٢٢/١٣، والزبيدى فى « الإتحاف » ١٠٦/٧.

هذا الفقير الذى لا يعجبك مظهره ولا منظره لو وزن بهذا الغنى الذى يهرع الناس إليه لرجح ملء الأرض من أمثاله وهو فرد واحد فقير الظاهر لكنه نقى الباطن ومؤمن راض عن الله فى كل حال فلا تغتر ياصديقى القارئ بكثير من الناس الذين إذا أعطوا من الدنيا رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون. لا تغتر بالمظاهر ولا بالكلام المعسول ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ﴿وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥]

وقديما قال الأولون « من العفة ألا تجد » ومعناه « الفقر حشمة » وتأمل قول أحكم الحاكمين ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ [العلق: ٦]

وقال تعالى:

﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾ [الشورى: ٢٧]

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴿ فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]

ولله در إمامنا الشافعى رضى الله عنه إذ يقول :

غنى بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى إلاعن الشيء لا به

وهو مأخوذ من قول أحكم الخلق ﷺ:

«ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس» (١) فالقناعة يا أخى والرضا بما قسم الله بعد الأخذ فى أسباب العز هما السعادة كل السعادة .

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقى هو السعيد

(١) أخرجه البخارى ١١٨/٨ ومسلم (الزكاة) ب ٢٠ رقم ١٢٠، والترمذى (٢٣٧٣) وابن ماجة (٤١٣٧) وأحمد ٢٤٣/٢ و٢٦١ و٣١٥ و٣٩٠ و٤٣٨ و٤٤٣ و٥٣٩ و٥٤٠ والحميدى (١٠٦٣) .

ونقول الرضا بعد الأخذ فى أسباب سعة الرزق لأن الإسلام يأمرنا بالسعى والعمل لننفع نفسنا ونتصدق ويكره الإسلام الكسالى والمتواكلين والفارغين من العمل وكان عمر رضى الله عنه يقول: إنى لأرى الفتى فيعجبنى فاسأل هل له حرفة؟ فإن قالوا لا سقط من عينى. إن المراد بالفقير عند أهل التحقيق هو الذى لا يملك شيئا ولا يملكه شىء بمعنى أن يلاحظ المسلم أن ما بيده ملك لله لا له ومهما بسط الله الرزق فليس بمشغول به عن مولاه الذى أعطاه ـ لأن حال الفقير إلى الله فى كل حال والعبرة فى الإسلام بالقلب وصلاح القلب وعمل القلب ومن هنا أمر نبيه ﷺ بأن يثبت نفسه مع الفقراء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا ينظر للمستكبرين من أغنياء قريش ومن أقاربه الذين كبر عليهم المساواة بين المسلمين ومحو نظام الطبقات وحاولوا جهدهم أن يبقوا على نظام الطبقات وتفضيل الغنى على الفقير والحبيب على غير الحبيب فلم يفلحوا وردهم الله على أعقابهم خاسئين ولطالما تمنى صاحب الشرع ﷺ أن يؤمنوا لأنه رحمة للعالمين فكيف لا تشمل هذه الرحمة أقاربه الأقربين ـ من أعمامه وأبناء عمومته ومن إليهم من بنى هاشم وبنى عبد مناف أشراف العرب .. وأشراف قريش وكان يضيق صدره من أجلهم ومن أجل عنادهم وتمسكهم بما ورثوه من الفخر الكاذب أيام الجاهلية بالغنى والجاه والحسب والنسب حتى قال تعالى:

﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ [الكهف : ٦]

﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣]

﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ [البقرة : ٢٧٢]

﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى : ٤٨]

﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر ﴾ [الغاشية: ٢١ـ ٢٢]

وكانوا يأنفون من الجلوس فى مجلس الوحى مع حبهم لمجالسة النبى ﷺ واستماع القرآن منه لئلا تتساوى أكتافهم بأكتاف الفقراء من المؤمنين الذين كان لا يخلو مجلس له منهم حتى إنهم انتهزوا مرة فرصة جلوس النبى ﷺ وحده وجلسوا إليه وطلبوا منه أن

يقرأ عليهم القرآن ففرح النبى صلوات الله وسلامه عليه بهم وبينما هو مشغول بهم إذ جاء سيدنا عبد الله بن أم مكتوم الفقير الأعمى ووقف على المجلس وقال يارسول الله علمني مما علمك الله فالتفت النبى ﷺ فوجده عبد الله بن مكتوم المؤمن التقى النقى الذى أطمأن قلبه بالإسلام ولعله قال فى نفسه هذا فرغنا منه أما هؤلاء الذين جاءوا ليسلموا فيجمل أن أكون معهم إلى النهاية ولعلهم يؤمنون واشتغل بالقوم عنه فعاتبه الله بقوله تعالى:

﴿ عبس وتولى۞ أن جاءه الأعمى۞ وما يدريك لعله يزكى ۞أو يذكر فتنفعه الذكرى۞ أما من استغنى۞ فأنت له تصدى ۞وما عليك ألا يزكى ۞ وأما من جاءك يسعى ۞وهو يخشى ۞ فأنت عنه تلهى ۞ كلا إنها تذكرة ﴾ [عبس : ١ـ ١١]

وبعد هذا العتاب كان النبى صلوات الله وسلامه عليه إذا جاء سيدنا عبد الله بن أم مكتوم إليه يقوم ويعانقه قائلا: « مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى» (١) وجاء الأقرع ابن حابس التميمي وعباس بن مرداس في ملأمن عظماء قريش إلى مجلس الوحي وقالوا يارسول الله لولا هؤلاء السقاط (الفقراء) الذين يجلسون حولك لجلسنا إليك واستمعنا القرآن وآمنا بدعوتك فاطردهم لنجلس إليك فإننا لا نحب أن ترانا العرب مساوين هؤلاء الأعبد فقال لهم رسول الله ﷺ ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فاجعل لنا يوما لا نراهم بجانبنا واجعل لهم يوماً لانجيء فيه. وكان بالمجلس سيدنا عمر وسيدنا على ـ فقال سيدنا عمر ماذا عليك يارسول الله لو أجبتهم إلى ما يطلبون؟ فقال الأقرع بن حابس ويشترط أن يكتب على بن أبى طالب كتابا وعهدا بيننا وبينك يا محمد على أن اليوم الخاص بنا نحن الأغنياء لا يأتى فيه الفقراء كل ذلك والنبى ﷺ لا يتكلم لأنه لا ينطق عن الهوى ﴿ إن هو الا وحى يوحى ﴾ [النجم : ٤]

فأنزل الله تعالى الآيات:

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ [الأنعام : ٥٢]

(١) انظر: « تفسير القرطبي» ٢١٣/١٩.

فلما رأى المشركون أن القرآن يستبقى الفقراء بمجلس النبى ويزكيهم قالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه إنما جلسوا ليأكلوا بالمجان فتلا النبى ﷺ:

﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين۝ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٣]

وعندئذ وقف سيدنا عمر يستغفر من قوله « ماذا عليك يارسول الله لو أجبتهم » فإن الوحي لم ينزل بموافقته على عادته فاعتبر هذا ذنبا بالنسبة لمقامه رضى الله عنه على حد حسنات الأبرار سيئات المقربين فقرأ النبى ﷺ:

﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ﴾ [الأنعام : ٥٤]

فكان النبى ﷺ بعد هذه الآية لا يحفل بكلام المستكبرين الذين يقترحون عليه طرد المؤمنين ويجلس مع أصحابه حتى يبدو له القيام لبعض شأنه فيقوم ويتركهم ثم يعود حتى نزلت الآية الأخيرة قال تعالى:

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [الكهف : ٢٨]

أما السر فى كون أكثر أهل النار من النساء فيكشف عنه الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أريت النار، فإذا أكثر أهلها من النساء يكفرن، قيل أيكفرن بالله؟! قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليها مرة قالت ما رأيت منك خيراً قط»(١) فجحود المرأة لنعمة الزوج ونكرانها لإحسان الزوج وسوء عشرتها له هو السبب لدخولها

(١) أخرجه البخارى ١٤/١ وقد سبق تخريجه .

النار حتى إن كثيرات من النساء سيدخلن النار بسبب غضب قلب الزوج عليهن لنشوزهن وعدم طاعتهن له لنكرانهن الجميل ولنسيانهن لنعمة العشير بحيث لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليها مرة واحدة لقالت ما رأيت منك إحسانا قط ولا خيرا قط وإن حياتها كلها إساءة منك وتنسى كل إحسان مضى فى عمر طويل وأنت تغدق عليها من الخير العميم والخلق الكريم مالا يحصيه العد.. تلك طبيعة المرأة التى لا تفارقها أبداً، إنه الاعوجاج فقد خلقت من ضلع كما قال سيد الخلق ﷺ وأعوج ما فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا.

وظاهرة الإعوجاج تتجلى فى تمردها على الزوج وعدم اعترافها بجميله بحيث تنسى إحسان دهر فى إساءة مرة واحدة وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول « ما تركت فتنة بعدى هى أضر على الرجال من النساء» (١) فقد كلفن المعسر ما ليس فى طاقته ولبسن لبس الرجل وتمردن على وظيفتهن فى الحياة وتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وظهرن فى الأسواق والشوارع والمنتديات كاسيات عاريات لعنة الله على الاستعمار والمستعمرين، فقد كانت المرأة الشرقية محافظة على تقاليدها وأدبها حتى جاءت المرأة الأوروبية فسرت عدواها سريان النار فى الهشيم وقلدتها المرأة الشرقية فى السفور أولا ثم بلبس القصير وكشف الساقين والذراعين ثانيا ثم فى الرقص وإبداء الزينة بشكل رخيص والآن ينادى الجامعيون والجامعيات بالوجودية ـ ومعناها الإباحية المطلقة ـ حتى إنه لو ظهرت فى الشارع عارية فلا اعتراض عليها ويتمنى الشباب الجامعى أو لا يتورع أن تكون بنته فاجرة كما كشفت عن ذلك الجرائد فى الأيام الأخيرة والرواية لم تتم فصولها فقد دخلت المسألة فيما يسمونه معركة الرأى وانبرى بعض الكتاب يكشف الستار عن مأساة الوجودية وأصلها وفصلها وكيف نشأت وتطورت حتى دخلت جامعاتنا وأصبح بعض قراء الإسلام ـ اطلع على ما سطر يراع صديقنا صادق الرافعى إذ يقول :

وما عجب أن النساء ترجلت   ولكن تأنيث الرجال عجاب

---

(١) أخرجه البخارى ١١/٧ ومسلم (الذكر والدعاء) ب ٢٦ رقم ٩٧ و٩٨ والترمذى (٢٧٨٠) وأحمد ٢٠٠/٥ والبيهقى ٩١/٧ .

كنا نقول لهؤلاء وأولئك على رسلكم فالمرأة خرجت على الأوضاع بشكل تخجل منه الرجولة وهذه مجلة بنت النيل بعد أن كانت تنادى بمساواة المرأة للرجل فى كل شئ ومنع التعدد ـ وحذف نون النسوة من اللغة العربية أصبحت تنادى الآن بحقها فى جعل العصمة بيدها فهى التى تطلق زوجها متى شاءت وتتزوج غيره متى أحبت وهكذا من المآسى والمفزعات والمفجعات فإذا بالرجل يسكت ويغلب على أمره ويبالغ فى السكوت والغلب حتى إذا بنا نقرأ فى الصحف عن الوجودية فى الجامعة فاللهم الطف بنا فيما جرت به المقاديروليعلم هؤلاء اللاعبون بالنار من أشباه الرجال الذين يناصرون المرأة الأديبة عامة والمرأة الفرنسية خاصة أن للدين ربا يحميه وأن وراء الأكمة من يحمون الحق ويذودون عن حماه وأن الثورة ورجالها الأحرار لا يرضون أبدا بهذه الأوضاع المقلوبة ومن مبادئ الثورة الأولى إرجاع الحق إلى نصابه وإرجاع المرأة الشرقية إلى وظيفتها فى الحياة أمومة ورضاعة وتربية وتهذيبا ورعاية لمملكتها الصغيرة فى داخل بيتها وحرمها المقدس حتى تخرج للوطن الرجل الذى يحمى حماه وحتى تكون كالمرأة العربية التى مات ابنها الوحيد فلما وقفت تصلى عليه صلاة الجنازة لم تزد على قولها «اللهم إن كنت تعلم أن ابنى هذا كان يحمى الذمار ويأبى العار فاغفر له وارحمه وإلا فلا» ومهما يكن من شئ فأكثر أهل النار النساء لأنهن سبب البلاء والنكبات فى كل زمان ومكان وطاعة الزوج ورضاه سبب لدخول المرأة الجنة لأن الزوج هو صاحب الحق الأول على زوجته بعد الله سبحانه وتعالى ولقد سألت السيدة عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها. وقال صلوات الله عليه وسلامه « خير النساء التى إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك وعرضك » [1] وأكثر المفسرين على أن حسنة الدنيا فى قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ﴾ [البقرة : ٢٠١]

هى الزوجة الصالحة. وكم هناك من زوجات صالحات قانتات حافظات لحق الزوج محافظات على آداب الدين قائمات بواجباتهن كما ينبغى أن يكون ويقول صلوات الله عليه وسلامه « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم

(١) سبق تخريجه .

حقه عليها »⁽¹⁾ وسبب هذا الحديث أن أعرابيا مر على رسول الله ﷺ وهو يصعر خده ويكاد يضرب الأرض برجليه كبراً ومدحاً فقال له النبى ﷺ: أتؤمن بى أيها الأعرابى فقال لا أومن بك حتى تؤمن لك هذه الشجرة وأشار إلى شجرة فى الوادى أمامه فقال النبى ﷺ: اذهب إليها فقل لها رسول الله يدعوك فذهب الأعرابى إلى الشجرةوقال لها: أجيبى رسول الله وهو لا يصدق أن الشجرة تقلصت من مكانها مرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال ومرة إلى الأمام ومرة إلى الخلف واقتلعت بجذوعها وأصولها وأخذت تخد الأرض خداً مسامتة ذات النبى ﷺ حتى جاءت بين يديه ساجدة وهى تقول بصوت عربى فصيح يسمعه الأعرابى: السلام عليك يارسول الله. فتعجب الأعرابى غاية العجب وقال: مرها يارسول الله أن ترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت إلى مكانها واستقرت كما كانت. فقال الأعرابى: ائذن لى يارسول الله أن أسجد لك فقال صلوات الله وسلامه عليه «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها»[2] يعنى السجود لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى وإنما هو حث بليغ للمرأة التى تريد أن تسعد فى الدنيا والآخرة على أن تتحرى مرضاة زوجها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وأيما امرأة بات زوجها غضبان عليها إلاباتت تلعنها الملائكة حتى تصبح.. فرضاء الزوج يدخل الزوجة الجنة وغضب الزوج يدخل الزوجة النار وقد رسم الإسلام لكل من الزوجين حقوقا وواجبات لهما معا ولكل منهما تجاه الآخر ولم يترك فى ذلك شيئا إلا وفصله تفصيلا فاتقى الله أيتها السيدة المسلمة وقفى عند الحد الذى خلقك الله لأجله ولا تنكرى إحسان الزوج ونعمة العشير فيكون الإنكار سببا فى دخولك النار مع الداخلين واحذرى من قول رسول اللهﷺ «واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[3].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

ثرثرة النساء فى مجتمعاتهن

جرت العادة فى كل عصر أن تكون للنساء مجتمعات خاصة بهن فى دورهن وقد كانت هذه العادة شائعة منتشرة بين نساء العرب كما هى فى عصرنا هذا فكانت كل جماعة منهن يجتمع أفرادها فى مكان خاص فيتحدثن بما شاءت لهن الأهواء من فنون الحديث وقد روى أهل الكتب الصحيحةفى الحديث وأهل الأدب أنه خرجت إحدى عشرة امرأة من خثعم وهى قبيلة من قبائل عرب اليمن إلى مجلس فجلسن وقلن تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً فتكلمت كل واحدة منهن فى وصف زوجها بكلام بلغ الغاية القصوى فى الفصاحة والبلاغة مع الإيجاز البديع وقوة التصوير وقد رأيت أن أبسط لحضرات القراء الكرام حديثهن كما رواه البخارى مع شرح لغوامض ألفاظه وبيان واضح لخوافى معانيه لعل فيه تذكرة للرجال تنبههم إلى محاسبة أنفسهم على أخلاقهم وأحوالهم فى معاشرة زوجاتهم حتى يكونوا مثال الكمال أمامهن فى كل وقت فلا يدعوا لهن فرصة للتشهير بهم فى مجالسهن الخاصة ولعل فيه عظة للنساء اللواتى لا يتورعن عن الكذب فلا يدعوا لهن فرصة للتشهير بهم فى مجالس أترابهن ورميهم بكل نقيصة زوراً وبهتاناً وليتذكرن أنه كان لهن فى سالف الأزمان نظيرات أبت عليهن كرامة أنفسهن أن يكذبن على أزواجهن فى بيان أوصافهم وأن يفترين عليهم ما ليس من خلائقهم .

فعلى الرجال أن يهذبوا أنفسهم جهد الاستطاعة ويتلافوا ما عندهم من مواطن النقص فى حياتهم الزوجية وعلى النساء أن يتقين الله فى سمعة أزواجهن فلا تدفعهن ثائرة الغضب لأمر تافه إلى تنقيصهم والتشهير بهم .

ولم أر فى حياتى أعجب من رجل يعلم أن الكثرة من النساء « كالراديو » يذعن فى المجالس كل سر من أسرارهم ويطلعن غيرهن على دخيلة أمورهم ثم لا يدارى نقصه عن امرأته ولا يقيم من نفسه مؤدباً لنفسه حتى تكون فى ذهنها صورة عنه تقارب الكمال إن لم تصل إليه فيحسن إليها فى عشرتها ويقوم بواجباتها من تلقاء نفسه دون أن

يحرجها بالطلب أو يكلفها مئونة الانتظار، كما لم أر أعجب من امرأة تعرف أن حياتها قد ارتبطت بحياة قرينها وأن مصيرها فى المعيشة كمصيره وأن مصلحتها المشتركة تقضى عليها أن تكون ستراً له ثم تذيع عنه أخبار السوء فى كل مجتمع توجد فيه وأعجب منها من تفشى أسرار الزوجية الدقيقة التى لا يجوز أن يعلمها أحد سوى الزوجين .

إن أكثر الناس يقعون فى أخطاء لاعداد لها ولا يرعون قدسية الرابطة الزوجية التى تسود بها بين الزوجين المودة والرحمة والمحبة والتى تمزج بين روحيهما مزجاً تاماً تتحدبه خواطرهما وشعورهما وإحساساتهما والتى تجعل كل قرين جزءا متمما لقرينه وهذا التهاون فى رعاية قدسية تلك الروابط السامية هو الذى جعل كثيرا منهم أشقياء تعساء فى حياتهم لا يرون فيها مظهرا من مظاهر البهجة والسرور ولعل من أكبر تلك الأخطاء تهاون الرجال فى الإصلاح من مواطن النقص وعدم تهذيب ما فسد من أخلاق وتهاون النساء فى المحافظة على كرامة أزواجهن وعدم احتياطهن فى إفشاء أسرارهم.

قالت الأولى: «زوجى لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل» .

فوصفت زوجها بقلة الخير وبعده مع القلة وفظاظة الخلق لأنها شبهته فى قلة خيره بلحم الجمل الهزيل الخبيث الطعم الكريه الرائحة وأنه مع ذلك لا ينال خيره القليل لشراسة خلقه فكأنه كلحم الجمل البرى على رأس جبل وعر فى مرتقى يشق الوصول إليه فلا يرغب أحد فى طلبه لينقله مع توافر الدواعى على طلب الشىء المبذول فكأنها تريد القول إن زوجها فى قلة خيره كلحم الجمل الهزيل الذى يكرهه الناس لهزاله وخبث طعمه وكراهة رائحته فلا يرغبون فيه وهو إلى ذلك سيئ الخلق كثير الضجر شديد الغلظة فلا ينال منه القليل لفظاظته كأنه جبل وعر يصعب الارتقاء للوصول إلى ما فوقه ولو أنه سهل لين الخلق لتقلبت فى خيره الضئيل ليسره وسهولته لأن الشىء المزهود فيه قد يؤخذ إذا وجد بغير نصب ولا عناء ولو أنه مع غلظته كثير الخير لاحتملت غلظته فى سبيل خيره كما يحتمل مرتقى الجبل وعورته وشقة الصعود فيه لمغنم كبير.

هذا ما وصفت به زوجها ولها الحق فى أن تضجر منه وكان جديرا به مع ضعف حاله أن يكون لين الخلق سهل الطباع ظريف المعاشرة حسن المعاملة رفيعا بأخلاقه إذ لم يستطع أن يسعها بما له .

قالت الثانية : «زوجي لا أبث خبره إني أخاف ألا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره» .

فأجملت وصف زوجها واكتفت بالإشارة إلى معايبه خشية أن يطول الخطب إذا تبسطت فى بيانها فهى تقول : لا أذكر خبر زوجي لأنى أخشى إن ذكرته أن تندفع نفسى الثائرة فى البيان فلا أذر شيئا من معايبه ثم ما عسى أن أذكره من أوصافه ؟ إن أذكره أذكر عجره وبجره أى أمره كله وليس فيه إلا كل وصف شنيع قال ابن فارس: يقال فى المثل: «أفضيت إليه بعجرى وبجرى» أى بأمرى كله وقد أومأت بهذه العبارة إلى أن معايبه لاعداد لها وأنه ليست فيه فضيلة واحدة تذكرها له بخير وكانت متورعة فى هذا الإيجاز عفة اللسان فى الوصف.

فهل يعتبر بهذا من يتركون نساءهم فى أعماق بيوتهن لامؤنس لهن ولا سمير يقضين حياة متشابهة الأجزاء لا تلمح فيها بارقة من بوارق السرور، ويركبون رؤوسهم فى طريق الغواية إلى مواطن اللهو والفجور ليقبروا أموالهم فى أندية القمار وعفافهم وشرفهم فى بؤر الخنا والدمار وعقولهم باحتساء كاسات العقار (الخمر) ويذرون نساءهم كالمعلقات يتجرعن كؤوس الحزن ويتقلبن على فراش الضجر ويرجعون إليهن آخر الليل مسلوبى العقل والمال والشرف والكرامة : هل يعلم هؤلاء أى شر أسدوه إلى هؤلاء التعيسات المنكوبات فى أعز شيء لديهن وهو الهناءة الزوجية وهلا يعقلون أنهم بضربهم لهن تلك الحالة المؤلمة جعلوهن غنيمة سائغة للصوص الأعراض وربما ولدوا فى أنفسهن فكرة الانتقام منهم بتضحية العرض والعفاف. كم سمعنا عن أخبار المآسى التى خربت بيوتاً عامرة وأضاعت شرفاً مصونا وكانت التبعة فيها على سفهاء الأحلام من الرجال الذين تركوا بيوتهم لذئاب الإنس يفترسون بمن فيها من الحملان الوديعة حتى إذا وقعت المصيبة أفاقوا من غفلتهم فإذا بهم يجدون الصدع واسعاً لا يمكن رأبه فاتقوا الله أيها الرجال فى نسائكم وصونوا ما بقى من كرامتكم وأعلموا أن غواية الرجل

مفسدة للمرأة وأى مفسدة وإذا كان الرجال ينحون على المرأة باللائمة إذا زلت قدمها فلينحوا على أنفسهم باللوم أولا فهم سبب مصيبتها وعلة نكبتها وشقائها.

قالت الثالثة: «زوجي العشنق»، أي المتناهى فى الطول لدرجة مذمومة «إن أنطق أطلق وأن أسكت أغلق».

فوصفته بالإفراط فى الطول وشراسة الخلق وعدم احتماله لكلامها فإن نطقت أمامه بشكاة من سوء حالها معه طلقها وإن سكتت على مضض تركها كالمعلقة لا هى ذات زوج ولا هى أيم فتجد غيره من الأزواج. ومرادها أنه شرس لا يقوم بحقوق الزوجية ولعلها كانت تحبه ولذلك احتملت العيش معه على مضض وإلا لتخلصت منه لتصل حبلها بغيره.

قالت الرابعة: «زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولاسآمة».

فوصفت زوجها بلين وحسن عشرته لها بليل تهامة وهى موضع فى بلاد العرب يضرب العرب المثل بليله فى الطيب لأنها بلاد حارة فى غالب الزمان وليس فيها رياح باردة فإذا كان الليل كان وهج الحر ساكناً فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار فلا يلفحهم فيه الحر ولا يصيبهم فيه القر (أى البرد) ومرادها بهذا التشبيه أن تبين أن زوجها معتدل الحال جميل الخلال لا يثور غضبه فيؤذيها كالحر ولا يتضعضع حتى يكون خاملا كأنه الزمهرير وهو إلى حسن أخلاقه سليم الطوية ولا يضمر فى نفسه خبثاً ولا يعرف منكراً لذلك لا تخاف غدره وهو ظريف حلو الحديث حسن المعاشرة فلا تسأم من عشرته فهى هنيئة العيش متلذذة به كلذة أهل تهامة بليلهم وحبذا تلك الأوصاف لو كان عليها سائر الرجال.

قالت الخامسة: «زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد».

ومعنى فهد وأسد دخل دخول الفهد وخرج خروج الأسد فوصفته داخل بيته باللين والحياء لأنها شبهته فى دخوله بالفهد ووصفته خارج بيته بالقوة والنشاط لأنها شبهته فى تلك الحالة بالأسد وهو مضرب المثل فى الجرأة والشجاعة والقوة والنشاط ثم وصفته بالكرم لأنه كثير التغاضى لا يسأل عما ذهب من ماله وإذا جاء بشىء لبيته لا

يسأل عنه بعد ذلك وبعض الأدباء يفسر تشبيهها إياه بالفهد بشدة وثوبه عليها عند الجماع وكأنها تتمدح بأنها محبوبة عنده بحيث لا يصبر عنها إذا رآها وهى أوصاف حميدة تعجب النساء من أزواجهن.

قالت السادسة: «زوجى إن أكل لف وإن شرب اشتف وإذا اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث».

فذمته فى وصفها بأنه جمع بين اللؤم والبخل والنهم والجشع والمهانة وسوء العشرة مع أهله لأنه إن أكل لف أى أكثر من الأكل واستقصى كل ما أمامه حتى لا يترك منه شيئاً وذلك دليل على جشعه والعرب تذم الرجل بكثرة الإفراط فى الأكل وإن شرب اشتف أى شرب كل ما فى الإناء حتى يشرب الشفافةوهى بقية الماء فى الإناء وفى هذين الوصفين دليل على نهمه وجشعه وعلى بخله أيضا لأنه لا يريد أن يبقى لها من الأكل والشراب شيئاً ثم وصفته باللؤم وسوء العشرة فقالت «وإن اضطجع التف» أى رقد فى ناحية وحده والتف بردائه وانقبض عن أهله إعراضا فهى كئيبة حزينة لذلك «ولا يولج الكف ليعلم البث » أى الحزن تريد أنه لا يشفق عليها ولا يمد يده ليعلم ما هى عليه من الحزن فيزيله أو إذا رآها مريضة لم يمد يده إليها لتلطيف ما يحزنها من المرض وهى خلال كلها لؤم ومنقصة.

قالت السابعة: «زوجى غياياء أو عياياء، طباقاء كل داء له داء شجك أو فلك أوجمع كلا لك».

ذمته بأنه جمع كل المعايب المتفرقة فى الناس فوصفته أولا بأنه غياياء أى أحمق لا يحسن التصرف ثم أوجزت وصفه بجملة جامعة فقالت كل داء وعيب تفرق فى غيره من الناس فهو عيب له ، فكأنه متحف العيوب ومستودع النقائص وهو إلى جانب عيوبه التى جمع بها ماتفرق فى غيره سيئ العشرة إن مازحته شجها وإن أغضبته فلها أى كسر عضوا من أعضائها أوشق جلدها أو جمع كل ذلك لها من الجرح والكسر وشق الجلد وقد يزيد على ذلك موجع الكلام وياويل من أوقعها سوء الحظ فى مصيبة كهذا الزوج.

قالت الثامنة: «زوجى المس مس أرنب والريح ريح زرنب».

فمدحته بلين الجسد ونعومة الملمس وطيب الرائحة إما لنظافته أو لاستعماله الطيب إذ شبهته بالأرنب فى لين الجسد ونعومته لأن وبر الأرنب ناعم جداً، وشبهت طيب رائحته برائحة الزرنب وهو نبت عطرى جميل الرائحة ويحتمل أن يكون ذلك كناية عن طيب حديثه أو طيب الثناء عليه لجميل معاشرته وفى رواية أخرى بزيادة قولها «وأنا أغلبه والناسَ يغلب» فمدحته بأنه حسن العشرة معها يلين لها حتى تغلبه ولكنه مع ذلك شجاع يغلب الناس وهذا الوصف كقول معاوية رضى الله عنه فى وصف النساء «يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام» وهو دليل على أنه كريم السجايا فتغلبه لكرمه لا لجبنه .

وقالت التاسعة: «زوجى رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد».

فمدحته أى عالي المنزل لأن بيوت الأشراف كذلك كانوا يعلونها ويضربونها فى المواضع المرتفعة ليقصدهم الطارقون والوافدون وما كانت منازلهم إلا الخيام يقيمونها على عمد مرتفعة وكانت رفعة العمد دليلا على شرف صاحب المنزل ثم امتدحته بطول القامة والشجاعة بقولها « طويل النجاد » وهى حمالة السيف وطولها دليل على طول قامة من يحملها وعلى شجاعته لأنه لا يحمل السيف إلا الأبطال المغاوير ومدحته بالكرم فى قولها « كثير الرماد» لأن ناره من قرى الأضياف وإكرامهم وهو إلى جانب هذه الخلال عظيم المنزلة فى قومه وقد جعل منزله قريبا من ناديهم الذى يشتورون فيه فى مهام الأمور ليكون مرداً لهم ومستشاراً فيما يختلفون فيه.

قالت العاشرة: «زوجى مالك وما مالك؟ مالك خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك».

فمدحته أبلغ مدح وجمعت فى وصفها له بين الثروة والكرم وكثرة القرى والاستعداد له والشجاعة فى مواطن الهلاك فهى تقول : زوجى مالك وما مالك أى أى شئ هو؟ ما أعظمه وأكرمه «مالك خير من ذلك» الذى ذكر هذا فى وصف أزواجكن من ثناء وشيم جليلة وفوق ما أعتقد فيه من سؤدد وفخر وهو أجل من أن أصفه لشهرة فضله.. ثم أخذت تفصل أوصافه بعد ذلك الإجمال الذى دلت به على أنها لن تبلغ

غاية وصفه فقالت « له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح » لأنه لكثرة كرمه واستعداده للضيفان يبقى إبله فى مباركها ولا يوجهها إلى مسارحها إلا قليلا لتكون فى متناول يده ينحر منها لإكرام الضيفان فى أى وقت أراد وفى وصفها هذا إشارة بديعة إلى كثرة ضيفانه فاليوم الذى يطرقه الضيف فيه لا يوجه إبله إلى المسارح حتى يأخذ حاجته منها واليوم الذى لا يطرقه فيه ضيف أو يكون غائبا تسرح إبله فى مراعيها ولكن أكثر أيامه يأتيه الضيفان فيها فلذلك كانت إبله قليلات المسارح وقد مرنت إبله على معرفة عادته فى إكرام الضيف وهى أن يضرب له المزهر ليطربه فإذا سمعن صوته أيقن أنهن هوالك بنحرهن للضيف الطارق فوصفته بالكرم وحسن الاستعداد ورقة المزاج لأنه يطرب ضيوفه بأصوات المزاهر وهى من آلات الطرب المشهورة عند العرب.

قالت الحادية عشرة: «زوجى أبو زرع فما أبو زرع ؟» وهو استفهام تريد به تعظيم شأنه وبيان أنه لا يقدر قدره وأنها مهما تبالغ فى الثناء عليه فلن تبلغ ما تريد من مدحه لعظمه وجلاله وسموه « أناس من حلى أذنى » أى ملأ أذنى من الحلى التى جرت عادة النساء أن يتحلين بها كالقرط والشنف «وملأ من شحم عضدىّ » لأنه أطعمنى أجود أنواع الأغذية التى سمن منها جسمى وهى لا تريد أن عضديها وحدهما هما اللذان سمنا واكتنزا باللحم وإنما تريد أن جسمها كله سمن وامتلأ شحما ولكنها اقتصرت على ذكر العضد لأنه إذا سمن فقد سمن سائر البدن وطراوة المرأة وسمنها تعرف من عضدها «وبجحنى فبجحت إلى نفسى» أى فرحنى وعظمنى ففرحت وعظمت إلى نفسى « وجدنى فى أهل غنيمة بشق » أى ناحية من الجبل كان أهلى يسكنون فيها بغنمهم لقلة وسعهم وضيق حالهم فانتشلنى من الفقر «فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق. فعنده أقول فلا أقبح» أى جعلنى غنية من أصحاب الخيل والإبل الكثير والزروع والثمار فصرت أستمتع بالثروة وأتلذذ بوفرة الخيرات ويسر المعيشة عندى وعظمت منزلتى عنده وارتفعت مكانتى فى عينه فكنت صاحبة الكلمة المسموعة والأمر المطاع.«وأرقد فأتصبح» أى أظل راقدة فى نوم هادئ إلى الصباح فأنام نوم الصبحة ولا أستيقظ مبكرة لأن عندى من يخدمنى ويكفل جميع شؤونى المنزلية «وأشرب فأتقنح» أى أروى بالشرب حتى لا أجد له مساغاً.

فأنت ترى أنها مدحته ووصفته بأنه متعها بكل صنوف النعيم التى يهواها قلب المرأة فمتعها بالحلى والغذاء الجيد الذى ربامته جسمها وعظمها حتى عظمت نفسها فى عينها وشعرت بكرامتها فى نفسها وأثنت عليه واعترفت له بالجميل إذ رفعها من حضيض الفقر إلى ذروة الغنى وهى كرائم أموال العرب فى العصور الماضية أى متعها بجميع أنواع المتع.

ثم أثنت على أمه بما لم يعهد من أخلاق النساء اللواتى يكرهن أحماءهن رغم ما أساء به إليها فى النهاية فقالت «أم أبى زرع فما أم أبى زرع؟ » وهو استفهام تريد به تعظيم شأنها «عكومها رداح» أى أحمالها التى تضع فيها أمتعتها عظيمة واسعة «وبيتها فساح» واسع فوصفت والدة زوجها بأنها واسعة البيت كثيرة الأثاث والرياش وافرة الثروة وذلك دليل على رغد عيشها.

وقد تبين مما تقدم الأوصاف المحمودة فى الرجال عند النساء والمذمومة فيهم عندهن وأن المحمود من الأوصاف المتقدمة هو الصفات المستحسنة عند ذوى العقول السليمة وقد تبين من وصف أم زرع لزوجها وأهله أن سمو آداب المرأة يمنعها من جحود فضل الرجل ولو أساء إليها .

والمقصود من ذكر حديث هؤلاء النسوة أن يقلع الرجال عن أمثال الصفات المذمومة المذكورة فيه وأن تعف النساء فى الكلام عن أزواجهن فى مجامعهن الخاصة وأدعو الله أن يصلح أحوالنا وأخلاقنا وأن يهدينا بالاقتداء بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

الرجل مسئول عن تدهور أخلاق المرأة

لقد رجع الباحثون جلهم بتدهور أخلاق المرأة إلى أسباب تتعلق بشخصها وأخلاقها ونشأتها وتكوينها وإن كان لطبيعة المرأة أثر فى أخلاقها فذلك بقدر الأثر الذى لطبيعة الرجل فى أخلاقه والإنسان حسبما تعود وحسبما نشأ فمن شب كريما شاب كريما ومن ربى على اللؤم صار لئيماً .

السبب الحقيقى لتدهور أخلاق المرأة هو تبلد طبع الرجل والرجل هو المسؤول الأول والمسؤول الأخير عما نشهده من مهازل اجتماعية خطيرة كادت تودى بكياننا وتفضى إلى ضياع قوميتنا وآدابنا كأمة شرقية مسلمة لها عاداتها الموروثة وأخلاقها الكريمة.

لقد جعل الله للرجل القوامة على المرأة إذ قال جل شأنه:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء : ٣٤]

ولقد كان الرجل فيما مضى يحسن القوامة على المرأة فيرعى حقها ويدبر أمرها ويحفظ شرفها ويصون عرضها ويحمى عفافها ويدفع عنها كل سوء وشر ويجلبها إلى كل خير ونعمة ويعمل على إسعادها فى الدنيا والآخرة محققا قولَ ﷺ:

« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم » (١) كان الرجل فى بيته كالوالى العادل ولاه الله أمر أهله فهو يعاملهم بالحزم والحسنى لا تخفى عليه خافية فى سلوك ولده أو ابنته التى لا تعرف الطريق إلا حيث تخرج معه ولا تختلط بأجنبى عنها ولا تجرؤ على التحدث مع الجار القريب ولا مع النازح البعيد.. هكذا كان سلوك الرجل فكان مصداقا لقول رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٤٥٠، ٤٧٢، و٥٢٧ والدارمى ٢/٣٢٣، وأبو داود (٤٦٨٢) وابن أبى الدنيا فى «العيال» (٦٥٨) والبزار ١/ ٢٧.

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ». [1] فى هذا الوقت كان الشرف محفوظا والعرض مصونا والأخلاق مقاما صرحها .

ولكن هكذا سنة الزمان.. تمضى الأجيال تعقبها الأجيال وتدول دول وتقوم أخرى قال تعالى:

﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٧]

انقضى ذلك الماضى بناسه وأسرع فى المضى بأهله وأظلنا بعده زمن أظلم فيه ليل الفتن وانطمست معالم السنين وهجر الناس الدين وطغى سيل المدنية الحديثة على ما بقى من أخلاق المسلمين فانحدرت بهم فى مهاوى الشهوات وأركستهم فى جحيم الضلالات وتطاير منها شرر الفساد فنجم بين الناس الإلحاد وذهبت منهم النخوة فانحازوا عن مسالك الشرف والعزة وأصبحوا صرعى على مذابح الهوان والذلة وفترت فى الرجل حدة الطبع وخمدت نار الحمية فتردى فى مهاوى الفسق والفجور وهان عليه أمر نفسه وأهله وهكذا فسد الراعى ففسدت الرعية.

ما كنا نرى فيما مضى رجلا ذهبت منه الغيرة الشرقية وانمحت فيه النخوة العربية يصطحب زوجه وأخته وابنته إلى المصطاف حيث يخلع الجميع لباس الحياء ويلبسون لباس الخزى والعار فتتجرد المرأة مما يستر فخذيها وصدرها وظهرها فى تلك المباءة مباءة التهتك الفاضح فيترك الرجل محارمه وذوات قرابته من النساء لاهيات لاعبات فاتنات مفتونات وينصرف إلى حيث امرأة أجنبية عنه يرميها ببذىء الكلام ويطارحها ساقط القول مما لا يخرج عن معنى الهيام والغرام تاركا عرضه ملكا مشاعا للجميع ونهبا مقسما فى يد كل غوى فاجر فهل رأيتم أقبح من هذا لا.. ورب العزة إنها لإباحية قذرة وبهيمية ساقطة.

ماذا تصنع الفتاة إذا وجدت فى أخيها الفتى شاباً خنثاً خلع جلباب الحياء والرجولة وتحلى بلباس الأنوثة فلم يعن إلا بتحليق وجهه وتزجيج حاجبيه وتلميع شعره وتنسيق ملابسه وتضييقها بحيث تلصق بالجسم وتصف التقاطيع ثم هو بعد ذلك يخرج من

(١) سبق تخريجه.

المنزل فى الصباح ليأوى إليه فى ساعة متأخرة من الليل وقد عاد ورائحة الخمر تنبعث من جوفه وعربدته تقلق الأهل والجيران؟ ثم ماذنبها وقد رأت فى أبيها رجلا ضعيفا يؤم البيت لينام؟ هل يرجى لفتاة هذه أسرتها أى صلاح؟ لا بد أن تهوى إلى الحضيض ولابد أن تفقد أعز ما تملك من شرف وعفاف بعد أن تجد من الحرية المطلقة مشجعا على الفساد وتجد فيها فسحة لتعانق الشبان وتراقص الرجال .

جرثومة الفساد تبدأ عملها فى الصيف حيث الحرية على الشواطئ وحيث الحرية خارج القطر فى أوروبا وغير أوروبا. فى خارج القطر تجد الفتاة التى أنشأها جو الخلاعة خلقاً آخر فيه إغراءوفيه فتنة وفيه مسايرة لنزوة الشباب فى هذا الجو من الإباحية المجرمة والحرية القاتلة التى ليس عليها فيها أى رقيب فيتسع أمامها مجال الاستهتار وتضعف أمام القوى التى تجذبها من كل ناحية فتزل قدمها وتهوى إلى حيث تراقص الإفرنج فى المراقص وتخاصرهم فى المنازه غير آبهة بقتل كرامتها وكرامة أمتها التى ابتليت بها وبمثيلاتها ثم تعود إلى بلادها فتنفث فيها سموم ما عرفته من تلك المخازى المهلكة والتقاليد الضارة لأنها وياللأسف من بنات الأسر الكبيرة وبنات الأسر الكبيرة أمثلة تحتذى عند بنات الأسر الصغيرة وهكذا ينتشر الوباء المهلك وباء المدنية الكاذبة المتبجحة المجرمة الفاجرة.

أما على الشواطئ المصرية وخصوصا الإسكندرية فهناك الخطر الداهم المحدق بكيان المجتمع المصرى بحر.. خضم تتلاطم أمواجه فيه الرجال وفيه النساء وفيه الشبان وفيه الفتيات وفيه الصبية الصغار من أولاد وبنات تحتك هذه بذاك وتصطدم هاتيك الفتاة بهذا الفتى وما هو الا اعتذار من هنا وقبول الاعتذار من هناك حتى يبدأ الابتسام يتلوه الكلام.

وهكذا يتم التعارف فى أقل من لمح البصر.. وعلى هذا المنوال ينقضى الصيف فتزل فيه كثيرات ثم يعود القوم إلى القاهرة فتستأنف العلاقة من جديد فى الملاهى والحدائق العامة وفى طرقات الضواحى فإن تمت العلاقة بالزواج كان زواجا فاسداً لا أساس له ولا استقرار فيه وإن انقطعت العلاقة جددتها مع شاب جديد وهكذا تنتقل الفتاة من أحضان هذا إلى أحضان ذاك حتى ينتهى بها الأمر حتما إلى ضياع شرفها فيسدل الستار على

فضيحة من تلك التى نسمع عنها كل يوم فى الصحف وفى المجلات .

وهناك مرض جديد يسمونه « المودرنزم » وأسميه أنا «التعصر» و«مجاراة الزمن» طغى هذا المرض على أخلاق النساء كما طغى على أخلاق الرجال فالمرأة تتهتك والرجل يسايرها بل هناك ضلال من الرجال ينشر على الناس آراءه ونرجوه سبحانه أن يبيد من بيننا خضراءه، يعمل جاهدا على هدم الأخلاق ومحو التقاليد وإفشاء الرذيلة بين الناس بالكتابة المبتذلة فى المجلات الماجنة التى تنشر القصص المثيرة والصور العارية وتستحسن أفعال المتهتكات وتصف الراقصات بأنهن آنسات مهذبات. هذه المجلات الماجنة تنخر فى جسم الأمة نخر السوس فى الجلد السليم فإن لم تبطش بها الحكومة ويعرض عنها الجمهور استفحل أمرها وزاد خطرها فمن ضحاياها ضعاف النفوس.

تقليد جديد فى الزواج عند ما تبلغ الفتاة سن الزواج تصبح شغل أبويها الشاغل فالأب لا يعرف شيئا عن البيت والأم تترك لفتاتها الحبل على الغارب تحادث من تشاء وهى من جانبها لا تفتأ تحدث الناس عن جمال ابنتها وأخلاقها حتى يمل الناس هذا الحديث وتحس الفتاة فى أبويها تلك الرغبة الملحة فى تزويجها وتراهما يتركان لها حرية واسعة النطاق حتى تتمكن من الحصول على زوج.. تستعمل هذه الحرية فى الخروج مع الشبان إلى الخلوات وغشيان دور اللهو معهم بمجرد أن يعدها هؤلاء بالزواج. وهكذا يظل الشاب بصحبة الفتاة وقد يكون صادقا فى وعده أو كاذبا فإن كان صادقا ولم يربطه بالفتاة إلا الوعد الشفوى فكثيرا ما يملها لأنه عرف عنها أشياء قد لا ترتاح إليها نفسه كماأنه يرى فى طيشها واندفاعها وحصوله عليها بكلمة ما يجعله يشك فى صلاحيتها لأن تكون زوجة مسؤولة عن بيتها وأولادها فلا تلبث نفسه أن تعافها ولايخسر فى هذا إلا الفتاة وأهلها أما ذو الوعد الكاذب فقد أغرته سهولة الحصول على الفتاة فزودها بالوعود الكاذبة لقضاء حاجة فى نفسه وهكذا تكون الضحية فى الحالتين هى الفتاة الساذجة والمسؤول هو الأب أولا والأم ثانيا .

علاج هذه الحالة أن يكون الرجال رجالا وأن يرجعوا فى معاملاتهم مع النساء إلى الأسس التى وضعها الدين الحنيف فيمنع اختلاط المرأة بالرجل منعا باتا حفظا للفضيلة وصيانة للأخلاق الكريمة قال رسول الله ﷺ:

«لا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو رحم محرم » (١)

كما قال عليه الصلاة والسلام «لا يخلون رجل وامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» (٢)

من هذه الأحاديث الشريفة ومن التجربة القاسية التى يمر بها القطر المصرى فى هذه الأيام ترون ان الاختلاط أصبح ضرره بليغاً والواجب على كل عاقل فى هذه الأمة أن يحاربه حتى تستأصل شأفته ولابد من أن يأتى اليوم قريبا يمنع فيه اختلاط الجنسين منعا باتا .. فلا نرى الجامعة المصرية (معهد تقويم الأخلاق) مكانا لإفساد الأخلاق ولا نجد من بين الطلاب من وقف جهده على التعرف إلى هذه وكيفية التحدث إلى تلك فينقضى العام وكأنه ما كان ويرسب الطالب المسكين فيملأ الدنيا ضجيجا محتجاً بصعوبة الامتحان ويعلم الله أن لا صعوبة هناك.. لئن كانت بعض الفتيات يقفن حجر عثرة فى سبيل نجاح شباب الأمة وجنود الوطن فقد وجب على أولى الأمر فى الجامعة أن يتدرعوا بالشجاعة ويقضوا على هذه البدعة الضارة.

إن أوروبا اليوم تئن من الرذيلة فيبذل رجال الحكم فيها قصارى جهدهم للقضاء عليها ففى ألمانيا حرم الهر هتلر أن تزين النساء وجوههن بالأصباغ فى الشوارع والمحلات العامة كما أوجد من الشرطة رجالا كل مهمتهم أن يصحبوا النساء إلى منازلهن عندما يمسى المساء كما أنه حتم على الرجال الزواج وشجعه بكل الطرق وفرض العقوبات الصارمة على من ترى من النساء متهتكة أو خارجة على حدود الحياء والحشمة ولهذا نجد ألمانيا قد نهضت فى فترة وجيزة من الزمن وأصبحت قوة لها أثرها فى أوروبا وقد فعل موسولينى مثل فعل هتلر لأن الأخلاق عماد الأمم وما فشت الرذيلة فى أمة إلا استكان أهلها وفسد حالها وبدلها الله من بعد عزها ذلاً قال تعالى:

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ [الإسراء : ١٦]

وأحب أن أختم حديثى بتوجيه الكلمة الأخيرة إلى أنصار الرذيلة وأصحاب المبادئ

(١) أخرجه البخارى ٢٥/٣و٥٦ وأحمد ٧١/٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٢٢/١ ، والترمذى (١١٧١) و(٢١٦٥)، والبيهقى فى « السنن » ٩١/٧، والحاكم ١١٤/١.

الهادمة الذين يحبذون الأدب المكشوف ويجاهرون بمذهب اللذة للذة وغيرها من العقائد الفاسدة التي توقعهم فيها رعونة الشباب وطموح الصبا. والأدب الصحيح هو ما ينم عن شعور سام ويترجم عن عاطفة نبيلة ويخدم أغراضا تعود على المجتمع بالسمو والرفعة فإن خدم الأدب غير تلك الأغراض فلا يسمى أدبا إنما يسمى تبذلا ويجب هنا أن أشير إلى أن أصحاب المبادئ الهادمة لا يعتنقونها في البداية حتى يتوبوا منها توبة نصوحا في النهاية لأنها مبادئ تودي بشباب الأمة وتسوقهم إلى الهاوية فتنهك أجسامهم وتقضي على أموالهم وتضعف فيهم قوة الإنتاج العقلية والجسدية وبالجملة فإنها تذهب الشباب وتسرع بصاحبها إلى الهرم والشيخوخة .

وما علينا لإصلاح ذلك الخطأ ودرء هذا الفساد إلا أن نرجع بالناس إلى تقاليدنا القومية وتعاليمنا الدينية وأن نعيد للفتاة المسلمة سيرتها الأولى ونعنى بتربيتها على آداب الدين ونحول بينها وبين ذلك التقليد الغربي المشين وأن يحتم على الرجل أن يحقق في نفسه معنى الرجولة فلا يخضع بالقول أمام المرأة في موضع يتطلب الحزم والشدة كما لا يقسو عليها حيث يطلب اللين والمروءة حتى لا ييئسها من عدله ورحمته وبذلك يمكن أن نستعيد مجد أمتنا ونسترد عزها وسلطانها. (١)

(١) «مجلة الإسلام» السنة الخامسة ، العدد ١٩ سنة ١٩٣٦ ص ٤٥.

مشاعر المرأة وأحاسيسها

لعل أول ما يجدربنا قبل الخوض فى هذا الموضوع أن تذكر مكانة المرأة عند العرب على وجه الإجمال فقد كانت المرأة تشغل جانبا كبيرا من الحياة العربية ولو أنها كانت مهينة الجانب فى الجاهلية يعتبرها بعض القبائل من سقط المتاع فقد كان يمكنها أن تدير دفة السياسة العربية ويرجع ذلك لرشادها وسلامة تفكيرها فى بعض الأحايين ومن ألقى نظرة بسيطة على تلك الحرب الشعواء حرب البسوس يجد السبب الأول هو المرأة وحدها لا غير فهذه هند بنت عتبة زوج أبى سفيان بن حرب لما حصلت وقعة بدر الكبرى وقتل عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد بن عتبة كانت هند تذكرهذه الفادحة الأليمة صباح مساء وتوقد فى نفوس قريش نار الحمية لقتال المسلمين ومازالت كذلك حتى حدثت غزوة أحد وقتل حمزة سيد الشهداء فمثلت به هند أشنع تمثيل وأتت بكبده فلاكتها تهدئ بذلك من نفسها وتسكن من ثورتها وتخفف من ألم الحزن الذى ملك عليها مشاعرها وأفقدها صوابها حتى صارت لا تشعر إلا بكبد مقروحة، ونفس معذبة لايطيب لها عيش ولا يهدأ لها بال إلابالانتقام ممن فجعها فى ذويها لتشفى علتها وتبرئ كلمها .

هذا وقد كانت المرأة دقيقة المشاعر رقيقة الإحساس ، ضعيفة الاحتمال ربما أودى الألم بحياتها فأسكنها القبور بعد القصور ولعل القصة التى أذكرها لك أيها القارئ الكريم كفيلة بصدق ما أقول فقد ذكر صاحب العقد من رواية الشيبانى قال:

كانت امرأة من هذيل وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام فهلكوا جميعاً فى الطاعون وكانت بنتاً لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته فنبت نباتاً حسنا كأنما يمد بناصيته وبلغ فزوجته وأخذت فى جهازه حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله فلم تشق لها جيبا ولم تدمع لها عين فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه فأكبت عليه ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت:

ألا تــلــك المســـــرة لا تـــدوم ولا يبقى على الدهـــر النعـيم
ولا يـبـقـى عـلـى الحـدثان عُـفر بشـــــاهـقـه لـــه أم رؤوم

ثم أكبت عليه أخرى فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا.

وقيل لإعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك! قالت : إن فقدى إياه آمننى كل فقد سواه إن مصيبتى له هونت على المصائب بعده ثم أنشأت تقول:

مـــــن شاء بعـــــدك فلـيمت فـــعلـيك كـــنـــت أحـــاذر
كنـــت السـواد لـــــناظـــرى فعـــمى عليـــك الـــنــاظر
ليـــت المنــــاظر والـــــديـــار حــفــائر ومـقــابـــــر
إنـــــى وغــيرى لا مـــحــالـــة حيـث صـــرت لصـــائـــر

فهذه امرأة جعلت كل مصيبة تتلاشى أمام فجيعتها بفلذة كبدها وصورت حياتها بأنها أصبحت تسبح فى دياجير الظلمات وتمنت الديار والمنازل حفائر وقبورا ظنا منها أن نعيم الحياة مع تلك العيشة النكداء التعسة من الهوان بمكان .

ويروى أن امرأة صالحة من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم مات عنها زوجها وترك لها ولدا صغيرا وخلف لهما ثروة ضئيلة لا تسمن ولا تغنى من جوع فلما كبر الغلام وتربى تربية دينية إسلامية كان من أبر الناس بأمه فكانت لا تشتهى شيئا إلا جد فى الحصول عليه لينال رضاها وبعد مدة يسيرة احتضر الولد وأسلم الروح لخالقها فقامت إليه بقلب ثابت وجنان عامر باليقين والإيمان وسجته فى بردته وأدارته إلى القبلة ثم قابلت المصيبة بقولها: يابنى.. غذوتك رضيعا وفقدتك سريعا وقد كنت بى بارا ولربك طائعا ولو بقى أحد لأحد لبقى النبى محمد ﷺ لأمته فقد كانت الأمة الإسلامية فى أشد الحاجة إلى رسولها ولكن هذا قضاء الله لا مفر منه ولا محيص عنه ولكل أجل كتاب وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذهب إلى ربك راضيا مرضيا قرير عين فى جنة النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

فهذه امرأة هذبها الإسلام وأدبها الدين بأدبه الحكيم فقابلت مصابها فى وحيدها

بالترحاب والرضى مادام كل شئ بقضاء الله وقدره.

وهل أتاك نبأ أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين حينما جاءها ابنها عبد الله ابن الزبير يعلمها أن الهزيمة آتية لا ريب فيها وكان الحجاج يقاتله بأمر الخليفة عبدالملك بن مروان، فأشارت عليه بقولها: إذا كنت مؤمنا بأنك على الحق فقاتل حتى تقتل فقال : أخشى أن يمثلوا بى. فقالت: يابنى إن الشاة إذا ذبحت لا تتألم لسلخها. وكان أن قاتل حتى قتل وصلبه الحجاج على الكعبة وأقسم ألا ينزله حتى يشفع فيه أحد من أهله فخرجت أمه أسماء وأشارت إلى ابنها المصلوب وقالت : أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟ فخجل الحجاج وعدها شفاعة مقبولة.

فهذا هو لقاء الخطب عند المؤمنات الصابرات ولم يكن من ذلك ما يقوم به نساء عصرنا هذا من الولولة على فقد الأبناء ولا غرابة فأسماء بنت أبى بكر الصديق وزوج الزبير حوارى رسول الله ﷺ. هذا هو مقدار تفجع المرأة المسلمة على فقد بنيها ولعل فيما ذكرت بعض الغناء .

البكاء على الميت من الجاهلية

يدل على أن الميت يعذب بسبب نواح أهله عليه أو استحضارهم للنائحة وهى المرأة التى تندب الميت بألفاظ جاهلية كقولها « ياعزى وياجملى و.... إلخ »

فهو على حد ما جاء فى الصحيح أيضا قال رسول الله ﷺ: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله» (١) لكن البكاء الخالى من هذه الألفاظ لا شىء فيه كما سنبينه والظاهر أن البكاء غير النواح لأن البكاء قد يكون مجردا من الألفاظ أما النواح فبكاء يصحبه ألفاظ تدل على السخط على القضاء غالبا مع رفع الصوت لذلك كان ظاهر الحديث يدل على تعذيب الميت بهذا النواح ومهما يكن من شىء فالحديث مشكل لأن الميت لا ذنب له بما يفعله أهله حتى يعذب به وقد قضى الله تعالى بقوله:

﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [النجم : ٣٨]

فكيف يسوغ تعذيب إنسان فارق الدنيا بفعل إنسان آخر حى؟ قال العلامة العارف بالله محيى الدين النووى صاحب كتاب رياض الصالحين:

«باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة: أما النياحة فحرام وأما البكاء فجاءت أحاديث النهى عنه وأن الميت ليعذب ببكاء أهله وهى متأولة محمولة على من أوصى به والنهى إنما هو عن البكاء الذى فيه ندب أو نياحة والدليل على جواز البكاء بغير ندب ولا نياحة أحاديث كثيرة. منها: عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهم فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال « ألا تسمعون : إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا لو يرخم وأشار الى لسانه » (٢)

---

(١) أخرجه البخارى ١٠١/٢ و٩٨/٥، ومسلم (الجنائز) ١٦ و١٨و١٩، والنسائى ١٧/٤، وأبو داود (٣١٢٩) وأحمد ٤١/١ و٤٢ و٤٥ و٥٤.

(٢) أخرجه البخارى١٠٦/٢ ومسلم (الجنائز) ١٢ والبيهقى فى « السنن » ٦٩/٤، والبغوى فى « شرح السنة » ٤٢٩/٥، والكحال ١٣٨/٢.

متفق عليه وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يارسول الله؟ قال «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده الرحماء» (1) متفق عليه وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضى الله عنه وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان الدمع فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يارسول الله؟ فقال له «يابن عوف: إنها الرحمة. ثم اتبعها بأخرى فقال إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (2) رواه البخارى وروى بعضه مسلم والأحاديث فى الباب كثيرة فى الصحيح مشهورة.

فحزن القلب والبكاء السالم من النواح والندب والعويل لا شىء فيهما لأن الفطرة طبعت على ذلك ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها لذلك لم ينهنا الله عن الحزن ولا الدموع تنساب لفقد الأعزاء لأن ذلك فوق طاقتنا وإنما نهانا عن الجزع والهلع وشق الجيوب ولطم الخدود والتلفظ بما يشبه كلام الجاهلية مما يتنافى مع روح الإسلام والتسليم للقضاء ولذلك لعن رسول الله ﷺ وسلم النائحة والمستمعة وقال «إنها تجىء يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» وتبرأ ممن لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

لكن الذى اختاره ابن جرير الطبرى والقاضى عياض وجمع من المحققين فى دفع الإشكال الوارد على الحديث من أن الإنسان لا يؤاخذ إلا بما قدمت يداه فكيف يعذب الميت بفعل غيره؟ هو أن المراد بالعذاب التألم بحسب الفطرة لا العذاب الحقيقى وذلك أن الأرواح بعد انتقالها إلى عالمها الثانى لها إحساس واطلاع على ما يحصل من ذويها وأحوالهم فى الدنيا فإذا رأتهم يبكون ويصيحون ويندبون تألمت لذلك كما لو كانت فى حال الحياة الدنيا فهذا التألم الذى تثيره الفطرة الإنسانية إذا رأى الإنسان أحداً من أهله يبكى يضجر، هو بعينه الذى يحصل للميت عندما يرى أهله يندبون وينوحون وقد

(1) أخرجه البخارى ٢/١٠٠ و٧/١٥٢ و٨/١٦٧و٩/١٤١ ومسلم (الجنائز) ١١، وأحمد ١/٢٦٨ و٥/٢٠٤، وعبد الرزاق (٦٦٧٠) وغيرهم.

(2) أخرجه البخارى ٢/١٠٥ والتبريزى فى «مشكاة المصابيح» (١٧٢٢).

يضاعف هذا التألم تأنيب الملائكة له بما يقوله أهله فيه ويشير إلى ذلك ما رواه البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال « أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى وتقول واجبلاه وكذا وكذا تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لى كنت كذا فلما مات لم تبك عليه».

فالميت فى الواقع ونفس الأمر وهو فى حياته البرزخية يحس أو يطلعه الله تعالى على أحوال أهله وما يفعلون فإن رأى منهم ما يتأذى منه لو كان حياً تألم منه كما لو كان حياً وعلى هذا التأويل يحمل قول سيدنا عمر بعد أن ضرب النائحة وقال إنها تؤذى موتاكم فى قبورهم فقد ورد أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة فضربهاحتى سقط خمارها وقال اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها إنها لا تبكى لشجوكم إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم وإنها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم.. إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

وفى الحق أن وقع مصيبة الموت لم يصب سوى قلب الأم والأب أما قلب الأقارب والأهل والأصدقاء فحزنهم أوبكاؤهم إن تعدى المألوف فهو مصنوع وخير للآباء والأمهات أن يترجعوا ويحتسبوا ويصبروا فهذه بنت رسول الله ﷺ وفلذة كبده ترسل إليه أن ابنها فى الموت فيقول ﷺ للرسول « ارجع إليها فأخبرها أن له ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب» (١) وورد أن من قال « إن لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها» آجره الله وأخلف له خيراً منها ويكفى قوله تعالى:

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر : ١٠]

ولكن مصيبتنا فى هذا الزمان من النساء وصدق رسول الله فإنه قال « ما تركت فتنة بعدى هى أضر على الرجال من النساء ». (٢)

(١) أخرجه مسلم (الجنائز) ١١ ، والحاكم ١١٨/٢.

(٢) سبق تخريجه.

يموت الولد فتجزع الأم وتمزق الثياب وتحلق الشعر وتملأ الدنيا صياحا وعويلاً وتستأجر النائحات وصحبتهن طبولهن وتتوافد عليها النساء من الحي ولهن غرام بالرقص وهز الأرداف حتى في الموت وتفرض المرأة على الرجل المسكين المهزوم أن يأتي بالموسيقى ورجال المباخر ومن على شاكلتهم من مرتزقة المآتم ثم ما وراء ذلك من سرادقات وفقهاء وطباخين وفراشين وتقيم حرباً شعواء زمنا طويلا لا ثلاثة أيام بل إلى الأربعين كل يوم تحضر حبائل الشيطان والنائحة وتقول هذه والبقية يرددن وتنبعث صيحاتهن المزعجة ويقمن إلى ضرب من الرقص على نغمة الطبل والإنشاد يسمونه ندباً أشواطاً أشواطاً وهكذا تقام مآسي الجاهلية في أفظع صورها فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وإذا لم يفعل ذلك فالميت «فطيس» في نظر الدهماء فحسابهم على الله لو يشعرون.

فينبغي الإقلاع عن هذه العادات والاقتصار على ماورد في ذلك، قال الله تعالى:

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ﴾

[الحشر: ٧].

خروج النساء إلى المقابر

ومن منكرات البدع ومحدثات الأمور ومستكره العادات ومستبشع الأعمال خروج النساء إلى المقابر تلك البدعة الوخيمة اللئيمة الذميمة التى يئن لها الشرع أنين المريض ويبكى منها الدين بكاء الثكلى ويرثى لها الإسلام رثاء الولهى ويود من أعماق قلبه أن لوقام أحد أبنائه البررة فقضى عليها القضاء الأخير وأبادها الإبادة المبرمة واستأصل شأفتها واجتث جرثومتها واقتلع جذورها وقتلها تقتيلا ونكل بها تنكيلاً .

تلك هى التى يخرج النساء إليها أفواجاً وفرادى وزرافات ووحدانا فى يومى الخميس والجمعة وعليهن ثياب شفافة يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها، وفوقهن مصاغات وجواهر كأنهن ذاهبات إلى أعراس لا إلى أموات يذهبن إليها وقد أفرغن على أجسامهن القوارير من المسك والمقادير من الصندل والقرنفل والعود وما إلى ذلك من كل لافت وفاتن وجذاب وأخاذ ولا تسأل عن مساحيق الوجه واليدين وأصباغ الشعر وأشباهه مما فيه تغيير خلق الله ومسخ ما أبدعته يد الخالق المبدع. تقصد المرأة المقبرة مزهوة مسرورة مغتبطة شاعرة بجمالها ولم تعلم أنه مزيف محسة بحسنها ولم تدر أنه مصنوع زاعمة أنها جميلة وفاتها أنها خضراء الدمن مختالة بنفسها ولم يدر برأسها أن بين الموتى من كانت تفوقها حسنا ورقة ورشاقة وظرفا ولم تفكر فتعتبر أن هؤلاء كن أحياء بالأمس وممتلئات غضارة ونضارة وبهجة قد قصف المنون أغصانهن وزوجهن فى غياهب الرمس والخطر والفتنة كل الفتنة مبيتهن فى المقابر ليالى الأعياد والمواسم وإيقاد الشموع والتزود بالزاد وذبح الذبائح وتلطيخ القبور بدمائها مما لم يعهد ولم يسمع بمثله إلا أيام الوثنية وفى أزمان الجاهلية.

شىء والله يقشعر منه البدن وتشمئز له النفس وتتقزز منه الجوارح وناهيك بما يحصل هناك من اختلاط النساء بالرجال وما يتبعه من النظر المحرم والكلام المحرم وما يتبعه من الابتسام المحرم والموعد المحرم واللقاء المحرم وما يجر وراءه من الإثم والفواحش والمنكر والقبائح التى لم يحلها دين قط ولم تبحها شريعة ألبتة فكأن الرجال صم بكم عمى قال تعالى :

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [النور : ٣٠]

وكأن في آذان النساء وقرا من قوله جل شأنه:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ [النور : ٣١]

لا بل كأن الجميع في ضلال مبين قال تعالى:

﴿ الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور : ٣]

أجل هم بعيدون عن كل ذلك كل البعد بل ولا يتذوقون لشيء من ذلك طعما بل ولا يدركون له لذة ولا أكون مغاليا إذا قلت إنهم لم يسمعوا بشيء يسمى كتاب الله تعالى ولا بشيء يدعى سنة رسول الله ﷺ وإن قوما كأولئك اجترحوا السيئات واقترفوا الآثام والموبقات وأحلوا ما حرم الله لجدير بنا أهل الدين أن نشن عليهم غارة شعواء ونعلن عليهم حربا عوانا ونحمل عليهم حملة نارية حامية الوطيس شديدة اللهب.

وناهيك أيضا بما يكون هنالك من ندب ونياحة وصياح وجلبة فلا تكاد تسمع صائحة حتى ترى بجانبها نائحة ولا توشك ترى لاطمة حتى تنظر بجوارها منتحبة صارخة ولا تفتأ تغادر نساء يغازلن الرجال ورجالا يغازلون النساء في غير ما خجل ولا اعتبار ولا عظمة ولا استحياء، فهناك ترى المتناقضات وتلمس المتباينات وترى وتسمع كل المستغربات وهناك ترى المدافن وكأنها بيوت لهو ومجون والأحواش وكأنها بؤر فساد وفاحشة هناك ترى وترى شيئا عجبا وأمرا منكرا ولعمرى إن خروج النساء بهذه الصفة المؤسفة والحالة المضنية المدمية لخروج على آبائهن وخروج على أزواجهن وخروج على إخوتهن وخروج على الإسلام والمسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. يتعللن بأنهن يخرجن كي يتصدقن على موتاهن وما عليهن لو تصدقن في منازلهن وماذا عليهن إذا أحضرن الفقراء في بيوتهن فقرءوا وأخذوا الصدقة.. من ذا الذي قال لهن إن الصدقة لا تقبل في بيوتكن وإنما تقبل في المقبرة ؟ الواقع أننا إذا حللنا تلك العلة كما يجب لألفيناها تطير في الفضاء وتذهب مع الهواء إذ العلة كل

العلة أن يخرجن لشهوات تقضى وملذات تعطى ومآرب تنال وأوطار تحصل، يخرجن فى زينتهن وتبرجهن واحتكاك بعضهن ببعض احتكاكاً كاً مؤديا إلى الفساد وصلا إلى الخيبة والخراب والإتلاف وحسبك أن المرأة إذا احتكت بزميلتها متحلية بالثياب متجملة بأنواع الزخرف وألوان الحلية علت مراجل الحقد فى صدرها وآبت إلى زوجها غاضبة متبرمة مغيظة محنقة ناشزة ساخطة فتطلب إليه مالا طاقة له باحتماله وتكلفه ما ليس بوسعه وما لا قبل له به إلى غير ذلك مما يكل عنه القلم ويجف دونه المداد ويذوب عنده العقل والفكر، والتبعة كما ذكرت فى المقال السالف ملقاة على عاتق الحكومة أيضا فلو رابط جندى من جنودها خلال هذه الأيام أمام كل طريق موصل إلى القرافة يرد من تريد الوصول إليها ويمنع من تبغى الحصول عليها، وليثبت الحال كذلك شهرا كاملا لنسى النساء المقابر بل وخفن الذهاب إليها وخشين المقابر وسيرة المقابر ومن فى المقابر وتسلين عنها واستحالت حالهن إلى أحسن حال وأصبحت المقابر لديهن مكانا مخوفاً ومحلا مملوءا بالأشواك بل وأمست نسيا منسياً فلله درهم من أناس عملوا بالشرع حقا وأحسنوا العمل تماماً .

خروج النساء خلف الجنائز

تخرج النساء خلف الجنائز مولولات معولات صائحات نائحات نادبات صاخبات فى مشهد حافل وموكب جامع راجلات أو راكبات حتى يصلن إلى المقبرة فى منظر مضحك ومخجل ومرأى مخز مزر وحالة تثير العجب وتبعث على الدهش مما يجعل الأجانب منا يسخرون وبنا يستهزئون وديننا يحقرون وعنا ينقلون إلى بلادهم صورة خبيثة خسيسة وعن ديننا القيم يحملون تمثالاً مشوهاً دنيئاً رديئاً ـ والدين براء مما يظنون.

وياليتهن يقفن عند هذا الحد بل يفعلن ما هو أفظع وأشنع يلطمن خدودهن وربما كان مع العلم وما إلى ذلك ويشققن جلابيبهن ويمزقن ملابس الميت ويلطخن باب منزله بشىء مما يلطخن به وجوههن ويدعون بدعوى الجاهلية الأولى ويستأجرن النادبات الكاذبات اللواتى يقلن منكرا من القول وزوراً ويمثلن أدواراً ما أنزل الله بها من سلطان ويجثن على محاجرهن بدمع كاذب ويلبثن فى تلك المناحة أربعين ليلة إن كان الفقيد عزيزا أو أقل من ذلك إن كان غير ذلك سبحانك ربى هذا بهتان عظيم .وليت شعرى عن أى عهد ورثن تلك الفعال الشنيعة ومن أى شعب تسربت إليهن أولئك العوائد الوخيمة الوبيلة الفظيعة اللهم إلا ما يرويه بعض أساتذة التاريخ لنا أثناء الدرس من أنها عدوى متوارثة نقلت إلينا من المصريين القدماء فقد عثر فى مصر على بعض أحجار أثرية فيها نقوش وتماثيل تمثل أسراب النساء فى عويلهن ونحيبهن وسيرهن وراء الموتى وتلطيخ وجوههن بما سلف ذكره فالعجب كيف أدركتنا هذه العدوى وكيف لحقنا ذلك الوباء وكيف وصل إلينا ذاك المرض؟ والأزمان متوغلة فى البعد والسنون لأنهم كانوا فى جهالة جهلاء وضلالة عمياء وجو أكلف وليل أغدف. كانوا فى جاهليتهم الأولى وعمايتهم الفطرية كانوا فى القرن الأربعين والخمسين قبل الميلاد.

فلهم هذا وأنكى من هذا وها نحن أولاء أبناء القرن العشرين قرن النور والحضارةوالتقدم فى كل شىء والنبوغ فى كل شىء أنقلدهم فيما فعلوا ونحاكيهم فيما عملوا ونقتفى أثرهم فما صنعوا ونرجع إلى الوراء أجيالاً متطاولة وأحقابا سحيقة

ونقول إنا مجددون لا رجعيون كلا والله إنا لرجعيون بكل حروف الكلمة تفعل نساؤنا ذلك المنكر ونحن عنهن ساهون لاهون يفعلن تلك الخبائث ونحن عن فعلهن غافلون وعن صنيعهن متغاضون وبعملهن راضون لهذا وذاك وأولئك كانت التبعةملقاة على عواتقنا نحن أيها الآباء والأزواج والإخوة إذ لم نضرب على أيديهن ولم نأخذهن بالحزم والشدة،وإذ لم نلزمهن حدود الأدب والدين والخلق ولم نربهن على آداب الحنيفية السمحة ونبينا صلوات الله وسلامه عليه يقول:

« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »[1]

صدق رسول الله .

فإلى متى هذا الداء المستفحل المتفاقم الذى عم البلاد والعباد وأهلك الضرع والزرع وأتى على الطريف والتليد .

---

(١) أخرجه البيهقى فى« السنن » ٦٤/٤ ، وابن أبى شيبة ٢٨٩/٣ ، وأبو نعيم فى « الحلية » ٣٩/٥ وابن عدى ٣٣٤/١ .

وأخرجه بلفظ : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب » البخارى ١٠٣/٢ و١٠٤ و٢٢٣/٤ ومسلم (الإيمان) ب٤٤ رقم ١٦٥ وأحمد ٣٨٦/١ و٤٤٢ و٤٦٥ والبيهقى فى « السنن » ٦٣/٤ والبغوى فى «شرح السنة » ٤٣٦/٥ ، وابن أبى شيبة ٢٨٩/٣ وغيرهم.

زيارة النساء للمقابر

عن ابن عباس قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ،والمتخذين عليها المساجد والسُّرج »[(١)]

قال العلامة البركوى : كل ما قال فيه رسول الله ﷺ « لعن .. فهو من الكبائر » إذن فحرام على النساء زيارةالمقابر وحرام اتخاذها مساجد بحيث يصلى عندها وإليها وحرام إيقاد السراج عليها كالشمع والقناديل ونحوها وإنما نهى رسول الله ﷺ عن هذه الأمور وشدد فى النهى إذ لعن من يفعلها لما يترتب عليها من بدع ومفاسد قد لا تقف عند حد كما شاع فى هذا الزمن .

أما النساء فقد اتخذت زيارة القبور وبخاصة فى مثل «طلعة رجب» وغيرها من أيام المواسم والأعياد فرصة للخلاعةوالزينة والتبرج الممقوت فترى الواحدة منهن تفتن فى زينتها وهى خارجة إلى المقبرة كأنها عروس تزف إلى زوجها ـ ولم يقتصر الأمر على الطبقة العليا منهن بل تعداه إلى الطبقتين الوسطى والدنيا وإن أردت المشاهدة ـ ولا أحب لك ذلك ـ فقف فى طريق المقبرة من عصر الجمعة القادمة فسترى رتلا من السيارات وأكداساً من العربات متلاحقة وقد أُخذت الزاد والآنية وهناك بين أجداث الموتى وأحضان القبور تنصب سوق .. ولا عكاظ، فهذا جالس فوق القبر وذلك يقضى حاجته وهؤلاء يأكلون ويشربون ويمرحون ويطربون، وهذان يتناجيان فى خلوة وأولئك يسخون ويفرشون وشراذم من الفساق يغدون ويروحون وفئات من المرتزقة يشحذون بكتاب الله ويلحنون وهكذا يختلط الحابل بالنابل وتقاد السرج والأضواء وتهجر البيوت إلى دنيا الآخرة لا للتراحم لموتاهم ولا للاتعاظ بما صاروا إليه ولكن إلى المخازى والفضائح التى لا تسمح بها سوق الحياء حيث عين الرقيب الحسيب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذى (٣٢٠) ،والنسائى ٩٥/٤، وأحمد ٢٢٩/١ و٢٨٧، وابن حبان فى «موارد الظمآن » (٧٨٨) وغيرهم .

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول ﷺ قال « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » (١)

وفى سنن ابن ماجة بإسناد جيد أن رسول الله ﷺ قال:

« لأن أمشى على جمرة أو ضيف أو أخصف نعلى برجلى أحب إلى من أن أمشى على قبر » (٢)

فانظر هذا مع ما يرتكب هناك من الجلوس فوق المقابر والتبول عليها ولغط حبائل الشيطان بفنون القول مما يغضب الرحمن حتى تدرك حكمة المصطفى ﷺ فى لعنه زائرات القبور وتحريمه الزيارة على النساء فقط لاعلى الرجال يشير إليه مفهوم الحديث ومنطوقه فقد انصب اللعن على الزائرات فقط لا على الزائرين .

وقد رخص رسول الله ﷺ للرجال فى زيارة القبور فقال: « زوروا القبور فإنها تذكر بالموت » (٣). نعم كان النهى أولا عاما للرجال والنساء لحديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر بالآخرة » (٤)

ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء والحكمة فى النهى العام أولا عن زيارة القبور أن منشأ عبادة الأصنام كان من جهة القبور كما حصل فى قوم نوح عليه السلام فلأجل ذلك نهى النبى ﷺ أصحابه فى صدر الإسلام عن زيارتها سداً لذريعة الشرك لكونهم حديثى عهد بكفر ثم لما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن للرجال فى زيارتها وعلمهم كيفيتها تارة بفعله وتارة بقوله ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٨٩/٢ ومسلم (الجنائز) ب ٣٣ رقم ٩٦ وأبو داود (٣٢٢٨) وابن ماجة (١٥٦٦) وغيرهم .

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٥٦٧) والألبانى فى « إرواء الغليل » ١٠٢/١ .

(٣) أخرجه مسلم (الجنائز) ب ٣٦ رقم ١٠٨ ، و أبو داود (١٠٠) والترمذى (١٠٠) والنسائى وابن ماجة (١٥٦٩) و(١٥٧٢) وأحمد ٤٤١/٢ .

(٤) أخرجه الحاكم ٣٧٦/١ والبخارى فى « التاريخ الكبير » ٢٨٧/٢ و٢٤٧/٦ .

«السلام عليكم أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن على الأثر» (١) وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: « السلام عليكم يأهل الديار من المسلمين والمؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا السلف ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية » (٢) فمن هنا علمت مشروعية الزيارة للرجال وأما النساء فالزيارة لهن غير مشروعة بحال من الأحوال لما علمته من المفاسد التى تترتب على خروجهن وقد خلقن من ضلع أعوج وناقصات عقلا ودينا.

رأى رسول الله ﷺ وسلم نساء يتبعن جنازة فقال لهن: « هل تغسلن ؟ قلن : لا : قال هل تحملن؟ قلن : لا : قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن : لا : قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات » . (٣)

فمن العلماء من حرم زيارتهن للمقابر مطلقاً ومنه من فصل بين الشابة والعجوز ولكن صاحب المدخل رحمه الله قال: إنما الخلاف فى نساء ذلك الزمان وكن على ما يعلم من عادتهن فى الاتباع وأما خروجهن فى هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أوغيره فى الدين بجواز ذلك فإن وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على ما يعلم فى الشرع من الستر لا على ما يعلم من عادتهن الذميمة فى هذا الزمان ونحن نقول هذا فى زمان ابن الحاج صاحب المدخل وقد كانت لا تزال بقية من الحياء أما فى زماننا نحن فقد طفح الكيل واستغاث الدين وتألمت الفضيلة والإنسانية من فظائع النساء وقله حيائهن وجهلهن بالدين وآدابه وتعاليمه فلم يعد ثمة مبرر لخروجهن فكيف بزيارتهن للقبور اللهم إن التبعةواقعة على أعناق الرجال الذين تساهلوا مع المرأة حتى تمردت على ما خلقت لأجله وأصبحت تسير حسب

(١) أخرجه مسلم (الجنائز) ١٠٤ ، والنسائى (الجنائز)ب١٠٢ ، و ابن ماجة (١٥٤٧)، وأحمد ٣٥٣/٥ و٣٦٠ والبيهقى ٧٩/٤.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٣٢/١ و٣٤٠/٣، والزبيدى فى « الإتحاف » ٣٦٤/١٠، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (١٦٦).

(٣) أخرجه ابن ماجة (١٥٧٨)، والبيهقى فى « السنن ٧٧/٤ و١٧٦/٦ والبغوى فى « شرح السنة » ٤٦٥/٥ و٢٩٦/٨ .

مشيئتها وتفرض على الزوج ما تريد ـ مما يخالف الأدب والدين ـ فلا يجد لغير الإذعان سبيلا!!

فعلم مما تقدم أن زيارة المقابر تنقسم إلى قسمين: زيارةشرعية وهى زيارة الرجال بشرط أن تكون على حد السنة وكما علمنا رسول الله ﷺ نذهب إلى هناك فنسلم على الموتى أولا ثم ندعو لهم بالدعاء الوارد ونسأل الله لنا ولهم العافية والمغفرة وهى بذلك إحسان إلى الزائر وإلى المزور أما الزائر فلمتابعته السنة وحصول الثواب له وتذكرة الآخرة وإيقانه أنه لا محالة صائر إلى ما صاروا إليه فيأخذ فى العمل لدار البقاء.

كان الربيع بن حيثم رحمه الله إذا وجد غفلة خرج إلى القبور وبكى وقال: كنا وكنتم ثم يحيى الليل كله فيصبح كأنه نشر من قبره. وإحسان إلى المزور وهو الميت للسلام عليه والدعاء له بالمغفرة والرحمة والعافية ولا شك أن الدعاء ينفع الميت بلا خلاف بين العلماء لما جاء فى الحديث قال « أو ولد صالح يدعو له بعد موته » (١) ولفعله عليه الصلاة والسلام وتعليمه الأمة.

وزيارة بدعية محرمةوهى زيارة النساء لما علمت من المفاسد والشرور التى تترتب على زيارتهن والرجل الذى يبيح لامرأته الخروج شريك لها فى الإثم ومسئول أمام الله عن تفريطه فى دينه وتهاونه فى عرضه وفى الحديث: « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل فى أهل بيته » (٢)

هذا ما يتعلق بالزيارة وأما اتخاذ المساجد إلى القبر أو عليه فهو منهى عنه أيضا نهى تحريم لما يترتب عليه من المفاسد لأن معنى اتخاذ المسجد على القبور جعلها قبلة يسجد إليها فأشبهت الوثن ـ والإسلام إنماجاء ليجتث عبادة الأصنام من جذورها أو معنى اتخاذ المسجد على القبور بناؤه عليها وهو منهى عنه أيضا لأنه يؤدى الصلاة فوق الميت وكسر عظامه ميتا ككسر عظامه حياً وللأموات حرمة يجب مراعاتها وهذا يؤدى إلى انتهاكها ولذلك رأى بعض كبار علمائنا المعاصرين كراهة الزيارة حتى للرجال لأنها مدعاة إلى المشى على القبور مهما تحفظ وكأن أرض المقبرة كما قال المعرى :

خفف الوطء ما أظن أديم ... الأرض إلا من هذه الأجساد

---

(١) أخرجه الترمذى (١٣٧٦)، وابن أبى الدنيا فى «العيال» (٦١٢).

(٢) أخرجه الترمذى (١٧٠٥)، وابن حبان فى «موارد الظمآن» (١٥٦٢)، وأبو نعيم فى «الحلية» ٦/ ٢٨١ والنسائى فى « عشرة النساء » (٢٩٢) و(٢٩٣)، وابن عدى ١/ ٣٠٧ وغيرهم .

المرأة وعودة إلى الجاهلية الأولى

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »[1] رواه الشيخان.

كانت النساء في الجاهلية إذا نزلت مصيبة الموت فمن يجاهرن الله بالعصيان وينادين بالويل والثبور وعظائم الأمور فيهتكن الستور ويحلقن الشعور ويخمشن الوجوه وينظمن الحداد والنواح سنين طويلة وقد يقضين أعمارهن في ذلك إذا كان الميت عزيزا أو عظيما ويقال إن لبيداً الشاعر لما حضرته الوفاة وصى بنتيه أن يقتصرا على عام واحد فى البكاء عليه وتعداد مآثره بشرط ألا يحلقا شعراً ولا يخمشا وجها وقد عد بذلك رحيما.

وكانت المرأة العربية إذا مات زوجها لبست أخلق الثياب واعتزلت فى أقذر مكان من البيت عاما كاملا تبكي وتولول، أما الرجال فكانوا يرون الحداد والبكاء عاراً لهم فيأنفون منه ويقدسونه فى المرأة حتى قال الشاعر:

خلقنا رجالا للتجلد والأسى   وتلك الغوانى للبكا والمآيم

فلما جاء الإسلام قطع دابر هذه العوائد الكريهة وحرم على النساء الندب والعويل وخمش الوجوه وحلق الشعور وتمزيق الثياب وتسخيم الوجوه بالنيلة وأمثالها والخروج مع الجنائز وأمر الرجال والنساء جميعا بعدم الجزع والهلع عند وقوع المصائب ومقابلة قضاء الله وقدره بالرضا والتسليم وبأن يقول المؤمن إنا لله وإنا إليه راجعون ـ إن لله ما أخذ وله ما أعطى، فإن ذلك مما يخفف وقع المصيبة على النفس ويورث الصبر والاحتساب واليقين.

وها هو ذا صاحب الشرع ﷺ يتبرأ من كل من يلطم وجهه أو يمزق ثوبه أو يدعو بدعوى الجاهلية فيقول وا والداه ـ واسبعاه ـ واجبلاه وأمثال هذه الألفاظ التى هى اعتراض على القضاء والقدر. فيقول ﷺ « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وقال تعالى:

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ۞ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [الحديد :٢٢ـ ٢٣]

ولا شك أن المؤمن متى تيقن ذلك لن يندم ولن يجزع على مافاته ندم القانط اليائس من رحمة الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون كما أنه إذا أصابه خير علم أنه من الله تعالى وبتوفيقه فيفرح به فرح الشاكر لمن أنعم الله عليه لا فرح المختال الفخور الذى يزعم أن ما وصل إليه إنما هو من مهارته وكده، فالفرح من الغرائز الفطرية فى تكوين البشر لا يمكن للإنسان أن يتخلى عنها ولكن يجب أن يكون بمقدار ما أمرنا الله به فى هذه الآية الشريفة ومن هذا نعلم ان النهى فى الحديث إنما هو عن القنوط واليأس من رحمة الله وأن شق الجيوب ولطم الخدود وذكر الكلمات التى اعتادتها الجاهلية من القنوط واليأس المنهى عنها نهى تحريم لأن القنوط واليأس من رحمة الله ضلال وكفر قال تعالى:

﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ [الحجر : ٥٦]

وقال تعالى:

﴿ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [يوسف: ٨٧]

ومن أجل ذلك نفى النبى ﷺ الإيمان عن الذين يفعلون أفعال الجاهلية عند وقوع المصيبة وتبرأ منهم.

نعم.. أذن الإسلام للنساء بالحداد على الميت ثلاثة أيام إلا الزوجة التى مات زوجها فقد أمرها بالحداد عليه مدة العدة أربعة أشهر وعشرة أيام جبراً لخاطر أهل الزوج وإبقاء على الأخوة الإسلامية والأدب الإسلامى وبراءة للرحم من الحمل فإن الجنين لا يتحرك إلا بعد الشهر الرابع من الحمل.

جاء فى الصحيحين عن عائشة وحفصة وغيرهما من أمهات المؤمنين أن النبى ﷺ

« نهى النساء أن يحددن على الميت فوق ثلاث إلا على الزوج أربعة أشهر وعشراً » ومعنى الحداد ترك الزينة والطيب وعدم إظهار السرور.

وروى فى الصحيح عن حميد بن نافع قال أخبرتنى زينب بنت أبى سلمة قالت: دخلت على أم حبيبة زوجة النبى ﷺ حين توفى أبو سفيان بن حرب والدها فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضها ثم قالت: والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا »(١)

قالت عائشة: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت: أما والله مالى بالطيب حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.. إلخ الحديث » وليكن لنا الأسوة الحسنة فى رسول الله ﷺ فإنه لما مات ولده إبراهيم جعلت عيناه تذرفان الدمع فقال عبدالرحمن ابن عوف: وأنت يارسول الله ؟ قال« يابن عوف إنها رحمة » ثم اتبعها بأخرى وقال «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى الله وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»(٢) فلا بأس ببكاء الرحمة وحزن القلب كمافعل رسول الله ﷺ.

إن الحزن لايدفعه بشر والمراد به بكاء الرحمة أما الجزع والهلع وخمش الوجه وشق الثياب وذكر الألفاظ الجاهلية فهو حرام وضلال لا يليق أن يصدر من مؤمن فقد تبرأ رسول الله ﷺ ممن يفعل ذلك .

(١) أخرجه النسائى (الطلاق) ب٥٥ و٥٨ و٦٣، وابن أبى شيبة ١٨٨/٦ و١٨٩ و٢٠١ و« الفتح » ٤٩٣/٩.
(٢) سبق تخريجه.

تهذيب الغريزة الجنسية

غريزة أودعها الله فى الإنسان ذكرا كان أم أنثى غايتها أن يتلاقيا على المودة والرحمة والسكن والإنجاب.

والإحساس بالجنس ضعيف لدى الأطفال ولكنه ينمو فى طور المراهقة إذ تبدأ مظاهر الرجولة والأنوثة فى النمو والظهور.

وهذه الغريزة الفطرية لا يقف الدين أمامها بترهب وحرمان ولكن يقف منها موقف الموجه للحكمة منها العامل على تحقيقها متى جاء وقتها.

وعن حكمة الزواج يقول المولى جل وعلا:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١]

ويقول تعالى:

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل : ٧٢]

فإذا توافر للرجل والمرأة القدرة على التناسل والسكن المودة والرحمة فقد حان وقت الزواج بل ويحث الدين عليه ففى الحديث الشريف:

« يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١)

والباءة هى مؤونة النكاح من المهر والنفقة والوجاء هو القاطع للتوقان.

فالحديث الشريف يأمر الشباب المستطيع لأعباء الزواج بأن يتزوج وعلل هذا الأمر بأنه معين على غض البصر وإحصان الفرج وغير المستطيع للزواج وهو يجد صعوبة فى

(١) سبق تخريجه.

الحرمان عليه أن يصوم فإن الصوم معين بإضعافه الجسم عن مقاومة شهوة الجنس .

ولم يجعل الشرع المهر مانعا من الزواج ففى الحديث الشريف :

« التمس ولو خاتما من حديد» [1] والفقر ليس بمانع من زواج من استوفى الشروط الأخرى وكان بها صالحا له ففى ذلك يقول المولى جل وعلا:

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [النور : ٣٢]

والأيم من لا زوج له رجلا كان أوامرأة وعلى أولياء الأمور أن يعاونوا الصالحين من أبنائهم وبناتهم على الزواج .

الصلاحية للزواج : إن صلاحية المرء للزواج تقتضى توافر عدة أمور:

النضج الجسمى : وحده الأدنى البلوغ والقدرة على الإنجاب ثم الخلو من الأمراض والعلل التى تضر بالزوجين أو بنسلهما

النضج المالى: ويقصد به القدرة على المهر وعلى النفقة على المسكن والأكل والشرب والكسوة وقد تقدم أن المهر لا يقف عقبة فى الطريق فهو لمجرد الإعزاز والتحليل ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها فعند الفقر المدقع يكفى خاتم من حديد والمساكن تتفاوت والمعيشة كذلك وهنا يكتفى الشرع بما يناسب الوسط والبيئة دون إرهاق وسواء أكان أجره يومياً أو أسبوعيا أو شهريا فالمهم القدرة على الوفاء بالحقوق المالية .

النضج العاطفى : ويقصد به ثبات العاطفة وعدم ترددها بين الحب والكره كما يفعل الصبيان فليس الزواج لعبة يقوم على الخصام والتصالح السريعين وإنما هو بحاجة إلى عاطفة متوازنة عاقلة هادئة.

أهم مشاكل المراهقة: هى الفترة التى تمر بين النضج الجسمى وبين النضج العاطفى والاقتصادى إذ يتأخران عن النضج الجسمى لعدة سنوات لا يدرى الفتى ماذا يفعل فيها وكيف يوفق بين الدفع والمنع، دواعى غريزة الجنس تملك عليه تفكيره بعد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٣٠/٥ و٣٣٦.

نضجه الجسمى وعدم قدرته المالية يقف عقبة ويمنعه وهو فى هذه الحالة فى أشد حاجة إلى من يأخذ بيده ويوجهه إلى التعفف ولكن مع الأسف الشديد لا يجد إلا صمتاً ممن يحبون له الخير ولكنهم يحجمون عن التحدث فى مثل هذه الأحاديث .

وهنا تسنح الفرصة لدعاة الانحلال والفجور أن يزينوا له أن هذه الغريزة لا تقهر وأن الكبت يورث الجنون وهم بهذا القول يشجعونه على الفاحشة والانطلاق فى الأعراض فمن ذا الذى يحب لنفسه الجنون ؟!!

وهؤلاء الذين يحرضون الشباب على الفجور هل يسمحون لنسائهم أن يرفهوا عن الرجال أو لا يسمحون ؟! إن سمحوا فهم فاسقون لا يؤتمنون على عرض وإن لم يسمحوا فكيف يسمحون لأعراض غيرهم أن تنتهك والمؤمن الحق يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكرهه لها؟!

ولكن الإسلام يحل للشباب مشكلة المراهقة ويقدم لهم عدة نصائح ليجتازوا هذه الفترة بنجاح .

فالله تعالى يقول لهم:

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾

[النور : ٣٣]

والاستعفاف طلب العفة وفى الإسلام معينات عليها على رأسها أن يتجنب المثيرات من النظر إلى المحرمات وأن يحصر فكره فى دراسة علومه وأن يحافظ على الصلاة ويديم مراقبة الله ويخالط الصالحين ويقضى فراغه فيما ينفع فى سباحة أو مصارعة أو كشف ثم لا يسمح لنفسه أبداً بخلوة مع أجنبية فيكون الشيطان ثالثهما .

ومن الخير للشباب أن يفهم المرأة على وجهها الصحيح وأن يعلم مقدار الظلم الذى وقع عليها عندما صورها الظالمون فشوهوا صورتها ومسخوا آدميتها وأظهروها على أنها شديدة شهوة الجنس وأنها تحب الذى يخطفها من الرجال على صهوة جواد ويذهب بها إلى البرارى فتلك .... نظرة للمحتالين رعاة البقر فى أفلام هوليود معمل

الجنس للصهيونية العالمية التى تورد أفحش الأفلام لعملية الإقبال!!

ولكننا نحن المسلمين بريئون من هذا فالمرأة عندنا عقل وعاطفة وحنو وإخلاص وتضحية، إنها مجموعةمن الفضائل إن أحسنت تربيتها بلغت من السمو مبلغا لا يبلغه الرجال وإن أسيئت تربيتها انحطت إلى درك لايبلغه الرجال فناقش نفسك فى هذا الموضوع على النحو الآتى :

انظر إلى قول الله تعالى فى القرآن الكريم وهو يضرب مثلا للكافرين وللمؤمنين فى سورةالتحريم إنه ضربه بسيدتين كافرتين وبسيدتين مؤمنتين امرأة نوح وامرأة لوط للكافرين وامرأة فرعون والسيدة مريم للمؤمنين وأنت خبير بأن ضرب المثل فى القرآن يكون فى قمته فى الخير أو الشر .

إننى أتوق إلى الجنس ولكننى لا أستطيع الزواج إذ لم يتم نضجى المالى والعلمى فهل ألبى دعوة الجنس فى الحرام كما يريد الفاجرون ؟

إننى لو خدعت فتاة ونلت منها فى الحرام فهل يحل هذا مشكلتى؟ إن نداء الجنس سيزداد إلحاحاً وأصير كمدمن الخمر .

وإذا خدعتها وعشمتها بالزواج وأنا عالم مقدما أن هذا لن يكون فأكون فاجرا غشاشاً.

لو أن الله أعطانى القدرة على الزواج وأصابنى الشلل وأنا فى الحرام وسلبنى هذه النعمة على الدوام فما مصيرى ؟

لو أن هذه الفتاة كانت مريضة بمرض سرى فسأكون كالمستجير من الرمضاء بالنار .

وهذه الفتاة تحتاج إلى مال وليس لى مال ومعنى ذلك أن أسرق فأكون سارقا فاجرا.

لو أننى علمت أن شابا أغوى أختى ولوث شرفها فماذا كنت أفعل ؟ أكنت أقبل عذره وأنه لم يستطع صبرا على نداء الجنس أم كنت أقتله؟ قائلا :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فهل أبيح لنفسى ما أحرمه على غيرى ؟

يانفسى إننى فى صميم مراحل التعليم حيث المعامل والمحاضرات والمكتبات والاستذكار على قدم وساق مما يشغل كل الوقت. فى عطلة الأسبوع أمامى النوادى الرياضية والرحلات فهل أترك كل هذا وأحصر ذهنى بالجنس أخطط له وأنفذه وهو الجرم الشنيع مع القلق والحسرة والألم وإغضاب الله وأغلق على نفسى باب العلم فأكون عضوا فاسداً خسر الدنيا والآخرة؟ .

إن الذين يحاولون هذا المنكر يلتمسون الخلوات والبعد عن الناس مخافة الفضيحة أفأخاف المخلوقين ولا أخاف الخالق ؟

إننى عندما أرغب فى الزواج سأطلب فتاة ليس لها ماض ولكن إذا كنت أنا وغيرى من الشبان نرتكب الفاحشة فكيف نجد من لا ماضى لها ؟

إن هذه الفتاة قد تحمل وتكون بين أمرين أحلاهما مر: الإجهاض أو الرمى فى الطرقات للجنين .

إن غضب الله لم يشتد على فاحشة قدر ما اشتد على هتك العرض وهو يقول فى سورة الفرقان:

﴿ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما *يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً ﴾

[الفرقان: ٦٨ـ٧٠]

إن الانتصار على النفس والهوى والتحكم فى الأعصاب وإرضاء الضمير والشرف أفضل من الانتصار على فتاة بالغش والخداع ولا مناص من القرار النهائى: أعاهد الله أن أصد سمعى وبصرى عن كل ما يوجهنى إلى هذه الفاحشة وسأضع تحت قدمى كل صور الجنس ودعايات الجنس وسأشتغل بالعلم والرياضة وسأصوم إن لزم الأمر وأستعين بالصبر والصلاة ومعاشرة الصالحين والله يجعلنى فى هذا الامتحان من الناجحين.

الشهوات والعقل

خلق الله الذكر والأنثى وجعل رغبة كل منهما فى الآخر رغبة قوية وأوجد بينهما ميلا شديداً وصلة قاهرة عنيفة ليس لأحدهما اختيار في تلك الرغبة بل هي رغبة ملحة يضطر الإنسان معها إلى البحث عن شريك والتطلع إلى نصفه الثانى وشطره الآخر المتمم له والله خلق فينا هذه الشهوات الغالبة ليضمن بقاء النوع الإنسانى فلولا إرغام الشهوة ولولا حكم هذه الغريزة الجنسية لفنى العالم ولو استطاع ابن آدم أن يعطل شهوة فرجه بالكلية وأن يتحكم بسهولة فى هذا الأمر لما وجد ابن ولا ولد مولود قال تعالى:

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ [الحجرات : ١٣]

فميل الذكر للأنثى وطلب الأنثى للذكر لا يستطيع العقل أن يقف فى سبيله وطلب لا يقدر العقل على رفضه بل إن هذه الشهوة تسخر العقل وتستخدمه أو تغطى عليه وتحجبه ولا يستطيع القانون أن يرهب هذه الغريزة أو يحد من إلحاحها والمرء أمام شهوته هذه لا يعبأ بقوة ولا يخشى سلطة وكثيرا ما كان القانون معينا لتلك اللذة مصرحا بالبغاء العلنى حاميا لتلك الجريمة المنكرة ، كذلك العلم لا يضعف تلك الغريزة ولا يصد تيارها الجارف ولا يعترضها بل إن العلم المدنى يسهل الإثم ويعتذر عن الفاحشة بسفسطة لفظية وأعذار شيطانية وها هى ذى الأمم المتحضرة التى بلغت الذروة فى العلوم والفنون بلغت الذروة أيضا فى التهتك والإباحية والمجون إذ قد اعترف العقل والقانون والعلم بعجزهم أمام الشهوة البهيمية وأعلنواهزيمتهم للغريزة الجنسية ثم انقلبوا لها خدما طائعين وعبيداً مسخرين قال تعالى:

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾

[الجاثية : ٢٣]

وازع الدين : لا يفل الحديد إلا الحديد ولا يحكم هذه الشهوة الجبارة إلاسلطان قادر وقوى قاهر ودين زاجر، ففعل الدين فى النفوس عظيم وأثره فى القلوب كبير لذلك جاء

الإسلام يحرم دواعي الزنا ووسائله وطرقه المؤدية إليه وسبله الموصلة له وما تشدد الإسلام في شيء تشدده في حفظ الأعراض فبعد أن حرم الزنا وحدد له عقوبة دنيوية وتوعد عليه بعقوبة أخروية نهى عن النظر الشهواني فأول الحب نظرة فقال تعالى:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾ [النور : ٣٠]

وليس النهى مقصورا على نظر الرجل للمرأة فكثيرا ما كانت نظرة المرأة للرجل أشد خطراً وأبعد ضررا من نظر الرجل لامرأة بعين الشهوة والعاطفة الآثمة لذلك قال تعالى:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ [النور : ٣١]

إلى آخر الآية.

وهل أدل على ذلك التحريم من قول أم سلمة رضى الله عنها : « كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال رسول الله ﷺ : احتجبا منه فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ؟ فقال : أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟» (١)

ثم أدب الله عباده المؤمنين وعلمهم كيف يدخلون البيوت بعد إشعار أهلها بقدومهم وإعطاء أصحابها فرصة قبل الدخول عليهم فربما كان أهل البيت فى حالة لا تجوز رؤيتها فقال تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ [النور: ٢٧]

وهذا لعمرى هو الذوق السليم والإحساس الطيب القويم ولكنا فى الريف نسمح للخدم والكلاف (خادم المواشى) والسفهاء وأمثالهم بالدخول فى البيوت وسط أهلنا ونسائنا ونزعم أنهم خدم لا قيمة لهم ولا يستحى منهم كأن الخدم لا شهوة عندهم

(١) أخرجه الترمذى (٢٧٧٨)، وأبو داود ٤١١٢، وأحمد ٢٩٥/٦، والبيهقى فى « السنن » ٩٢/٧ و «الفتح» ٥٥٠/١ و٣٧/١٢، والبغوى فى « شرح السنة » ٢٤/٩، والنسائى فى « عشرة النساء » (٣٥٩) .

وكأنهم من طينة أخرى باردة غير طينة السادة الجاهلين « عن عبد الله بن بشر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ثم يقول: السلام عليكم، السلام عليكم، وذلك أن الدور يومئذ لم يكن عليها ستور »[(١)]

وقال تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ﴾ [النور: ٥٨]

خطر الاختلاط: من أضاف حطبا إلى النار وظن أن لن يزيد اللهب فهو جاهل أو معاند ومن قذف بإنسان إلى البحر وطلب منه ألا يبتل بالماء فهو مجنون ومن طلب من شاب أن يتعلم مع شابة وينسى ميوله وينكر غريزته ويجحد شهواته فإنما يطلب المحال ومثل هذا الطلب لا يوجه إلا للملك من الملائكة أو لجماد لا يشعر أو شخص بارد كالثلج لا يحس ولا يتأثر.

قد تجلس بجانب الطعام وأنت طاو فلا تأكل منه وقد ترى الماء وأنت ظمآن فتصبر عنه لسبب ما ولكنك لن تصبر عن التشهى والنظر والتمنى وأنت بجانب فتاة فالاختلاط خطر كبير وشر مستطير ولا علاج لهذه الحال إلا الدواء الذى قالت به فاطمة الزهراء بنت رسول اله ﷺ حينما سألها والدها ﷺ قائلا « أى شي خير للمرأة ؟ فقالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل. فضمها إلى صدره واستحسن رأيها وقال: ذرية بعضها من بعض »[(٢)]

أينكرون الطبيعة البشرية ويعاندون فى الضرورات المرئية أم إن الشيطان يؤدى وظيفته بواسطة أعيانه ويتم عمله بأيدى أبنائه ؟؟

لقد حدث التاريخ أن أبطالا فاتحين وقوادا جبارين دوختهم امرأة بعد أن دوخوا العالم بسيوفهم، واستعبدتهم شهوتهم وقد استعبدوا شعوبا غيرهم وها هو ذا السلاح الماضى فى التجسس اليوم بين الدول يعتمد على قوة تأثير المرأة وجمالها وفتنتها.

والمرأة فى الحرب العظمى لعبت أخطر دور فيها فلا نجاة إلا فى الابتعاد فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا

(١) أخرجه البغوى فى « شرح السنة » ٢٨٢/٢ والتبريزى فى « المشكاة » (٤٦٧٣).

(٢) أخرجه البزار ٣٢٥/٣، و «المجمع» ٢٥٥/٤، و «الكنز» (٤٦٠١١) و (٤٦٠١٢).

محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما السمع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » (١) رواه الشيخان .

فهل شبابنا في الجامعة وفتياتنا لا ينظرون ولايسمعون ؟ وهل ماتت قلوبهم فلا تهوى وانعدمت فلا تتمنى ؟ وهل فروجهم خاضعة لهم فتكذب أماني القلب أم خاضعة لشهواتهم فتصدقه ؟؟ وأى شرف هذا الذى يلوكونه بعد أن عجز العقل والقانون والعلم عن رد جماح الشهوات ؟ إن هذه فلسفة إبليس على لسان أولاده المناحيس .

تحديد الاختلاط : ليس الاختلاط مقصوراً على انفراد فتى وفتاة في عزلة عن الناس وليس الاختلاط هو الاندماج فتلك هى الخلوة الفاجرة، بل إن الاختلاط هو الاجتماع بدون تحرج والتحادث والسلام وكل فرصة تمكنك من النظر باشتهاء والتغازل بلا حياء والسمر واللهو في اختلاط محرم واجتماع يباركه الشيطان بل إن سير الرجال مع النساء في الطريق اختلاط فقد ورد عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ « نهى أن يسير الرجل بين المرأتين » (٢)

فهل تحقق شيء من تلك الأوامر الإسلامية في جامعتنا المصرية ؟؟ عن أنس رضى الله عنه قال « كان رسول الله ﷺ مع إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه وقال : هذه زوجتى فقال: يارسول الله ما كنت أظن به فلم أكن أظن بك فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » (٣) فإذا كان الطاهر المطهر يتقى الشبهة وهو أبعد الناس عنها فكيف نعتذر عن التهمةبل ندفع الشباب لها ؟

الاختلاط فى العبادات محرم: إن احتج أحد بصلاة النساء في المساجد فقد كن خلف صفوف الرجال والصبيان وكان لهن باب خاص وكن عفيفات طاهرات لا

---

(١) سبق تخريجه ..

(٢) لم أجده بهذا اللفظ .

(٣) أخرجه البخارى ٦٤/٣ و١٠٠/٤ و١٥٠ و٦٠/٨ و٨٧/٩ ومسلم (٩٧٥) و(٢١٧٤)، وأبو داود (الصيام) ب ٧٨ و(الأدب) (٢٤٥٣).

يبدين زينة ولا يعرضن جسدا ولا يملن خصرا ولا يتكلفن دلالا ولا يتكلمن ابتذالا فعن ابن أبي أسيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء فى الطريق، فقال: «استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق» فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به. (١) فإذا كان الاختلاط فى المساجد حراما والاختلاط فى الطريق حراما فكيف باختلاط دائم مدة التدريس وزمن التعـــلم بـــين شـــباب فائر وجموح ثائر؟

إن الجهاد وهو أفضل العبادات يمنع منه مؤمن قد كتب بالفعل فى غزوة من الغزوات ليلحق بامرأته التى خرجت للحج ولا يتركها وحدها تؤدى الفريضة والبنت اليوم تترك وحدها للجامعة وللسينما والمسارح والأسواق والمنتديات .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

« لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم. فقام رجل فقال: يارسول الله إن امرأتى خرجت حاجةً وقد كتبت فى غزوة كذا قال: فانطلق فحج مع امرأتك » (٢)

فهم الرجل أن خروج امرأته للحج وحدها اختلاط فسأل نبيه فأجابه بلسان الحق.

إن كان الاختلاط محرما فى كل وقت فهو فى هذا الزمان أشد حرمة وأعظم خطورة: أخلاق ضائعة فاسدة ومبادئ عقيم فاجرة ودين لا يطاع وقرآن لا يستمع له وشهوة تتحكم وشيطان مطاع وعلم يزين الفجور وفلسفة كها غرور وثقافة عمادها الزور ومجتمعات تبيح الشرور فكيف يؤمن على عرض أو تصان كرامة لقد كانت زوجة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما تصلى مع النساء خلف الرسول ﷺ وكان عمر غيوراً شديد الغيرة فتربص لزوجته فى الطريق ومس ثديها بإصبعه فعادت لبيتها فسألها عمر بعد ذلك عن عدم خروجها للصلاة فقالت : «فسد الزمان ياعمر» ولم تخرج من بيتها حتى ماتت فأين هذه السيدة لترى الخلاعة والمياعة والأصباغ والأحماض والثياب

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢)، والبخارى فى « التاريخ الكبير» (٥٥/٩) ،والطبرانى فى « الكبير» ٢٦١/١٩ وغيرهم .

(٢) أخرجه فى « بدائع المنن » (٧٥٦) و(١٤٨٥) و« تلخيص الحبير » ٢٤١/٣، وعبد الرزاق (١٢٥٤٨).

القصيرة والمحددة لأعضاء المرأة الكاشفة عن أجزاء الإغراء من بـــدنها ؟ والله يقول:

﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

ويقول الله تبارك وتعالى :

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ [الأحزاب : ٥٩]

ويقول تبارك وتعالى:

﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾

[الإسراء : ٣٦]

التعليم واجب والاختلاط جريمة: ناديت بوجود تعليم المرأة كما أمر دينى ولكن تعليمها شيء وتعليمها مع الشباب شيء آخر فلتتعلم وحدها فى أمكنة خاصة بها بعيدة عن الذئاب الآدمية والشياطين البشرية فقد كان رسول الله ﷺ يعظ النساء وحدهن كما يعظ الرجال. روى البخارى « أن النساء ذهبن لرسول الله ﷺ وقلن له: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن » وبايع النساءعلى انفراد كما بايع الرجال قال تعالى:

﴿ يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ [الممتحنة : ١٢]

وهكذا فعلت إدارة الوعظ الدينى بالأزهر فى عهد رجل الإصلاح شيخنا الأكبر فخصصت دروسا لوعظ السيدات بكليتى الشريعة وأصول الدين وجمعية الشبان المسلمين اقتداء بالرسول ورقيا بالمرأة وتثقيفاً لها فى حدود الفضيلة والعزلة الطاهرة وأمكنة الشرف .

نحن والأمم الغربية: يحرم دكتاتور فى الغرب على الفتاة أن ترفع ثوبها عن الأرض بأكثر من ٢٠ سنتم ويمنع التبرج فى الكنائس وفى دور العلم ويحرم السينما على من لم يبلغ اثنى عشر عاما وينادى دعى بمصر بوجود الاختلاط وتمجيده وتحبيذه ومحاربة من يدعو للفضيلة والتشهير بمن يبين حقيقة الاختلاط ورأى الإسلام

فيه. ولقد وصف الله للمسلمين الاحتجاب علاجا لغرائزهم والله أعلم بعباده وأدرى بخلقه وما حرم الله علينا شيئا وفيه شبه نفع لنا وما أمرنا بشيء وفيه شائبة ضرر علينا فالله بعباده رؤوف رحيم .

والحق واضح ولكنه مرير والصبيح طالع ولكن الناظر ضرير قال تعالى :

﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين ﴾

[الزخرف : ٤٠]

ظهور الفاحشة مدعاة لتفشى الأمراض

قال تعالى :

﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الأنعام: ١٥١]

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه ابن ماجة والبيهقى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « ما ظهرت الفاحشة فى قوم يعمل بها فيهم علانية إلا ظـهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » (١)

الفاحشة هى الفعلة التى بلغت النهاية فى القبح والدناءة ووصلت إلى الغاية فى الذم والشناعة تأباها النفوس الشريفة وتنفر منها الطباع الكريمة وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من قربان الفواحش ونهانا عن اقتراف ما ظهر منها وما بطن وجعلها محرمة علينا فقال :

﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظـهر منها وما بطن ﴾ [الأعراف: ٣٣]

وأخبر رسول الله ﷺ من نحو ألف وثلاثمائة من السنين بأن ظهور الفواحش فى أمة من الأمم والعمل بها علانية وشيوع المفاسد بين الناس واقترافها جهرة من غير مبالاة ولا إنكار يعقب الطاعون والأوجاع ويترتب عليه ظهور كثير من الأمراض المعدية والأدواء المهلكة التى لم تكن معروفة فى أسلاف تلك الأمة ولا معهودة فى غيرها من الأمم السابقةوهذا ما نشاهده الآن ماثلا أمام أعيننا وواقعا تحت أنظارنا فالمستوصفات ملأى بمختلف الأمراض والمشافى ضاقت بمن فيها من المصابين بشتى الأسقام والأوصاب التى حار فيها الأطباء ووقفت أمامها عقول الحكماء وقد ظهر ظهور الشمس فى رائعة النهار أن هذا نتيجة لازمة لفشو المنكرات والفسوق عن طاعة الله تعالى والإغراق فى الترف والإسراف فى ضروب الشهوات فلا شك فى أن هذا القول من رسول الله ﷺ علم من أعلام نبوته ودليل من دلائل رسالته إذ أخبر ﷺ بما وقع بعد مئات السنين فها هى ذى المحرمات بأسرها ترتكب فى وضح النهار والفواحش جميعها يعمل بها فى

١ - أخرجه ابن عساكر ١/ ٩١ والبيهقى فى « السنن » ٣٤٦/٣ .

الإعلان والإسرار وها هى ذى العاقبة السوءى لهذه المناكر العلنية من انتشار الأمراض الاجتماعية التى لم يسبق لها ظهور فى الأمم السالفة قد فشت فى هذه الأمة المسكينة وانصبت على رأسها المصائب الدنيوية انصبابا حتى أصبح عيشها مريرا وحياتها سعيراً قال تعالى :

﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾

[هود : ١٠٢]

ما بزغت شمس هذا الصيف حتى قام نصراء السوء وأعوان الشيطان ودعاة الرذيلة ينبهون الشهوات الجامحة ويوقظون الأهواء الظامئة قاموا يتلمسون الكسب من طريق إذاعة الفاحشة ويطلبون الرزق من ناحية ترويج الرذيلة وساعدهم على ذلك إقبال المستهترين وتهافت الأغرار المسرفين الذين لم تخالط بشاشة الإسلام نفوسهم أو تدخل روح الإيمان فى قلوبهم فظهرالفساد فى البر والبحر وانحدرت الأمة فى أعمق هاوية من الشر لا قرارة لها ولا نجاة منها وأخذ الناس يستغيثون ولا مغيث ويستنصرون ولا ناصر ويندمون ولات ساعة مندم.

﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧]

قام أولئك الدعاة المارقون من الدين الخارجون على الإنسانية ينتهزون فرصة حلول أشهر الصيف فيزينون للبسطاء الذين خلبت ألبابهم الأناقة والرشاقة وسلبت عقولهم المناظر الجذابة وولعت أنفسهم بالانغماس فى اللذائذ الزائلة المعقبة للندم والحسرة وقاموا يزينون لهؤلاء البسطاء أمر الانحدار فى المعاصى ويحببون لهم الإغواء فينشرون فى صدور الصحف اليومية صور الخليعات من النساء يطالعون بها الشبان فى كل صباح ومساء ليذكوا فى نفوسهم حب المجون والخلاعة ويلهبوا فى قلوبهم الميل إلى الفجور اللاهى ويصرفوهم عما خلقوا له من استذكار درس نافع أو مزاولة عمل مفيد .

فو اعجبا كيف تسمح الصحافة المصرية لنفسها بأن تكون أداة لنشر الفساد وعاملا من عوامل طغيان الشر فى هذا البلد وهى إنما خلقت لبث روح الفضيلة وغرس الآداب العالية فى نفوس طبقات الأمة؟ كيف ترضى صحافتنا وهى عماد حياتنا ووسيلة تقدمنا

ورقينا أن تكون ميدانا يركض فيه شياطين الفساد رافعين أصواتهم ينادون فى الناس أن هلموا إلى المراقص والحانات وسارعوا إلى المسارح والصالات وبادروا إلى مدينة الملاهى والموبقات فها هى ذى قد فتحت أبوابها للزوار من المثقفين والمثقفات تلك المدينة التى حشدت بداخلها كل ضروب المنكرات وجمعت بساحاتها عامة صنوف المحرمات فمن مراقص يعانق فيها الشبان الشابات إلى حانات يعاقر فيها الخمر الفتيان والفتيات إلى مواخيريسلب فيها عفاف الأسرة ويداس فيها شرف الأمة إلى مسارح تنتهك فيها الأعراض وينتهب فيها الطهر والعفاف إلى مناضد القمار قد نصبت لاصطياد الأموال واستلاب العقار أفليس كل ذلك من ظهور الفاحشة فينا وعملنا بها علانية من غير مبالاة ولا إنكار .

ثم أليس من أشد حالات الفحش والاستهتار أن ترى الرجل والمرأة ولا قرابة تجمعهما ولا دين يضمهما ولا نسب يصل بينهما يجلسان على قارعة الطريق بهيئة منكرة وصورة مستبشعة أمامهما الكأس والطاس لا يستحيان ممن يمر بهما ولا يأبهان لمن ينظر إليهما قد نضب فى وجهيهما ماء الحياء وغاض من نفسيهما معين العفة والشرف أليست تلك هى الفوضى الأخلاقية التى جرفت فى سبيلها محاسن العادات ومكارم الأخلاق وصار الناس بعدها لا يبالون بالمحرمات أن يقترفوها ولا بالحرمات أن ينتهكوها ولا بالسيئات أن يجترحوها إنه زمن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وكاد يصدق علينا قول الله عز وجل فى بنى اسرائيل قال تعالى:

﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون *كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]

فيا قوم قد تجاوز الأمر حده وبلغ الضرر أشده وإن أمامنا يوما رهيبا ينتظرنا نحاسب فيه على النقير والقطمير والقليل والكثير .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء

تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ [آل عمران : ٣٠]

﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولي الألباب﴾ [البقرة : ١٩٧]

روى ابن ماجة والبيهقى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال : «كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس ؟ وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن. ما ظهرت الفاحشة فى قوم يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما فى أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم» (١)

(١) سبق تخريجه. « مجلة الإسلام » السنة الثالثة العدد (٩) سنة ١٩٣٤ م.

أمواج الإباحية وكيف نقاومها

فى هذا الوقت الذى تعمل كل أمة فيه جاهدة على تقوية الروح القومية فى نفوس أبنائها وتدعو إلى العصبية لماضيها وتقاليدها نشاهد فى مصر وفى أخواتها من الأمم الإسلامية عصابات مؤلفة للعمل على نبذ ما يمت إلى القومية الإسلامية بسبب وقد اتخذت هذه العصابات لدعوتها أشكالا مختلفة وسترتها بأغشية رقيقة من الغيرة الكاذبة على سمعة الوطن والرغبة فى نهوضه وتقدمه. وتلك الأغشية إن سترت نياتهم عن الأغرار وقصار الأنظار فإنها لا تحجب شيئا عن عيون أهل الحزم والبصر النافذ من أبناء هذه الأمم .

تدعو هذه الجماعات الشرق إلى التخلص من معتقداته وعاداته جملة وارتداء كل ما يتشح به الغرب من ذلك متخذة من ضعف شعوبه وتأخرها فى ميادين العلم والصناعة دليلا على فساد عاداتها وعدم صلاح دينها لقيادتها إلى مضمار الكفاح العالمى المرجو لها وجهلت أو تجاهلت أن هذا الدين نفسه هو الذى هدى الغرب إلى ما صار إليه من التقدم فى هذا المضمار وأن الأمم قد يصيبها من الغفلة والنوم ما يصيب الأشخاص ثم لا يتعذر عليها بعد ذلك أن تستيقظ ناهضة إلى خير ما كانت عليه ولولا ما أصيب به المسلمون من هذا السبات الذى غطوا فيه أحقابا من الدهر والذى بدءوا ينتبهون منه على أصوات القوارع والنذر لما كانوا حجة على دينهم ولما صاروا موضعاً لشماتة الشامتين وتقول المفترين .

سلك هؤلاء القوم لإصابة الهدف الذى يقصدونه شتى المسالك وتذرعوا بكل ما ظنوه أداة لإنجاح دعوتهم ووجدوا من ضعف الأخلاق وانحلال الروابط الأدبية ما ساعدهم على المضى فى سبيلهم قدما بلا هوادة فأخذوا ينظمون المحافل والمحاضرات دائبين على ذلك لا يفترون وبثوا مبادئهم فى صحف أنشئوها لذلك أو أمدوها بإمدادات مادية أو أدبية، فانتشرت هذه الصحف فى الأوساط المتعلمة انتشار الوباء الجائح وراجت على ماعداها من الصحف الرفيعة السامية المقاصد وطاردتها فى كل مكان ووجدت

الجمهرة الغفيرة من شبابنا وفتياتنا فى هذه الصحف وفيما ألفوه من كتب ما يرضى أذواقهم ويشبع رغبة نفوسهم من المجون والاستهتار فعكفوا عليها لا يكادون يفارقونها حتى لتراهم يأوون إلى مضاجعهم وهى فى أحضانهم وفوق وسائدهم فتركت فى سلوكهم من الآثار ما أدمت مظاهره قلوب أصحاب القلوب وقد كان من بعض هذه الآثار ما نشاهده ونطالعه كل يوم من قصص أليمة محزنة هيضت فيها الأعراض واسترخص الشرف والعفاف وذبحت الفضائل ذبح الشياه .

ثم كان من سوء الطالع وشقاوة الحظ أن أتاح القدر لبعض أفراد هذه الجماعات أن يكونوا أساتذة ومربين لأبنائنا وفلذات أكبادنا فعم بهم الخطب واشتد البلاء .

بهذه الوسائل وأشباهها استطاع هؤلاء القوم أن يصيبوا من النجاح فى سعيهم حظا ليس بقليل وامتزجت جهودهم الجديدة بجهود أسلافهم الذين سبقوهم بهذه الدعوة من أبناء هذا الشرق العاثر الحظ بأبنائه ومن الغربيين المستعمرين وغير المستعمرين الذين أرادوا أن يخدموا ثقافتهم وييسروا لأممهم فوق هذا الاستعمار العسكرى أوفر نصيب من الاستعمار الأدبى.

فكانت النتيجة الحتمية لهذا كله أن وثبت العادات والنظم الأوروبية ـ ما كان منها صالحا أو غير صالح ـ إلى كل مظهر من مظاهر حياتنا وكل مرفق من مرافق أعمالنا فطبعت معظمها بالطابع الغربى البحت حتى إن السائح الأوربى إذا نزل بعاصمة من عواصم الشرق الإسلامى وطاف فى أرجائها واستقرأ مشاهدها لا يكاد يشعر بأنه غريب عن بلاده فالمسارح والمراقص والسهرات وظهور المرأة فيها سافرة إلى جانب الرجال وفن العمارة ونظم الحياة المنزلية والتماثيل المنصوبة فى الميادين والحانات وأحياء الدعارة المباحة فى رعاية القانون كل ذلك وأمثاله يشاهده الأوربى فى عواصم الشرق كما يشاهده فى وطنه ثم هو يبحث وسط هذا الخضم الغربى الزاخر عن العادات الشرقيةوالفن الشرقى فلا يرى بعد إجهاد ناظريه إلا هذه المساجد المتوارية فى الأحياء القديمة أو الغارقة بين العمائر الشامخة التى أطفأت بهاءها وأتت على روعتها وإلا هذه العمائم الجميلة الناصعة على رؤوس من يسمون بالمحافظين تكاد ترفضها العيون غرابة واستخفافاً هذا كل ما يستطيع أن يراه من مظاهر الشرق الإسلامى حتى إذا ما يئس ولى وجهه شطر آثار

الفراعنة أو الآشوريين أو الفينقيين أو غير هؤلاء ممن شادوا مدنية العالم القديم فتسلى بها ثم خرج من بلاد الإسلام وهو لا يعرف عنها من المميزات إلا هذه المخلفات الباقية من آثار الوثنية الأولى وعصور الظلم والجاهلية.

لقد رمى الغربيون ودعاتهم الشرق بأمضى سلاح وراشوا له أحد السهام فأصابوه فى صميمه.

ضاع فيه الدين وانحلت الأخلاق وهل الشرق إلا الدين والأخلاق؟ عليهما قامت مدنيته ومنهما شيدت عزته وبهما ملك الأرض ودوخ الممالك. إن الذين ألبسوه هذه الثياب المهلهلة قد مسخوه وشوهوا جماله وطمسوا جلاله فكانوا كمن ألبس رجلا ثوب امرأة أو خلع على جواد أكاف حمار .

ومن العجب العاجب أننا فى الوقت الذى نستمسك فيه بهذه العادات ونتشبث بأهدابها نرى الغرب نفسه يقتنع بفسادها وخطرها على كيانه، ويحاول التفضى من عقالها والفكاك من إسارها فهل أصبحنا من الضعة والمهانة بحيث نرضى لأنفسنا أن نتجمل بمساوئ غيرنا ونلبس ما يخلع من أطماره وهلاهله ؟

فما هو السبيل للخلاص من هذه الطامة الكبرى ؟ وكيف نصد هذه الأمواج العارمة التى أورثتنا من الضعف الروحي والمادى ما أصبحنا نخشى معه أن تجرى فيناسنن الله التى قد خلت فى عباده؟ لقد بكينا حتى سئمنا البكاء وعلمنا أنه حيلة النساء ومأوى العجزة الضعفاء وأنه لا مناص لنا من سلوك هذه الطريق التى فرض الله علينا سلوكها حين أنزل على نبيه صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى :

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [التوبة:١٠٥]

لقد بسط المصلحون كثيرا من الوسائل العملية التى من شأنها أن تؤدى إلى الإصلاح المنشود وصادف عرضها الرضا والارتياح من جانب النفوس الطيبة النزاعة إلى الخير واقتنع السواد الأعظم منا بأنها هى الوسائل الضرورية المتعينة ولكنها مع الأسف لم تعد كونها اقتراحات معروضة لم تدخل فى حيز الالتزام والعمل والتعاليم والمبادئ إذ لم

تجد من القوة ما ينقلها من طورها النظرى إلى طورها العملى فكان وجودها مساوياً لعدمها. وقد أدرك هذه الحقيقة أحد خلفائنا الراشدين رضوان عليهم حين قال: «إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن».

ولذلك فإنى أرى أن نبدأ أولا وقبل كل شيء بالعمل على إقناع حكومات البلاد الإسلامية بكفاية مبادئ الإسلام وسموها وأنها وحدها الوسيلة الطبيعية للوصول بالأمم الإسلامية إلى ما كانت تستمتع به فى ماضيها من المجد والهيبة والقوة وأن ماعداها من الطرق مائل ملتولا يؤدى بها إلا إلى البعد عن غايتها فإذا ماوجدت الحكومة التى تقتنع بذلك اقتناعاً لا يخالطه ريب ووصل هذا الاقتناع من نفوس مسئوليها إلى مرتبة الإيمان والعقيدة استطاعت بمؤازرة المخلصين من أبناء هذه الشعوب أن تقضى على جميع العقبات التى وضعت لتعطيل سيادة الدستور الإلهى وفى مقدمتها هذه القيود والمعاهدات الدولية التى عقدت بيننا وبين هذه الدول التى لا تبغينا إلا مطايا لها ولا تريد بلادنا إلا مرتعا خصيبا لجشعها وأهوائها.

مررت على المروءة وهى تبكى

الغيرة خلق شريف وطبع كريم وخلة حميدة وهى الصفة التى يمتاز بها كرام الرجال وأرباب النفوس العالية منهم وكلما غلبت على رجل كانت برهانا على رجولته وحميته وحملته على أن يحمى ذماره ويحفظ عرضه ويأبى صفات النقص التى يرضى بها المخنثون من أنصاف الرجال وأعوان الشياطين، وهى خلق ربانى ووراثة نبوية ورثها المؤمنون الموحدون عن نبيهم الأبى الكريم فقد قال رسول الله ﷺ « إنى لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب » (١) وقد قال سعد بن عبادة رضى الله عنه وقد كان من أشد الصحابة غيرة حتى إنه لم يتزوج قط إلا عذراء ولا طلق امرأة قط فاجترأ رجل على أن يتزوجها بعده من شدة غيرته فقال « لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح » (٢) فقال رسول الله ﷺ « أتعجبون من غيرة سعد ؟!!! أنا أغير منه !! والله أغير منى » (٣)

ورث المسلمون الأولون هذا الخلق الكريم عن نبيهم الغيور فكان الرجل منهم يغار أن يرى زوجته تخاطب رجلا آخر وتجالسه ولقد روى أن معاذ رضى الله عنه رأى زوجته أعطت خادمها تفاحة قد أكلت منها فضربها وغار عليها من أن يأكل الخادم طعاما مسه فوها !! وكان من شدة غيرة الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يسدون الثقب والكوى التى فى الأبواب والحيطان لئلا يتطلع منها النساء إلى الرجال !!

ولقد كان المسلمون الأقدمون يمثلون الرجولة تمثيلا صحيحا فكان الرجل يغار على زوجته أن يرى آخر وجهها فقد روى أن امرأة تقدمت إلى قاض وادعى وليها على

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ولكنه فى البخارى بلفظ : « أتعجبون من غيرة سعد .. ٥/٤٤ ومسلم (فضائل الصحابة) ١٢٦ . انظر : « مجلة الإسلام » ٧/١١١ .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ أيضاً ولكن هناك لفظ آخر وهو : « لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت .. » الحديث «الفتح »٨/٤٥٠ وابن كثير ٦/١٧ و« المجمع » ٧/٧٤ .

(٣) سبق تخريجه .

زوجها خمسمائة درهم مهراً فأنكر فقال القاضى: أين شهودك ؟! قال : قد أحضرتهم فاستدعى بعض الشهود أن ينظر المرأة ليشير إليها فى شهادته فقام وقيل للمرأة قومى فقال الزوج: تفعل ماذا ؟! قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهى سافرة ليصح عندهم معرفتها!! فقال الزوج إنى أشهد القاضى أن لها على هذا المهر الذى تدعيه ولا تسفر عن وجهها !! فردت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها فقالت: وأنا أشهد الله والقاضى أنى قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه فى الدنيا والآخرة !! فقال القاضى : هذا ينبغى أن يكتب فى مكارم الأخلاق! نعم يجب أن يكتب هذا بمداد من ذهب فقد مثل الشهامة فى أجدادنا السابقين وأبان لنا أنهم كانوا رجالا يأبون الضيم ويغارون على زوجاتهم المخاصمات لهم !! فكيف كانت غيرتهم على من يحبون !!!!

قف أيها القارئ الكريم أمام هذه القضية واستعرض عصور الإسلام الأولى أيام أن كان الرجال رجالا وأجر عبراتك حارة على ما حل برجال هذا العصر عصر النور والعرفان !! من تنطع وخنوثة حتى صار الرجل ـ والعياذ بالله ـ يتباهى بخلان زوجته من العظماء والكبراء !!! وقارن يا أخى بين رجالنا ورجالهم وانظر كيف كان الرجل منهم يغار أن يرى غيره وجه زوجته ولو كان فى ذلك إدانته !! وقل لى ماذا حل برجالنا حتى تركوا للنساء الحبل على الغارب فأصبحن يمشين فى الطرقات العامةعاريات الصدور والأفخاذ متبرجات متهتكات مائمات فاجرات غير عفيفات يصاحبن من يشأن ويرقصن مع من يردن غير مباليات بدين ولا خلق ولا أزواج ولا كرامة !! أين غيرتكم أيها الرجال؟! وأين دينكم ؟ وأين كرامتكم؟! وهل بلغت بكم النذالة إلى هذا الحد من التنطع فأهنتم الدين ووطئتم الكرامة بالنعال .

أى مسلم يسكن الإيمان ربوع قلبه لا تنقطع نياط قلبه أسى ويبكى دما على ما حل بالمسلمين فى هذا الزمان من اندحار فى الأخلاق وتنطع فى الطباع وفقدان للنخوة والغيرة والحمية وانقياد للنساء حتى ضجت الأرض مما يحدث عليها من الفسق بالشكوى لجبار السماء !! ولقد صدق من قال:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

لقد يقول قائل: إن نساء عصرنا غير نساء العصور السابقة فنساء هذا العصر متعلمات عاليات النفوس شريفات المقاصد لا يتطلعن إلى صغيرات الأمور .

فأقول له: على رسلك أيها المسرف فى قوله المخالف فيه ضميره والواقع !! فهل إذا بلغت المرأة من الكمال العلمي والرقى النفسانى فى زمانك هذا أوج العلا تقارب زوجة من زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام!! أو تدانى امرأة من نساء الصدر الأول ؟! كلا والله وألف كلا !! فإن الفرق عظيم والبون شاسع وأين الثرى من الثريا ؟! بل أين الشياطين المردة من الملائكة الأبرار ؟!.

إن الواقع المشاهد يرد على أمثال هؤلاء المتفلسفين من شبابنا الذين انغمسوا فى حمأة الرذيلة ونشئوا وترعرعوا فى أحضان الفجور !! فسل أيها المسرف فى قوله المجازف فى رأيه محافظة مصر عن عدد اللقطاء فى عام من الأعوام وعن عدد البيوت السرية التى يدهمها رجال الشرطة بل اذهب إلى المتنزهات ودور التمثيل لترى فيها الكرامة وهى تبكى وتنتحب وتنادى أهلها فلا يجيبها إلا الصدى لأن أهلها قد ماتوا من قرون ولم يبق أمامها الا المعاندون المحاربون.

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تنتحب الفتاة؟
فقالت كيف لا أبكى وأهلى جميعاً دون خلق الله ماتوا!

ألا تنبهوا أيها الرجال وثوبوا إلى رشدكم وأحيوا مجد أسلافكم وتحفظوا على النساء جهدكم ولا تأتمنوا عليهن من الرجال أحدا من قريب أو بعيد .

لا تأمنن على النساء ولو أخا ما فى الرجال على النساء أمين
إن الأمين وإن تحفظ جهده لا بد أن بنظرة سيخون

لقد عاش أجدادكم كراما وماتوا كراما فلا تمزقوا سجل شرفهم بل اسلكوا سبيلهم وأحيوا ما اندرس من مجدهم واقتدوا بما روى عن خيارهم فلقد كان سيدنا عمر رضى الله عنه على جلالة قدره وسمو روحه وعلو همته مثلا أعلى فى الغيرة حتى لقد قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت : لمن هذا

القصر ؟ فقيل لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك يا عمر !! فقال رضى الله عنه وقد انتحب من لذة الفرح: وعليك أغار يارسول الله » [1] وقد روت لنا كتب الحديث عن رسولنا ﷺ أنه لم تقبل نفسه الأبية أن يدخل الأعمى على نسائه دون أن يحتجبن !! فقد روت أم سلمة رضى الله عنها قالت: « كنت عند النبى ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا: يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ؟ فقال أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه » [2]

فالله ما أطهر هذه النفوس وأشرفها !! نفوس كملت بالإيمان وامتلأت شرايينها بدماء الشهامة والكرامة فلم تقبل الضيم ولم ترض بالعار فعاشت كريمةورجعت إلى ربها راضية مرضية.

إن الدين الإسلامى لم يأمر النساء بلزوم الحجاب والبعد عن الرجال إلا محافظة عليهن من السقطات وصونا لأعراضهن من التمزيق وخوفاً عليهن من أن يعتدى عليهن من لاخلاق لهم ولا دين.

فاللهم أحى فى رجالنا روح الكرامة وخلق الغيرة حتى يصونوا نساءهم ويتحمسوا لأعراضهم ويبذلوا دونها الأموال ويحققوا قول حسان رضى الله عنه:

أصون عرضى بمالى لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال للمال أن أودى فأجمعه ... ولست للعرض أن أودى بمحتال [3]

(١) أخرجه العراقى فى «المغنى عن حمل الأسفار» ٤٨/٢ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر « مجلة الإسلام » ٩٦٢/٧ .

النساء العاشقات وفشل الزواج

ليس منا من يجهل قيمة الزواج وأثره فى الحياة الاجتماعية وما ينجم عنه من حفظ النوع الإنسانى وبقائه إذ به نمت وسائل العمران وتوطدت الحياة بدعائمها الراسخة وشعر كل بالسعادة المنشودة في مأكله ومشربه ومرقده لا تكدر صفوه شوائب النوائب والمحن ولا يزعجه أى طارئ من طوارئ الحياة التى لا تقف عند حد ولا تحصى بعد !!

كل ذلك ذهب ضحية فى فم الأيام ولفحته عاصفة من عواصف الشدائد وكوارث الدهور فأذهبت من بهائه وأزالت من حسنه ورونقه !!

نعم !! كل ذلك قد خلع لباسه الأصلى وارتدى ثياباً جديدة ثياب الرياء والتفاخر بالحسب والنسب وما إلى ذلك ... !!

أجل !! لقد غدا ضحية التعلق بأهداب الحضارة والتمسك بأسباب الرقى ... !!

إن الزواج أصبح نفسه مشكلة من أخطر المشكلات الاجتماعية ووسيلة كبرى للنضال الدائم اللانهائى فلا تجد قضية فى المحاكم خالية من الزواج ونوائبه المفجعة ولا تقرأ صحيفة أو مجلة إلا وقد أخذت زخرفها وازينت بالعناوين الضخمة عن مفاضحه وكوارثه فتعرف مقدار ما وصل إليه المتزوجون من الوقاحة والسخرية فى سبيل حيويتهم البهيمية وترسم على تلك الصفحة الناصعة دمعة حارة من أعماق القلوب لتعبر عن الشعور والوجدان !! فتارة تجد امرأة فلان عشقت غير زوجها .. وتارة ترى العاشقين قد أسفرت مخادنتهما عن زواج مخز وعقد اضطرارى ومذبحة حامية وتارة أخرى تجد الرجل الغاصب الخئون قد فرق بين زوجين ليتزوج .. ويلهو .. فلا تنتهى هذه المسائل وخلافها إلا بأحد الأمرين : الانتحار أو القتل ..

وكثيرا ما تقرأ أفظع من هذا وذاك ..

إن المال والثراء أكبر مشاكل كل زواج تأثيرا وإنتاجاً إذ أصبحت الفتاة مرغمة ـ بحسب طبيعة أهلها ـ على الزواج بالغنى الهرم ولوكان قد بلغ من الكبر عتيا فبالله

ماذا تصنع المسكينة حيال تلك النكبة العاجلة؟! إنني والله لأرثى لحالها وأشفق عليها من أهلها الذين أكرهوها على الزواج بمن لا تحب طمعاً فى الغنى والثراء !! ماذا تجد المسكينة بجانب هذا الشيخ الكهل المتهدم.. ليس من شك أنها لا تجد إلا صدمات بعضها فوق بعض ..!!

إن الفتاة مرآة الحياة فأجدر بها أن ترى فى مرآتها فتاها المنشود الذى وهبه الله بسطة فى العواطف وسعة فى الوجدان الحى الذى يشعر كما تشعر ويهوى كما تهوى فليس أطيب فى الحياة من أن يرى الزوجان متناسبين سنا كما يجب أن يكونا متناسبين بالعواطف والأهواء والميول.

وإن من مشاكل الزواج أيضا المغالاة فى المهر إذ هى سبب فى الشقاق الدائم وشؤم على الزوجين يتشاءم به أهلهما خشية المفارقة، وفى الحقيقة إنهم يؤسسون أول حجر للنزاع والنضال !! ولو عرفوا ما فعل سعيد بن المسيب حين آثر تلميذاً من تلاميذه مع فقره بالزواج بابنته بدراهم معدودة على الخليفة عبد الملك بن مروان وولده مع صولته ومكانته وثروته لتصبب جبينهم عرقا وأيقنوا أنهم فى مشكلة لا حل لها !! وليت المشاكل تقتصر على هذا أو تلك بل هناك أخطر وأشد هناك على ضفاف الحياة الأبوية يقف الزوج حائرا بعدما وفى لصهره جميع مطالبه اللانهائية ماذا ؟ إنهم يسألونه أسئلة منكر ونكير ، ويطيلون عليه الثرثرة فمن قائل: هل له بيت جميل ؟ ومن قائل: هل له ثروة طائلة؟ ..... وو .... فإن تم ذلك .. وقبلا ما يتم سألوه : هل لك أم ؟ فإن لم يكن فبها !! وإن كان فيجيبونه بصوت واحد : لانريد لابنتنا ما يسمونه « حماة » تترأسها وتنغص عليها عيشها خذ أجهزتك وارحل وتزوج من غيرنا .....!!

هكذا أصبح الناس فى الزواج مذاهب شتى : فمنهم من يأخذ صداق ابنته ليسدد به حاجته ويترك الزوج معلقاً على شراع الأمل ومنهم من يكرهها على زوج مريض قد شعر بدنو أجله طمعاً فى تركته وثروته .. ولولا طول المقام لعرضت لقصص كثيرة من هذا النوع .

أسباب فساد سلوك الشبان والفتيات

إن أسباب أزمة الزواج أزمة خطرة لو أرجعناها إلى عناصرها الأولية لوجدنا أن لهذا المرض الاجتماعى الذى نسميه أزمة الزواج علة كبرى تتفرع منها سائر العلل التى أحدثته ولن يمكن علاجه علاجا حاسما إلا إذا استأصلنا العلة الأولى وعفينا على آثارها وتتبعنا فروعها التى سرت فى جسم الإنسان والأمة جمعاء بالمحو والاستئصال شيئا فشيئا وبدون ذلك لا يمكننا وقاية البلاد من ذلك الداء الوبيل .

علة العلل فى إحداث أزمة الزواج:

ليس من شك فى أن هذه المشكلة لم تنشأ فى بلادنا الإسلامية إلا بعد أن ضعف الدين وزالت هيمنته عن أفعال الناس وسلوكهم فى الحياة وانتشرت بعد ضعفه فى أنحاء البلاد سموم التعاليم الخاطئة التى أفسدت مدارك ضعاف الأحلام وعكست فى أنظارهم صورة الحياة فاختلط عليهم الخير بالشر والصواب بالخطأ والحق بالباطل وأصبحوا فى عمى عن رؤية الجادة القويمة .

وكان من أعظم الأخطاء التى وقع فيها الناس فسبب هذه الأزمة انحرافهم عن الأغراض الأساسية للزواج إلى أغراض فاسدة عكست عليهم النتيجة المرجوة منه، بعد أن كان سلفنا الصالح رضى الله عنهم يعتبرون الزواج رابطة تعاونية بين الرجل والمرأة، ويرون أن من أهم ثمراته تحصين العفة وتكثير النسل وسكن كل من الزوجين إلى الآخر سكنا تمازجه المودة والرحمة والمحبة التى تجعل الحياة جنة وارفة الظلال دانية الثمـار.

وإلى جانب هذا الخطأ الذى صرف أفكار الناس عن أغراض الزواج الأساسية وجد خطأ آخر فى نظرتهم إلى المهور فبعد أن كان السلف ينظرون إلى المهر بمنظار الإسلام الدقيق ويرون أنه ما شرع إلا إعلانا لكرامة المرأة وتفرقة بين الحرة العفيفة والعاهر البغى وتعويضا لها عما فاتها من مساواة الرجل فى السلطة والرئاسة، فأما فى هذه الأيام فقد أصبح أولياء أمور الفتيات ينظرون إلى المهر نظرتهم إلى أثمان المبيعات ويساومون فيه

مساومة مزرية ويظنون أن كرامة البنت لا تتوافر إلا إذا ارتفع مهرها ارتفاعا فاحشا فصار الكثير منهم يرهق من يتقدم لخطبة فتاته إرهاقا عظيما ويشترط فى تقدير مهرها بشىء خارج عن المنطق والمعقول فلهذا ينعكف الشباب عن الإقدام على الزواج الذى يحملهم أعباء لا طاقة لهم عليها فصرنا نسمع بفرار الفتيات مع من يحببن وعقدهن زواجهن فى جهة أخرى مخلصة ـ كل هذا من حمق أولياء أمورهن وجهلهم.

وأسباب أزمة الزواج تتنوع إلى أسباب اقتصادية وأسباب خلقية وأخرى نفسية وأسباب ناشئة عن البيئة وفيما يلى تفصيل لها.

١ - الأسباب الاقتصادية:

أ ـ غلاء المهور وقد ألمعنا إليه فيما سبق.

ب ـ كثرة التكاليف التى لا فائدة منها كتكاليف ليلة العرس والزفاف وارتفاع ثمن الهدية التى تقدم قبل العقد (الشبكة) وولوع السيدات بتقليد من هن أعظم ثروة منهن فى مظاهر البذخ والترف والإنفاق على الكماليات التى تثقل كاهل الرجل وغرامهن «بالمودات » غراما ملك عليهن زمام شعورهن ودفعهن إلى الإسراف بلاتدبر ولا روية فترى زوجة من يتقاضى خمسة عشر جنيها تحاول أن تقلد وتحاكى من يتقاضى زوجها خمسين جنيها فى كل مظاهر حياتها وقد يكون المنزل بحاجة إلى الأوليات الضرورية للحياة فلا يهمها شىء من ذلك .

كل ذلك جعل الشبان فى وجد من الإقدام على الزواج لما يتهددهم من تلك التكاليف التى لا قبل لهم بها خصوصاً ونحن فى عصر تعسرت فيه وسائل تحصيل المال واشتد التزاحم فى معترك الحياة اشتداداً جعل من أعقد الأمور إمكان التحصل على المال من وسائله المشروعة ولو أن أولياء أمور الفتيات عدلوا مطالبهم فى المهور .

٢ - الأسباب الخلقية:

وهى أعظم الأسباب تأثيراً فى اشتداد الأزمة وإليك ما يحضرنا منها الآن:

أ ـ فساد سلوك الشبان، وقد نشأ هذا من عدة أمور منها إباحة البغاء العلنى وكثرة

انتشار البغاء السرى فترى من لاخلاق لهم من الشبان العزاب، وكثيرا ما يسمع المرء من سفلتهم « لماذا أتزوج ولى فى كل ليلة واحدة أو نساء الأمة كلها نسائى » وبعضهم يعمد إلى اتخاذ خادمة للسرير ويقضى منها لبانته دون أن يتحمل التزامات الزواج وهكذا كان انتشار البغاء فى البلاد من أكبر الأسباب فى فساد أخلاق الشبان وإعراضهم عن الزواج .

ب ـ فساد سلوك الفتيات، ولا شك أن الأخلاق تدهورت عند كثير منهن وأوضح دليل ما نقرأ فى الصحف والمجلات عن حوادث انتهاك الأعراض وما نشاهده من تبذل الكثيرات فى الشوارع ومحاولتهن إغراء الشبان على تتبعهن بل ومغازلة الرجال فى كثير من الأحيان وساعد على اندفاعهن فى هذا السبيل الملتوى ولوعهن بالحرية التى تجاوزت حد المعقول حتى صارت إباحية فاسقة مما أوجد الريبة فى قلوب الرجال منهن. حتى أصبح الرجل الحر العفيف الشريف الغيور على كرامته وعرضه فى حيرة من وجدان السيدة التى لم تمسها يد رجل آخرولم يغرها.. نعم نحمد الله لا يزال كثير من البيوت الشريفة عندهم آنسات طاهرات الذيل لم يمسهن ماجن خبيث ولكن كثرة الماجنات جعلت الرجال فى حيرة من معرفتهن.

وقد كان من العوامل التى أكثرت الفساد مشاهدة الكثيرات لأفلام السينما التى تمثل أفلام الغرام الشائنةوالصحافة الماجنة التى تنشر الصور الخليعة والدعايات الفاسدة التى يروجها مرضى القلوب من الرجال لأغراض خبيثة فى نفوسهم كالدعوة إلى السفور واختلاط الجنسين فى صالات الرقص والحفلات والمجتمعات والمصايف وعلى شواطئ البحار ومحاولة إقناعهن بأن اختلاطهن بالرجال من أروع مظاهر المدنية العصرية.

٣ - الأسباب النفسية:

أ ـ ضعف الإرادة واستحواذ الجبن الأدبى على قلب الشاب فترى بعض الناس يفرون من تحمل المسؤولية لما يترتب عليه من التزام القيام بالواجبات الزوجية وتربية الأولاد وإعدادهم للمستقبل إعدادا كاملا ووقايتهم من الأمراض إلى غير ذلك فيوفر على نفسه ذلك التعب ويكون الإعراض عن الزواج إعراضا تاماً.

ب ـ البخل، فترى بعض الموسرين مولعين بجعل أنفسهم حراساً على الأموال ويخافون من الزواج لأنه يكلفهم نفقات يشق عليهم بذلها .

جـ ـ عدم وجود الزوجة الملائمةالتى تمتزج نفسها بنفس الزوج امتزاجا تاما وأكثر ما يوجد هذا العارض فى نفوس المثقفين ذوى الأمزجة الحساسة فلا يهمهم أن تكون المرأة مفرطة الجمال أوجمة الثراء ولكنهم يريدونها أن تكون ذات مواهب ممتازة ونفس قوية الجاذبية تعرف كيف تستحوذ على نفوسهم ووجدانهم ولكن إن لم يجدوا مطلبهم أعرضوا عن الزواج يائسين .

وبعد فأسباب الأزمة كثيرة يطول بنا القول لوحاولنا استقصاءها ولكنها كما قلت أولا ترجع إلى هجر الدين وعدم السير على منهاجه القويم فلنبدأ فى مكافحتها بالعودة إلى تعاليم الإسلام وتدعيم حياتنا الزوجية على أسس متينة ثم نأخذ فى علاج كل علة من علل الأزمة بما يناسبها. ومتى توافر الإخلاص والعزم، وقامت الهيئات والحكومات والأفراد بواجبهم فى سبيل مكافحتها فلا بد أن نصل عما قريب إلى نتيجة حسنة بفضل الله وتوفيقه ونسأل الله أن يوفق المسلمين إلى تدارك هذه الأزمة قبل أن يعظم خطرها فيعجز علاجها .

ماذا فعل استهتار النساء فى شبابنا؟

قال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنو قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

[التحريم : ٦]

تكاثرت انحرافات الشباب فى هذه الأيام واتخذت طابع الجرأة والاستهتار والشذوذ والفساد .

وتلكم ظاهرة اجتماعية خطيرة يجب أن يحسب لها كل حساب من أولئك الذين يهتمون بشؤون الإصلاح ويعالجون مشكلات الحياة حتى يتهيأ للأمة جو صالح وحياة سليمة لاعوج فيها ولا انحراف .

فالشباب هم رجال الغدوبناة المستقبل بهم تنهض الأمة وعلى كواهلهم يرتفع شأن الوطن فإذا ما كانوا رجالا نافعين ومواطنين صالحين فإنهم يحققون لأمتهم ما تعلقه من آمال كبار وأمانى حسان. أما إذا شبوا متواكلين متخاذلين تستخفهم الأهواء وتستهويهم الشهوات وتستبد بهم الأفكار الطائشة والمظاهر الشاذة وتجرفهم أمواج التحلل وتيارات المجون والفساد فلا يرجى ـ حينئذ ـ من ورائهم خير لأنفسهم ولا يبتغى منهم نفع لوطنهم ولا يتحقق منهم أمل لأمتهم !!!

لذلك من الواجب أن ينظر بجد واهتمام إلى انحرافات الشباب وشذوذهم وخروجهم عن الجادة وتلقفهم للعادات والمظاهر الضارة التى لا تتفق مع الرجولة ولا تساير واقع مجتمعنا الإسلامى والعربى والشرقى الذى عرف من قديم بأنه مهد الديانات والحضارات وموئل القيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية. أجل إنه من الواجب الأخذ بالأسباب الجدية التى تحمى شبابنا من كل الانحرافات وتنقذهم من ويلاتها وتحصنهم من الرذيلة والمجون وتدفع بهم دفعا إلى كل ما ينفعهم وينفع وطنهم الذى هو فى أمس الحاجة اليوم إلى رجال يحمونه ويدافعون عنه ضد الأخطار التى تحيط به وتتربص بكيانه.

وليس من شك فى أن مسؤولية هذه الانحرافات تقع على كاهل الآباء الذين لا ينهضون بواجب التربية الأخلاقية نحو أبنائهم ولايجدون فى انحرافات أبنائهم أى غضاضة ولا يقابلون ذلك بأى لون من ألوان التوجيه والتهذيب كما أن الأبناء لا يجدون فى آبائهم أى قدوة حسنة تغرس فيهم أسلوب الحياة الذى يتخذونه لأنفسهم فى حاضرهم وفى مستقبلهم، كما أن العلاقة بين الأبناء والآباء لا تسودها مبادئ التقوى والفضيلة ومعانى الود والرحمة حتى يمكن لهؤلاء الأبناء أن يعيشوا فى الحياة العامة على أساس من تلك المبادئ وعلى هدى من هذه الخصال ومن ثم تكون علاقتهم بالمجتمع الذى يعيشون فيه علاقة طهر وشرف وفضيلة ومن أجل ذلك ألزم نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه الآباء بالقيام بمسؤولياتهم كاملة نحو أبنائهم ..

هذه هى العوامل الرئيسية التى تضافرت على تهيئة الجو الملائم لانحرافات الشباب والتى ظهرت فى صور ما يسمى بالخنافس والهيبيز والتى بدت فى التخنث الفاضح للشباب الذين اختلطت صورهم بالبنات وغير ذلك من مظاهر التحلل والمجون والميوعة والفساد التى حذر منها نبى الإسلام ﷺ قال « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (١)

فلنصلح ما أفسدته البيوت بأن يعرف الآباء واجبهم نحو أبنائهم ولنتدارك ما قصرت فيه مدارسنا من تربية الشباب تربية صحيحة وتكوين شخصيتهم تكوينا صالحا حتى يستطيعوا بأنفسهم أن ينبذوا كل ما يفسد أخلاقهم ويضر بمجتمعهم كما أن واجب المجتمع وعلى الأخص وسائل الإعلام فيه العمل على تطهير الحياة العامة من كل نشاز أو شاذ وتحصينها من كل مفسد فى كيان المجتمع ويضر بأخلاق أبنائه .

وبذلك نستطيع أن نقضى على جرائم الشباب وانحرافهم ونضمن جيلاً صالحاً وأمة رشيدة وحياة سعيدة ولنذكر دائما قول النبى ﷺ « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . (٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٣٩/١، والطبرانى فى « الكبير » ٢٥٢/١١ والتبريزى فى « مشكاة المصابيح » (٤٤٢٩) ، والمجمع » ١٠٣/٨ وابن عبد البر فى « التمهيد » ٥١/٥.

(٢) انظر : « مجلة الإسلام » ٤٠٨/٢٠.

الباطل فتنة يريد الشيطان أن يضل بها الناس

الباطل فتنة يريد الشيطان أن يضل بها الناس إذ يوسوس إليهم بأن الاستقامة موقعة صاحبها في براثن الفقر والفاقة وأن أولى الشرف والصلاح هم الأذلاء المستضعفون أما العتاة القساة فهم أهل الإجلال والاحترام وأولو القوة والبأس، يخشى جانبهم وتقضى حوائجهم، أينما حلوا وردوا مناهل البر وخطوا فى جانب القبول. بهذا وأمثاله يوسوس الشيطان الخناس فى صدور الناس ويغريهم بالشر والفساد منشدا قول الشاعر :

من راقب النـــاس مات همــاً   وفاز باللــذة الجســور

ويهيب (لعنه الله) بالصانع والزارع والتاجر أن غشوا تظفروا بالربح الجزيل وكلوا الناس قبل أن يأكلوكم، وبالموظف الأمين : ماذا فعلت بجدك ؟ وما الذى استفدته من الأمانة والاستقامة ؟ سبقك أقرانك إلى درجات الترقية، ونفعهم نفاقهم ورياؤهم وكبرياؤهم وإهمالهم وبرودهم فى حين لم ينفعك أدبك وحياؤك وجدك وصراحتك وإخلاصك واستقامتك فأهمل ونم وارتش مادامت الحال واحدة والآخرة خير لك من الأولى، وبالعفيف الطاهر : إلى متى تتبع خيالك وأوهامك وتظل سادراً فى تأخرك وجمودك ؟

تحـــرك أبـا الهـول هـــذا الزمان   تحرك مـا فيـه حـتى الحجـر

أقبل على اللذات فاقتنص فرصها واقطف ثمارها قبل أن يدركك الضعف ويدهمك المشيب وبالوطنى الغيور: لقد ألقيت بمالك وجاهك وآمالك فى عواصف الأطماع وجعلت كتفك سلما يقفز فوقه الحازمون إلى مايريدون فأصبحوا فى الذروة وأنت فى الحضيض وصليت مع أمثالك من المتهوسين بنيران السجن والعذاب والتشريد وتمتع ذووهم بالمناصب وبؤت وباء ذووك بالفشل والحرمان ذلك هو الخسران المبين.. بنو وطنك سبب ذلك والأجانب معقل منعتك وعزك الجليل، وبالفتاة الخفرة الحيية: أتظلين جامدة متأخرة مظلمة الأفكار فى عصر النور والعرفان؟ الحرية ! السفور! الرقص! الزينة ! المسارح ! الخيالة ! الشوارع ! الازياء الحديثة ! « الدردحة » ! «الشخلعة » فتحى

عينيك ! ألقى عنك غبار هذا الجيل العتيق الذى كانت فيه المرأة رهينة المحبسين الدار والإسار اتعلمى .. حقا إنك «على نياتك» .كلمات معسولات ينفذ بها الرجيم اللعين إلى قلوب السذج والأغرار بل إلى قلوب العقلاء أهل الذرية والحصافة فيضلون إلا من عصم الله. وإن من يعلم أن الحق عرض الله وحماه والله غيور على عرضه ويعلم أن الباطل مهما تراءى للنفس زاهيا خلابا وزوره الشيطان لها صوابا فلا شك أن عاقبته خسارة وندامة وشر مستطير ومصير وبيل، وأن أولئك الطغاة الظالمين الأشرار الفاتكين أخذهم ربهم بظلمهم فلم تغن عنهم قوتهم شيئاً قال تعالى:

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾
[هود : ١٠٢]

وفى حوادث الزمان وقصص الغابرين والحاضرين عبرة للمعتبرين وسيجزى الله الصابرين .

فإياك أيها الأخ ـ عافاك الله ـ أن يفتنك الشيطان أوتعمه فى سكرة الباطل فتفرط فى حقوق الله والناس أو تسطو على ماليس لك بحق أو تجرؤ على بغى أو منكر أو تتوانى عن بر أو معروف أو تهاون فى عرض أو عهد قال تعالى:

﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ [لقمان : ١٧]

واعمل الخير فكفى بالله مجازيا ودع الباطل فكفى بالله له معاديا واتبع الحق فكفى بالله ناصراً وحاميا.[١]

﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت : ٤٦]

(١) « مجلة الإسلام » السنة الثالثة » العدد ٢٥ سنة ١٩٣٤ ص ١٠٧٥ من المجلد .

قطع الأرحام بسبب وساوس الزوجات

شاع فى ربوع الأرض وعم الآفاق قطع صلة الأرحام وبترها بسبب وساوس الزوج. من أجل ذلك حدا بى داعى الإخلاص وحتم علىّ واجب المروءة أن أنقذ أبناء المجتمع من تلك الورطة المهلكة خشية أن يترددوا فى هوة الهلاك والعذاب فى الدارين بسلوكهم هذا الطريق المعوج فيامن قطعت رحمك فى حبك لزوجك أحسن معاملتك لرحمك وتذكر قول الله فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه:

« أنه لما خلق الرحم قال لها : أنا الرحمن وأنت الرحم شققت اسمك من اسمى فمن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته » (١) وقال تعالى :

﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم۞ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد : ٢٢-٢٣]

حاسب ضميرك يامن قطعت رحمك فى محبة زوجك وتذكر إن كنت ذا رأى سديد قول الرسول ﷺ «من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أجله فليصل رحمه» (٢) ياهذا : النساء حبائل الشيطان وأكثرهن وقود النار، والرجال قوامون على النساء فيجب على كل ذى رأى صائب وعقل راجح ألا يطيع زوجه طاعة عمياء وألا يكون أذنا لما توحيه له من الوساوس الشيطانية فى كراهة رحمه التى هى جزء منه وليتذكر قول الله تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنو إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾

[التغابن : ١٤]

إن قطع صلة الرحم مأثم كبير لا يقترفه إلا من غلظ قلبه وتجرد من العاطفة البشريةوالمروءة قال تعالى:

---

(١) أخرجه البيهقى فى « السنن » ٢٦/٧ وابن عساكر ٦٧/٢ و« الفتح » ١٠ /٤١٨، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٥٠) و(٣٧٠).

(٢) أخرجه البخارى ٧٣/٣و٦/٨، ومسلم « البر والصلة » ٢٠، وأبو داود « الزكاة » ب٢٠، والطحاوى فى « مشكل الآثار » ١٦٩/٤.

﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾
[الرعد : ٢٥]

ارجع إلى رشدك يامسكين يامن قطعت رحمك واقرأ قول رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة قاطع رحم» [١] لا أعنى بقولى هذا أن أصدك ياقاطع الرحم عن محبة زوجك مالم تأمرك بمعصية الخالق فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وجفاء الأرحام من غضب الملك العلام .

وإياك أن تخدعك الدنيا بمطامعها الزائلة وتغريك بعرضها الفانى ومتاعها القليل وتذكر قول رسول الله ﷺ:

« الدنيا جيفة وطلابها كلاب » [٢] وقال « الدنيا كسوق قام ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر من خسر » [٣]

الدنيا مزرعة الآخرة ومن زرع حصد ولن ينفع الإنسان إلا صالح عمله وإذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: «صدقة جارية أوعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» [٤]وإن من أقرب القربات: بر الوالدين وصلة الرحم يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ويوم يعض الظالم على يديه فاتق الله فى رحمك ولاتقطعها فإن لها حقا عليك [٥]

(١) أخرجه البخارى ٦/٨، ومسلم (البر والصلة) ب ٦ رقم ١٨و١٩ وأبو داود (١٦٩٦)، والترمذى (١٩٠٩) وأحمد ٨٠/٤ و٨٣ و٨٤ وغيرهم .

(٢) انظر : « كشف الخفاء » ٤٩٣/١ و« الدرر المنتثرة» (٨٥).

(٣) لايصح كسابقه بل هو من الأقوال المأثورة ..

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر مجلة الإسلام» ٣٨/٨.

فتش عن المرأة

فى هذه الظروف العصيبة والأوقات الرهيبة التى تعمد فيها الشعوب الرشيدة إلى الأعمال النافعة تعملها وتقررها وإلى صغائر الأمور وتوافه الآراء تنبذها وتحقرها يقوم بعض النسوة اللاتى يدعين الإصلاح ويكثرن من الصياح ويطلبن الشهرة من طريق مخالفة القرآن والسنة ويعصين جهارا المنتقم الجبار ويطرحن استكبارا ثوب الاحتشام والوقار .. يقوم بعض هؤلاء النسوة بالدعوة إلى نبذ الوقار والحشمة والقضاء على ما بقى للنساء من آثار الصون والحياء ومظاهر الخلق والفضيلة التى ورثنها عن الآباء والأمهات المحصنات الغافلات المؤمنات ويساعدهن على ذلك ما يجدنه من فراغ الأعمال وكثرة الأموال وعدم قوامة الرجال ووسوسة شياطين الإنس المشهورين بمخالفة دين الله الكبير المتعال .

لم يكتف هؤلاء النسوة بما يقلن ويعدن فى دارهن التى أطلقن عليها « دار الاتحاد النسائى » ولا بما يرين من تلك الأسواق الزاخرة بخلاعة النسوان وتهتك الفتيات والفتيان واللقطاء المنتشرين فى زوايا الحارات وعلى أكوام القمامات يستنزلون الغضب من رب السموات على أصحاب هذه الدعاوات ولا بما يقع تحت أسماعهن وأبصارهن من انتهاك الأعراض ووأد الفضائل وكساد سوق البنات واكتفاء كثيرات منهن ـ والعياذ بالله ـ باقتراف أفحش الرذائل لم يكتف هؤلاء النسوة المتحدات ـ لا فى سبيل الله ولا فى سبيل الكرامة ـ الناشزات عن حدود الدين وطريق الاستقامة والمتقلبات فى نعيم ورثنه عن آبائهن ولم يؤدين فيه حق الله ولا حق الوطن لم يكتفين بكل هذا بل لج بهن الكذب والادعاء وحب الظهور إلى أن يمددن أيديهن الأثيمة إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله وإلى عمل السابقين ليبررن بذلك ما أبتدعه لهن «قاسم أمين».

قامت رئيسة هؤلاء النسوة السافرات فى محطة الإذاعة الحكومية تحرف كلم الله عن مواضعه وتقص حكايات عن بعض نساء الصحابة وما حدث لهن مع رسول الله ﷺ، فيها تشويه للحقائق وإنكار لما أمر الله به ورسوله فى محكم كتابه وجرى عليه عمل

النبى ﷺ وأصحابه من أخذ النساء بالقرار فى بيوتهن وحمايتهن من مخالطة غير محارمهن وإرخاء الحجاب عليهن صونا لعفافهن وحفظا لشرفهن والوقوف بهن عند قول الحكيم الخبير لهن:

﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

وقوله جلت حكمته:

﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

وقوله عز شأنه:

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾

[الأحزاب: ٥٩]

فأى غرور وفجور وأى كذب وزور وأى استهتار واستكبار وأى هوى وعبث أشد من تحريف الصواب ونسبة كتاب الله وسنة رسوله إلى أمر يعاب والزعم بأن دين الله الحكيم أباح اختلاط الرجال بالنساء مع ما يجره على الدين والخلق والفضيلة من سوء وبلاء؟ وأى جرم وفظاعة وجبن ورقاعة من رجل يعرفه الناس بمبادئه وكتابته وأسلوبه وخطابته يتستر خلف امرأة فيذيع بلسانها كلماته ليسمع الناس ما فيها من الإفك والبهتان وشر الآثام وتحليل الحرام والكذب على سيد الأنام والتمدح بما بلغته المرأة المصرية من هذا التحرير نعم التحرير الذى نرى آثارة ونسمع أخباره التى تندى الجبين وتقضى على حياة البنات والبنين وتفضى إلى انحلال الأسر وضياع كرامتها وغرس داء الجبن والميوعة والاستهتار فى قلوب أبنائها وبناتها.

الحق أن هذه المرأة المتزعمة للسافرات من نساء هذا البلد، الغيور على إخراج السيدات والفتيات إلى الشوارع والحفلات سافرات متبرجات أشد من غيرتها على أن

يكن مؤمنات محصنات ومتحجبات، الفخور كل الفخر بما بذرت وغرست من سيئ العادات قد بلغت من الأمر حدا لا يطاق نشكوه إلى ذوى المروءة والشهامة والنجدة كما نشكوه إلى المنتقم العزيز الخلاق .

ليت شعرى بماذا تفتخر هذه المرأة السافرة ؟ تذكر فى خطابها الذى كتبه لها أحد المتصلين بها أسماء بعض الكاتبات والمحاضرات تستدل بهن على مبلغ ما وصلت إليه المرأة السافرة المتعلمة من الحضارة والرقى والله يشهد والمطلعون يعرفون من كتب ومن فكر وطلب الحاجة فى نفس يعقوب على أن بعض الكاتبات المتبرجات قد فشلن فشلا تاما فيما أسند إليهن من الأعمال بعد انتهائهن من مراحل التعليم كما فشلن فى الحياة الزوجية وهذه إحداهن بعد أن تضلعت فى اللغات الأجنبية قامت فطلقت زوجها ثم كتبت باللغة الفرنسية مؤلفاً تشتم فيه المصريين والمصريات وتتهكم فيه بعادات بعض الطبقات لتضحك بذلك الفرنسيين والفرنسيات وهكذا أيتها الداعية السافرة قد أثمرت دعوتك وبمثل هذا يكون فخرك وعبقريتك فهل بقى لديك شيء تحاربين به الدين وتقاليد المسلمين بعد أن أصبحت تعيبين على ذوى الغيرة من الرجال الصالحين المسلمين أنهم لم يحضروا نساءهم المسلمات إلى الحفلات الرسمية وغير الرسمية ليرقصن مع الراقصين وتعجبين كيف لا تشترك المرأة المصرية لغاية الآن فى الحكم والجلوس على كراسى البرلمان؟ قال تعالى:

﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون *وتضحكون ولاتبكون *وأنتم سامدون﴾ [النجم : ٥٩ ـ ٦١]

قد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فهل بقى لدينا أمل فى استنهاض الهمم وبث روح النخوة والشمم هل بقى لدينا أمل فى أن نجد رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليقضوا على هذه الدعاوات المدمرة لمابقى من الخلق والفضيلة ويلزموا النساء بيوتهن كما أمر الله ويمنعوهن من هذا التبرج الشائن والاختلاط الماجن؟ هل بقى لدينا أمل فى أن يجد هذا الدين الذى مازلنا نتشرف بالانتساب إليه ولو أنا أصبحنا بسكوتنا حربا عليه هل يجد منا أعوانا يصونون النساء ويمنعون عبث هؤلاء الخلعاء ويقفون كلا عند حده ليعتز الخلق والشرف بجنده؟ قال تعالى:

﴿ وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ۞ تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ۞ لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار ۞فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ [غافر : ٤١ ـ ٤٤]

قال رسول الله ﷺ وهو من آيات رسالته : صنفان من أهل النار لم أرهما « قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (١)

وقال رسول الله ﷺ « لأن يزحم أحدكم خنزير متلطخ بطين وحمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له» (٢) (٣)

---

(١) أخرجه مسلم « اللباس » ب رقم ١٢٥ و « الجنة » ب ١٣ رقم ٥٢ وأحمد ٣٥٦/٢ و٤٤٠ والبيهقى فى «السنن » ٢٣٤/٢ و٢٤٧ وابن كثير فى « البداية » ٢٨٨/٦ والشجرى فى « الأمالى » ٢٦٧/٢.

(٢) انظر : الترغيب « ٣٩/٢.

(٣) مجلة الإسلام ٥٠٥/٧ .

على من تقع التبعة ؟

قال الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١]

لا يزال الإنسان فى الحياة ضعيفا فى كيانه ناقصا فى بنيانه وحيدا بين أقرانه عالة على أقربائه وإخوانه حتى يهبه الله نعمة الزواج وحينئذ يتم منه ما كان ناقصا ويبسم له من وجه الحياة ما كان عابساً وتكمل رجولته وتسعد به أمته سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فالزواج سنة حكيمة من سنن هذا الدين ودستور قويم سنه رب العالمين وناحية من نواحى القوة المطلوبة للناس أجمعين فما هذا العالم فى جميع أطواره وعلى تباعد أقطاره إلا ميدان للجهاد والجلاد وحرب مستعرة بين طوائف العباد وأثرة وطماعية بين الأقوياء والضعفاء فإذا لم يتحصن فيه المرء بالقوة ولم يحم حماه بالفتوة ولم يستكثر من العدد جرفه الطغيان ومحا أثره ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

هذه الكثرة التى هى مبعث قوة الدولة ومصدر الرهبة والسلطان فى الأرض لا تتحقق لأمة من الأمم إلا بالقضاء على الرهْبنة والعزوبة وجعل الزواج من الأمور الواجبة المحتومة فيه يكثر التناسل وتتولد القوة ويضطلع الإنسان بأعباء هذه الحياة وكلما شعر بأنه مسئول عن حاجات بيته وتهيئة الأسباب لراحته وهناءته ازداد حرصا وإقداما وكان أكثر توفيقا وأكمل نظاما.

هذه بعض الحكم التى شرع الله لها الزواج فمابالنا قد فشت فينا أمراض العزوبة ونحن أمة الإسلام واشتدت بيننا أزمة الزواج فى هذه الأيام وجرت فى ذيولها كل أنواع الفسق والآثام فما المواخير على كثرتها ولا الحانات على تعددها ولا المراقص على اختلافها ولا الملاهى على تنوعها ولا الشواطئ على فجورها ولا الأمراض الخبيثة على فشوها ولا فساد أخلاق المرأة المصرية المسلمة وسوء سيرتها إلا أثر من آثارهذه الأزمة

الاجتماعية الخطيرة التى تنذر هذه الأمة بسوء المنقلب وتهدد كيانها بالانقراض والفناء .

ومهما ألقينا التبعات على بعض الفتيات فى تبرجهن وتمردهن وسلوكهن هذا السلوك المشين فإن الشاب فى الواقع ـ هو المسؤول أولا عن هذا الإعراض عن الزواج وعليه قبل الفتاة تلقى تبعة هذه الأزمة الطاحنة ذلك لأنه أطلق يدا فى اختيار زوجته وأقدر أسبابا على انتقاء شريكته بل هو السيد الذى يرجع إليه أمر نفسه والحاكم المطلق الذى لا يعارضه أحد فى انتخاب عروسه والآمر الذى بيده زمام الأشياء يصرفها مع رغباته على ما يشاء أما الفتيات على ما ببعضهن من أنواع التبرجات والتبذلات فلسن إلا زهرات تنتظر من يجتنيها وجواهر تترقب من يقتنيها وأمنية واقفة فى مكانها تتوقع من يتمناها ويطمع فيها فلا سبب إذن فى انصراف الفتى وصده عن الزواج مع استطاعته وإفلاته من تحمل أعبائه مع قدرته إلا ضعف خلقه ورقة دينه وفساد مروءته وتهاونه بالتكاليف الشرعية وإهداره للقومية المصرية وقناعته ـ والعياذ بالله ـ بما يرى حوله من بنات الهوى وربات الحانات اللائى يجد فيهن بحكم القانون المصرى ـ وياللأسف ـ حرثا شائعا يشبع منه ذكورته وموردا مباحا يطفئ به غلته وهون عليه جنون الشباب والطيش ما وراء ذلك من المفاسد والأخطار ونسى يوم القيامة نار جهنم يصلاها وبئس القرار.

إن من سقوط النفس ولؤمها ودناءتها أن يفر صاحبها من تبعة الرجولة فلا يحمل ما حمل أبوه من واجبات الإنسانية ولا يقيم لوطنه من بناء الحياة القوية جانبا من نفسه وزوجه وولده ولا يعرف أن فى إفلاته من أعباء الحياة الزوجية اتهاما لشرفه وإضعافا لأمته وإضاعة لسنة الله فى خليقته.

يحتج بعض الشباب المعرض عن الزواج مع القدرة عليه بالخوف من تكاليف المعيشة ولو نظر إلى نفسه هو لعرف كيف خلقه الله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه فصار إنسانا تاماً بين العالمين قال تعالى:

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [النحل : ٧٨]

لو تدبر قليلا لرأى كيف يرزق الله الطير فى أعشاشها وضعاف الحيوان فى أجحارها ولاعتبر بتلك الدودة ترزق فى الصخر وهذه الأسماك تطعم فى البحر ولو استرشد بآيات الله واطمأن لوعده لوعى قوله عز شأنه:

﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ﴾ [هود : ٦]

وقال تعالى:

﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢]

وقال تعالى:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨]

وأى شاب عنده رجولة وكرامة ومروءة يرضى بكساد البنات وبوارهن على الوطن ويتركهن عانسات فى البيوت مهددات بالسقوط منبوذات فى المجتمع معطلات عن عمل الأمومة ثم يحتج بأنه أصبح لا يجد الفتاة التى تصلح أن تكون زوجة تقر بها العين وينشرح لها الصدر ؟!!!

ليعلم هذا الشاب وأمثاله أن فى ميدان طلاب الزواج متسعا للجميع ونحمد الله ونشكره فلم يزل فى بنات الأسر المسلمة من وهبهن الله كمالا وجمالا وعلما وأخلاقا يفضلن بها كثيرات من الفرنجيات والأجنبيات ويدبرن بها للزوج جميع ما يحتاج إليه .

فعيب والله ونكر أن يعتذر الشاب عن عزوبته بأنه لم يجد فى البنات ما يدنى من رغبته أو بأنه يخشى أن يكون الزواج سبباً فى نكبته ووالله لو أخلص حقا فى عزيمته على الزواج لوجد كثيرا من الفتيات الصالحات الفاتنات وقد قيل «إذا صدق العزم وضح السبيل» .

فاستجيبوا أيها الشبان لربكم واحرصوا على كرامتكم وتفطنوا لما يراد بكم واعملوا

على تفريج هذه الأزمة أزمة الزواج فأمرها إليكم وحدكم ومن استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ولا تتمحلوا المعاذير من هذا الأمر الخطير لترضوا ربكم وتكملوا رجولتكم وتخزوا الشيطان وتعمروا الأوطان وأمامكم دول العالم الكبرى لم تبسط سلطانها على الضعفاء ولم تناطح بقوتها وجبروتها الجوزاء إلا بما فيها من كثرة العددوالعُدد وقوة النفر واقتحام الخطر .

وها هي ذى بعض دول أوروبا التي تسمعون كل يوم عن قوتها واستعدادها قد سنت الضرائب الباهظة على غير المتزوجين من القادرين وكافأت بالمال الكثير العائلات التي يكثر عددها ويقل دخلها فمن عنده ثلاثة أولاد مثلا يعطى مبلغا معلوما من المال وكلما ازداد العدد زاد العطاء على حسب الحال كما جعلت من أسباب زيادة المرتبات كثرة ما عند المستخدم من بنين وبنات ومادعا هذه الدولة إلى ذلك الا حرصها على الإكثار من النسل ورغبتها في توجيه الشباب إلى الإقبال على الزواج لعمار البيوت والبعد عما يأباه الشرف وتجنب ما يفضى إلى الأمراض والأسقام.

فحبذا لو أن حكومة هذا البلد سنت القوانين لحسم هذه الأزمة وهى الآن بسبيل فرض الضرائب لسد النقص الحاصل فى بعض النواحي فلم لا تقدم على الاستفادة مادياً وأدبيا من تقرير ضرائب على غير المتزوجين من القادرين ؟ ولها فيما فعلته حكومات الغرب أسوة إذ إنها بذلك تنقذ الأمة وتطهر البلاد من علل فاسدةوأمراض خبيثة لا تظهر إلامن إعراض الشبان عن الزواج .

وعلى آباء الفتيات وأولياء أمورهن أن يأخذوا فى تربيتهن بالحزم ويعملوا على مراقبتهن بالحكمة ويتخيروا لهن الأزواج الصالحين من ذوى الغيرة الدينية والشجاعة النفسية غير حاسبين لزيادة المهر حساباً ولا مقيمين للتكاثر بالهدايا التي تسبق عقد الزواج وزنا ولا تفاخر بها حتى لا يطول الأمد على البنات فيصبحن عانسات وقد لا يجدن العشير فيتفاقم الشر ويعظم الضرر ومنشأ ذلك عدم التدبر وقد نبهنا رسول الله ﷺ إلى التفادى من هذا الخطر فقال «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» (١)

(١) أخرجه الترمذى (١٠٨٤) والتبريزى فى « مشكاة المصابيح » (٣٠٩٠) وغيرهما.

وايم الله لا يصلح حال أمة من الأمم إلا بإقدام أبنائها على الزواج وإن الطريق إلى الزواج لهو الطريق إلى الفضيلة والعفة وخدمة الأمة والطريق إلى القوة والنشاط والطريق إلى النسل والولد الذى يشد العضد ويحمى النسل ويرث المجد والمال ويعلى أقدار الرجال اتقوا الله معشر الشباب وخذوا أنفسكم بسنة الزواج ليكون لكل منكم أسرة يرفرف عليها علم السعادة وزوجة تعصمه من الوقوع فى حمأة الرذائل والتخبط فى دياجير الموبقات قال تعالى:

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ [النور: ٣٢]

قال رسول الله ﷺ لعكاف بن وداعة الهلالى:

« ألك زوجة ياعكاف ؟ قال : لا ، قال : ولا جارية ؟ قال : لا ، قال : وأنت صحيح موسر ؟ قال : نعم والحمد الله ، قال : فأنت إذن من إخوان الشياطين، أما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم وأما أن تكون منا فاصنع كما نصنع وإن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ويحك ياعكاف تزوج قال : لا أتزوج يارسول الله حتى تزوجنى من شئت قال ﷺ : زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميرى أو كما قال » (١) (٢)

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى « العلل المتناهية » ١٩٩/٢ و« المجمع » ٢٥٠/٤.

(٢) « مجلة الإسلام » ٧٣٨/٧.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
وقاية النفس والأهل من النار	١٦
مكانة الأم فى الإسلام	٢٣
رقى الأمة من رقى الأمهات	٢٧
اتقوا الله الذى خلقكم من نفس واحدة	٣١
حقوق المرأة فى الإسلام	٤٥
السعادة الزوجية	٤٩
مواصفات الزوجة الصالحة	٦٤
حفظ أسرار الزوج	٧٦
أسرة سعيدة .. كيف؟	٨٢
المصاهرة قوة	٨٥
ماذا يفعل القادر على الزواج جسمياً والعاجز ماليا؟	٩٠
فتنة عدم الزواج	٩٣
خير متاع الدنيا	٩٦
خطورة عدم الزواج	٩٨
اتقوا الله فى بناتكم	١٠١
التكافؤ فى الزواج	١٠٤
زواج العاجز جنسيا	١٠٨
عادات وتقاليد سيئة	١١٦
حكم فض غشاء البكارة بالإصبع	١١٩
ذهاب المرأة إلى الكوافير	١٢٣
طغيان النساء	١٣٣

طموح المرأة فى الاستعلاء والحكم ١٣٦
هل المرأة تساوى الرجل؟ ١٣٨
المترجلات من النساء ١٤٥
صفات نساء أهل النار ١٤٨
أكثر أهل النار النساء ١٥٢
ثرثرة النساء فى مجتمعاتهن ١٦٥
الرجل مسئول عن تدهور أخلاق المرأة ١٧٣
مشاعر المرأة وأحاسيسها ١٧٩
البكاء على الميت من الجاهلية ١٨٢
خروج النساء إلى المقابر ١٨٦
خروج النساء خلف الجنائز ١٨٩
زيارة النساء للمقابر ١٩١
المرأة وعودة إلى الجاهلية الأولى ١٩٥
تهذيب الغريزة الجنسية ١٩٨
ظهور الفاحشة مدعاة لتفشى الأمراض ٢١٠
أمواج الإباحية وكيف نقاومها ٢١٤
النساء العاشقات وفشل الزواج ٢٢٢
أسباب فساد سلوك الشبان والفتيات ٢٢٤
ماذا فعل استهتار النساء فى شبابنا؟ ٢٢٨
الباطل فتنة يريد الشيطان أن يضل بها الناس ٢٣٠
قطع الأرحام بسبب وساوس الزوجات ٢٣٢
على من تقع التبعة؟ ٢٣٨

رقم الإيداع : ٧٩٥٣ / ١٩٩٣
طبع بدار نوبار للطباعة

صدر حديثا

إحتار رجل فى إختيار شريكه لحياته ووصف حيرته بقوله : احترت فى مسألة الزواج واختيار الزوجة .

فإن كانت جميلة تخوننى .
وإن كانت بشعة لا تعجبنى .
وإن كانت متكبرة تحتقرنى .
وإن كانت عنيدة تخاصمنى .
وإن كانت غنية تحكمنى .
وإن كانت فقيرة تحزننى .
وإن كانت معروضة تكلفنى .
وإن كانت عاقراً تقهرنى .
وإن كانت عالمة تتفلسف لى .
وإن كانت سفيهة تشتمنى .
وإن كانت فصيحة تنتقدنى .
وإن كانت مودرن تثير غيرتى .
وإن كانت باردة تقطنى .
وإن كانت مجنونة تجننى .
وإن كانت ثقيلة تتعسنى . وإن كانت بخيلة تجوعنى . وإن كانت كريمة تصرفنى . وإن كانت قوية تضربنى . وإن كانت .. وإن كانت.. احترت فى أمرى . فماذا تنصحنى ؟

قبل الزواج اقرأ نوادر النساء حتى تعرفهن واذا كنت متزوج ابحث عن كيدهن ومكرهن حتى تتجنبه .

كل ذلك فى هذا الكتاب .

تهامة للتوزيع
١٢
SR 12

مكتبة التراث الإسلامي
ت : ٣٩١١٣٩٧ - ٣٩٢٥٦٧٧ - فاكس : ٣٩١٣٤٠٦